بيان القرآن

البيان القرآني الذاتي

الجزء الرابع

أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر
العراق 2026

بيان القرآن

البيان القرآني الذاتي

الجزء الرابع

أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر

العراق 2026

هذا هو الجزء الرابع من كتاب بيان القرآن

المحتويات

سورة يوسف 7

عَتَبَةُ البَيَانِ الرِّسَالِيِّ وَمَكْرُ البِنْيَةِ الأَخَوِيَّةِ لِإِقْصَاءِ اليَقِينِ (١ – ١٠)..... 7

احْتِطَافُ الضَّحِيَّةِ وَتَسْوِيقُ الدَّمِ الكَذِبِ وَتَحْوِيلِ اليَقِينِ إِلَى سِلْعَةٍ (١١ – ٢٠) 13

الِاسْتِقْرَارُ التَّمْكِينِيُّ فِي المسْكَنِ المِصْرِيِّ وَمُوَاجَهَةُ المرَاوَدَةِ النَّفْسِيَّةِ (٢١ – ٢٩)..... 19

انْتِشَارُ الأَزْمَةِ فِي المدِينَةِ، مَكْرُ النِّسْوَةِ، وَخِيَارُ السِّجْنِ السِّيَاسِيِّ (٣٠ – ٣٥)..... 26

تَجْرِبَةُ السِّجْنِ المعْرِفِيَّةِ، خِطَابُ التَّوْحِيدِ، وَتَأْوِيلُ مَصَائِرِ الفَتَيَيْنِ (٣٦ – ٤٢) 32

رُؤْيَا المِلِكِ الِاسْتِشْرَافِيَّةِ، عَجْزُ المَلَإِ، وَخِطَّةُ يُوسُفَ لِلْإِنْقَاذِ الِاقْتِصَادِيِّ (٤٣ – ٤٩)..... 37

التَّحْقِيقُ الرَّسْمِيُّ، اعْتِرَافُ امْرَأَةِ العَزِيزِ، وَإِعْلَانُ البَرَاءَةِ التَّامَّةِ (٥٠ – ٥٣)..... 42

تَمْكِينُ يُوسُفَ، تَقْلِيدُ المَنَاصِبِ، وَإِدَارَةُ الخَزَائِنِ (٥٤ – ٥٧)..... 47

مَجِيءُ إِخْوَةِ يُوسُفَ، مَعْرِفَتُهُ لَهُمْ، وَتَجْهِيزُهُم بِجَهَازِهِمْ (٥٨ – ٦٢) 51

مُرَاجَعَةُ الأَبِ، مَنْعُ الكَيْلِ، وَطَلَبُ إِرْسَالِ بِنْيَامِينَ (٦٣ – ٦٦) 55

وَصِيَّةُ الأَبِ بِالتَّفَرُّقِ، دُخُولُ المدِينَةِ مِن أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَحَقِيقَةُ الحَاجَةِ النَّفْسِيَّةِ (٦٧ – ٦٨) 59

لِقَاءُ يُوسُفَ بِأَخِيهِ، الحِيلَةُ التَّعْلِيمِيَّةُ، وَاحْتِجَازُ بِنْيَامِينَ (٦٩ – ٧٩)..... 63

يأس الإخوة، تماسك يعقوب، والمنعطف نحو الفرج (٨٠–٨٧)..... 69

التحول الحضاري من ضيق الابتلاء إلى سعة التمكين الكوني وإدارة الأزمات (٨٨ – ١٠١)..... 74

الوحي الغيبي والبصيرة الدعوية وسنن النصر في حركة التاريخ والحضارات (١٠٢ – ١١١) 80

سورة الرعد 87

آيات القوة الكونية والوحي (١–٤)..... 87

عجز المنكرين وعلم الله المحيط (٥–١٠) 92

الحفظ الإلهي وسنة التغيير (١١–١٣)..... 98

دعوة الحق وعجز الباطل (١٤–١٧) 103

جزاء الاستجابة وعاقبة الإدبار (١٨–٢٤).....108

نقض العهود ومفاتيح الرزق (٢٥–٢٧).....113

طمأنينة القلوب وعظمة القرآن (٢٨–٣١) 118

الاستهزاء بالرسل وعاقبة المكر (٣٢–٣٥).....123

الاستمساك بالوحي ومواجهة الأحزاب (٣٦–٣٩) 128

وعيد المكذبين وشهادة الله (٤٠–٤٣).....133

سورة إبراهيم.....138

وظيفة الوحي وطبيعة الضلال (١–٣) 138

وحدة الرسالة ولسان البلاغ (٤–٦) 142

ميثاق الشكر والوعيد بالجحود (٧–٨).....146

حوار الرسل والأمم: صراع اليقين والارتباك (٩–١٢).....151

وعيد الجبارين ومآل الاستكبار (١٣–١٧).....156

هباء الأعمال وقدرة الخالق (١٨–٢٠) 161

مشهد البروز وحوار الضعفاء والمستكبرين (٢١) 165

خطاب الشيطان وانكشاف الخديعة (٢٢).....169

مستقر الأبرار وتحية السلام (٢٣) 172

مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة (٢٤–٢٧).....176

جحود النعمة ومصير دار البوار (٢٨–٣٠).....179

توجيهات للمؤمنين قبل يوم الحساب (٣١).....184

تسخير الكون ودلائل الربوبية (٣٢–٣٤).....188

"دعاء ومواقف إبراهيم عليه السلام " (35–41).....193

انذار الكافرين **(42–52)**.....197

سورة الحجر 202

(مفاتيح البيان وحسرة الفوات)[1–3] 202

(حتمية الأجل وحفظ الذكر الإلهي)[4–9] 204

(تراتبية التكذيب وعناد الأبصار)[15–10] 206
(البروج الحافظة والأرزاق المقدرة)[20–16] 208
(خزائن الغيب ونواميس الإحياء) [٢١–٢٥] 211
(أصل الخلقة وصراع الإرادات) [٢٦–٣٣] 213
طرد إبليس والإنذار الإلهي (٣٤–٤٠)..... 216
قانون الصراط وأبواب الجحيم (٤١–٤٤) 220
جزاء المتقين وصفاء دار النعيم (٤٥–٤٨)..... 224
الخبر الإلهي بالتوازن بين الرحمة والعذاب (٤٩–٥٠)..... 229
بشرى إبراهيم ببركة الذرية (٥١–٥٦)..... 233
إخبار الملائكة وبشرى الخلاص (٥٧–٦٠) 238
لوط واللقاء التاريخي وبداية التنفيذ (٦١–٦٦) 241
مراودة القوم وهتك الحرمات (٦٧–٧٢)..... 245
الخسف الكوني وعبرة التاريخ (٧٣–٧٧) 249
أصحاب الأيكة وعاقبة التكذيب (٧٨–٧٩)..... 252
أصحاب الحجر ومواجهة اليقين (٨٠–٨٤)..... 256
السبع المثاني والقرآن العظيم (٨٧–٨٨)..... Error! Bookmark not defined.
النذير المبين وعاقبة المقتسمين (٨٩–٩٣) 263
الصدع بالحق والصبر على الاستهزاء (٩٤–٩٩)..... Error! Bookmark not defined.
سورة النحل ..... Error! Bookmark not defined.
كمال الألوهية وآيات التدبير الكوني والبعث ﴿١–٩﴾ ..... Error! Bookmark not defined.
آيات الغيث، نماء الأرض، والمسخرات الكونية ﴿١٠–١٨﴾ Error! Bookmark not defined.
إبطال مكر المستكبرين وعاقبة أهل الباطل ﴿١٩–٢٩﴾ 297
جزاء التقوى ومصير المتقين في الدارين (30–32)..... 302
انتظار الوعيد ونقد الجبرية الادعائية (33–35)..... 306
وحدة الرسالة وحتمية الجزاء (36–40)..... 310

عوض الهجرة ومكانة الوحي (41 - 44) 314
مآلات الاستكبار ومظاهر الانقياد الكوني (45–50) 318
وحدانية الألوهية وشمولية النعمة (٥١ – ٥٥)..... 322
ضلالات الجاهلية وافتراءاتهم على الرزق والقدر (٥٦ – ٦٠)..... 326
سنة الإمهال وتزيين الأعمال (٦١ – ٦٤)..... 330
آيات الإحياء والاعتبار في منافع الأكوان (٦٥ – ٦٩) 334
تفاوت القدرات البشرية وقيومية الخالق ﴿٧٠ – ٧٤﴾..... 338
أمثلة التباين بين العجز والقدرة ﴿٧٥ – ٧٧﴾ 342
هبات الحواس وملاجئ السكن والوقاية ﴿٧٨ – ٨١﴾ 346
بلاغ الرسالة وجحود النعم ﴿٨٢ – ٨٣﴾ 350
شهادة الرسل وحسرة الظالمين يوم الجزاء ﴿٨٤ – ٨٨﴾ 353
مرجعية القرآن وشمولية الهداية ﴿٨٩﴾..... 357
موازين العدل والوفاء بالعهود ﴿٩٠ – ٩٣﴾..... 361
ثبات العقيدة وجزاء الحياة الطيبة ﴿٩٤ – ٩٧﴾ 365
آداب التلقي وحصانة المؤمن من الشيطان ﴿٩٨ – ١٠٠﴾ 369
هيمنة القرآن وتصديقه للكتب السابقة ﴿١٠١ – ١٠٥﴾..... 372
الإكراه والردة ومآلات جحود الحق ﴿١٠٦ – ١١١﴾..... 376
سنة الاستبدال وجزاء جحود النعم ﴿١١٢ – ١١٨﴾ 380
إبراهيم الأمة ومنهج الدعوة والإحسان ﴿١١٩ – ١٢٨﴾..... 385

سورة يوسف

عَتَبَةُ البَيَانِ الرِّسَالِيِّ وَمَكْرُ البِنْيَةِ الأَخَوِيَّةِ لِإِقْصَاءِ اليَقِينِ (١ – ١٠)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُ REACTORS فاعِلِينَ ﴿١٠﴾ (يوسف: ١ – ١٠)

التيسير

الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ [الظَّاهِرِ المَعْنَى الَّذِي يُبِينُ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ] ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [لِكَيْ تَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهُ بِعُقُولِكُمْ] ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ [أَعْلَى مَنَاهِجِ السَّرْدِ صِدْقًا وَفَعَالِيَّةً] بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ [مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهَذِهِ التَّفَاصِيلِ التَّارِيخِيَّةِ] ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ [مُنْقَادِينَ خَاضِعِينَ فِي الرُّؤْيَا] ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا [فَيَحْتَالُوا لِإِهْلَاكِكَ حَسَدًا] ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ [يَصْطَفِيكَ لِلرِّسَالَةِ وَالتَّمْكِينِ] وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ [عِبَرٌ وَدَلَائِلُ لِمَنْ يَبْحَثُ عَنْ سُنَنِ الِاجْتِمَاعِ وَالمَكْرِ]

﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ [تَكَتُّلٌ رِجَالِيٌّ قَوِيٌّ نَفَعِيٌّ] إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [مَيْلٍ وَاضِحٍ عَنِ الصَّوَابِ فِي التَّقْيِيمِ] ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا [أَلْقُوهُ فِي مَكَانٍ قَاصٍ نَاءٍ] يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ [يَتَفَرَّغْ لَكُمْ وِدُّهُ وَرِعَايَتُهُ] وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ [تَائِبِينَ أَوْ مُصْلِحِينَ لِشَأْنِكُمُ المادِّيّ] ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ [قَعْرِ البِئْرِ العَمِيقَةِ الخَفِيَّةِ] يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ [المسَافِرِينَ المارّينَ] إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ [إِنْ عَزَمْتُمْ عَلَى إِنْفَاذِ الخِطَّةِ] ﴿١٠﴾

النثر

تِلْكَ الدَّلَائِلُ العَالِيَةُ هِيَ آيَاتُ المِنْهَجِ المكْتُوبِ الَّذِي يَكْشِفُ الحَقَائِقَ بِوُضُوحٍ، لَقَدْ أَنْزَلْنَاهُ بِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ ذَاتِ طَاقَةٍ بَيَانِيَّةٍ عَالِيَةٍ لِكَيْ تُفَعِّلُوا أَدَوَاتِ التَّعَقُّلِ وَالنَّقْدِ لَدَيْكُمْ. وَنَحْنُ نَسْرِدُ عَلَيْكَ –أَيُّهَا الرَّسُولُ– أَعْدَلَ وَأَحْسَنَ المَنَاهِجِ القَصَصِيَّةِ عَبْرَ وَحْيِ هَذَا القُرْآنِ، وَإِنْ كُنْتَ قَبْلَ تَنَزُّلِهِ لَا تَمْلِكُ عِلْمًا بِهَذِهِ السُّنَنِ التَّارِيخِيَّةِ. وَتَذْكُرُ البِنْيَةُ التَّارِيخِيَّةُ إِذْ أَفْضَى يُوسُفُ النَّاشِئُ إِلَى أَبِيهِ بِمُعَايَنَتِهِ الرُّؤْيَوِيَّةِ: يَا أَبَتِ إِنِّي عَايَنْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَمَعَهُمُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ يَنْقَادُونَ لِي خُضُوعًا. فَتَلَقَّى الأَبُ الخَبِيرُ الرُّؤْيَا بِحَذَرٍ سُنَنِيٍّ وَقَال: يَا بُنَيَّ احْفَظْ هَذِهِ المعْلُومَةَ وَلَا تُطْلِعْ عَلَيْهَا إِخْوَتَكَ، فَيَسْتَعْمِلُوا ذَكَاءَهُمْ فِي هَنْدَسَةِ مَكْرٍ تَدْمِيرِيٍّ ضِدَّكَ بِدَافِعِ الحَسَدِ، إِذْ إِنَّ الانْفِصَامَ الشَّيْطَانِيَّ يَتَرَبَّصُ بِالإِنْسَانِ عَدَاوَةً كَاشِفَةً. وَكَمَا رَأَيْتَ، فَإِنَّ رَبَّكَ سَيَصْطَفِيكَ لِلْمَشْرُوعِ النَّسَقِيِّ العِلْمِيِّ وَيُكَمِّلُ نِعْمَتَهُ التَّمْكِينِيَّةَ عَلَيْكَ وَعَلَى المنْظُومَةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ لِآلِ يَعْقُوبَ، امْتِدَادًا لِمَا فَعَلَهُ مَعَ الأَجْدَادِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لِأَنَّ رَبَّكَ مُحِيطٌ بِالمصَالِحِ، حَكِيمٌ فِي وَضْعِ المقَادِيرِ. إِنَّ فِي حَرَاكِ يُوسُفَ وَبِنْيَةِ إِخْوَتِهِ لَدَلَائِلَ نَاطِقَةً لِكُلِّ مَنْ يَبْحَثُ عَنْ قَوَانِينِ الاِجْتِمَاعِ البَشَرِيِّ؛ حِينَمَا تَكَتَّلَ الإِخْوَةُ مَادِّيًّا وَقَالُوا: إِنَّ يُوسُفَ وَأَخَاهُ المفْرَدَيْنِ أَحْظَى بِالْمَحَبَّةِ وَالتَّقْدِيرِ عِنْدَ أَبِينَا مِنَّا، رَغْمَ أَنَّنَا نُمَثِّلُ عُصْبَةً قَوِيَّةً تَقُومُ عَلَيْهَا مَصَالِحُ العَائِلَةِ، وَبِذَلِكَ جَعَلُوا فِعْلَ الأَبِ مَيْلًا وَانْحِرَافًا ظَاهِرًا عَنِ المِعْيَارِ النَّفْعِيِّ. فَتَدَاعَتْ آرَاؤُهُمْ إِلَى طَرْحِ خِيَارِ التَّصْفِيَةِ الجَسَدِيَّةِ: اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ انْفُوهُ إِلَى أَرْضٍ مَجْهُولَةٍ بَعِيدَةٍ، لِيَخْلُصَ لَكُمُ الاِهْتِمَامُ السِّيَاسِيُّ وَالعَاطِفِيُّ لِأَبِيكُمْ، وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِ هَذِهِ الجِنَايَةِ جَمَاعَةً تَقُومُ بِتَصْحِيحِ مَسَارِهَا (أَوْ قَوْمًا صَالِحِينَ فِي مَعَاشِكُمْ). لَكِنَّ طَرْحًا آخَرَ أَخَفَّ حِدَّةً بَرَزَ مِنْ دَاخِلِ التَّكَتُّلِ يَقُولُ: لَا تَذْهَبُوا إِلَى جِنَايَةِ القَتْلِ المبَاشِرِ، بَلْ أَلْقُوهُ فِي أَعْمَاقِ البِئْرِ

الخَفِيَّةِ، لِتَلْتَقِطَهُ بَعْضُ القَوَافِلِ التِّجَارِيَّةِ المارَّةِ فَيُبْعَدَ عَنِ المشْهَدِ، إِنْ كُنْتُمْ عَازِمِينَ عَلَى تَنْفِيذِ الإِقْصَاءِ.

المعاني

١. اسْتِعْمَالُ الحُرُوفِ المقَطَّعَةِ "الر" لِإِثَارَةِ الِانْتِبَاهِ إِلَى البِنْيَةِ اللُّغَوِيَّةِ المميَّزَةِ لِلْوَحْيِ (أَصْلُهُ: الر).

٢. وَصْفُ الكِتَابِ بِـ"المبِينِ" لِدَلَالَتِهِ عَلَى النَّصَاعَةِ المعْرِفِيَّةِ الَّتِي تُفَكِّكُ الجَهْلَ (أَصْلُهُ: الْكِتَابِ الْمُبِينِ).

٣. رَبْطُ التَّنْزِيلِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ لِغَايَةِ تَفْعِيلِ العَقْلِ وَالنَّقْدِ (أَصْلُهُ: قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

٤. تَقْرِيرُ أَنَّ القَصَصَ القُرْآنِيَّ يُمَثِّلُ "الأَحْسَنَ" سُنَنِيًّا وَمَعْرِفِيًّا لِخُلُوِّهِ مِنَ التَّزْوِيرِ التَّارِيخِيِّ (أَصْلُهُ: أَحْسَنَ الْقَصَصِ).

٥. وَصْفُ الحَالَةِ السَّابِقَةِ لِلنَّبِيِّ بِـ"الغَافِلِينَ" لِإِفَادَةِ أَنَّ العِلْمَ بِالسُّنَنِ مَصْدَرُهُ الوَحْيُ لَا التَّخْمِينُ (أَصْلُهُ: لَمِنَ الْغَافِلِينَ).

٦. دَلَالَةُ رُؤْيَا يُوسُفَ (الكَوَاكِبُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ) عَلَى الكَوْنِيَّةِ وَالنِّظَامِ الَّذِي يَؤُولُ إِلَيْهِ المشْرُوعُ (أَصْلُهُ: رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ).

٧. اسْتِعْمَالُ نِدَاءِ الرَّحْمَةِ "يَا بُنَيَّ" لِتَأْسِيسِ الحِمَايَةِ النَّفْسِيَّةِ قَبْلَ صَدْمَةِ الحَذَرِ (أَصْلُهُ: يَا بُنَيَّ).

٨. النَّهْيُ عَنْ كَشْفِ المعْلُومَاتِ لِلْبِنْيَةِ الأَخَوِيَّةِ مَنْعًا لِتَحْفِيزِ المكْرِ الحَسَدِيِّ (أَصْلُهُ: لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ).

٩. التَّأْكِيدُ عَلَى أَنَّ الحَسَدَ يُنْتِجُ خِطَطًا مُمَأْسَسَةً ضِدَّ النَّجَاحِ (أَصْلُهُ: فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا).

١٠. جَعْلُ الشَّيْطَانِ عَدُوًّا "مُبِينًا" لِتَفْكِيكِ مَصَادِرِ الِانْفِصَامِ السُّلُوكِيِّ لَدَى البَشَرِ (أَصْلُهُ: عَدُوٌّ مُّبِينٌ).

١١. بَيَانُ أَنَّ الِاجْتِبَاءَ لَيْسَ اعْتِبَاطِيًّا بَلْ يَسِيرُ وَفْقَ نَسَقٍ تَمْكِينِيٍّ (أَصْلُهُ: وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ).

١٢. رَبْطُ تَمَامِ النِّعْمَةِ بِالِامْتِدَادِ الحَضَارِيِّ لِلأَجْدَادِ (إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) (أَصْلُهُ: كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ).

١٣. اقْتِرَانُ العِلْمِ بِالحِكْمَةِ لِتَطْمِئِنَّ الذَّاتُ إِلَى مَسَارِ الِابْتِلَاءِ الشَّاقِّ (أَصْلُهُ: عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

١٤. جَعْلُ قِصَّةِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ مَعْمَلًا مَفْتُوحًا لِإِجَابَةِ البَاحِثِينَ عَنْ سُنَنِ الِاجْتِمَاعِ (أَصْلُهُ: آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ).

١٥. كَشْفُ النَّصِّ عَنْ جِذْرِ المؤَامَرَةِ وَهُوَ المقَارَنَةُ العَاطِفِيَّةُ (أَصْلُهُ: أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا).

١٦. اعْتِمَادُ الإِخْوَةِ عَلَى مَفْهُومِ "العُصْبَةِ" المادِّيِّ لِتَبْرِيرِ أَهْلِيَّتِهِمْ بِالرِّعَايَةِ (أَصْلُهُ: وَنَحْنُ عُصْبَةٌ).

١٧. اتِّهَامُ السُّلْطَةِ الأَبَوِيَّةِ الرَّشِيدَةِ بِـ"الضَّلَالِ المبِينِ" نَتِيجَةَ لِلْقِرَاءَةِ المادِّيَّةِ العَرْجَاءِ (أَصْلُهُ: إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

١٨. طَرْحُ خِيَارِ "القَتْلِ الجَسَدِيِّ" كَأَعْلَى دَرَجَاتِ الإِقْصَاءِ السِّيَاسِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ (أَصْلُهُ: اقْتُلُوا يُوسُفَ).

١٩. اسْتِعْمَالُ التَّبْرِيرِ الأَخْلَاقِيِّ الكَاذِبِ (وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) لِتَمْرِيرِ الجَرِيمَةِ نَفْسِيًّا (أَصْلُهُ: قَوْمًا صَالِحِينَ).

٢٠. ظُهُورُ مَنْهَجِ "تَقْلِيلِ الخَسَائِرِ" دَاخِلَ تكتُّلِ المؤَامَرَةِ عَبْرَ صَوْتِ القَائِلِ (أَصْلُهُ: لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ).

٢١. جَعْلُ "غَيَابَتِ الجُبِّ" رَمْزًا لِلإِخْفَاءِ المِيْدَانِيِّ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى السُّنَنِ الصُّدَفِيَّةِ (السَّيَّارَةِ) (أَصْلُهُ: يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ).

٢٢. رَبْطُ تَنْفِيذِ الخِطَّةِ بِشَرْطِ الفَعَالِيَّةِ الحَرَكِيَّةِ لَدَى المجْمُوعَةِ (أَصْلُهُ: إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ).

الأحكام

١. وجوبُ تَعْمِيلِ النَّقْدِ وَالعَقْلِ فِي نُصُوصِ الوَحْيِ لِاسْتِخْرَاجِ السُّنَنِ المرْشِدَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ").

٢. وجوبُ كِتْمَانِ المشَارِيعِ الِاسْتْرَاتِيجِيَّةِ وَاليَقِينِيَّةِ عَنِ البِيئَاتِ المرْجِفَةِ أَوْ الحَاسِدَةِ تَفَادِيًا لِتَحْفِيزِ المكْرِ السُّلُوكِيّ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "احْفَظْ هَذِهِ المعْلُومَةَ وَلَا تُطْلِعْ عَلَيْهَا إِخْوَتَكَ").

٣. تحريمُ قِيَاسِ أَهْلِيَّةِ الرِّعَايَةِ وَالتَّمْكِينِ بِالمعْيَارِ المادِّيّ المحْضِ (العُصْبَةِ) مَعَ إِغْمَالِ الجَانِبِ الرُّوحِيّ وَالمعْرَفِيّ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصّ: "أَحَبُّ إِلَىَ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ").

٤. تحريمُ اسْتِعْمَالِ مَنْطِقِ التَّسْوِيعِ الأَخْلَاقِيّ (التَّوْبَةِ المسْتَقْبَلِيَّةِ) لِتَبْرِيرِ مُمَارَسَةِ الجَرِيمَةِ أَوْ الإِقْصَاءِ فِي الوَقْتِ الحَالِيّ (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ").

القواعد

• قاعدة الكِتْمَانِ الحِمَائِيّ لِلْمَشَارِيعِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ كَشْفَ الحَقَائِقِ المسْتُورَةِ أَوْ الطُّمُوحَاتِ العَالِيَةِ أَمَامَ بِيئَاتٍ تَعِيشُ الانفصام السُّلُوكِيَّ يُنْتِجُ تِلْقَائِيًّا كَيْدًا مُضَادًّا يَسْتَهْدِفُ تَعْطِيلَ النَّمَاءِ (الدَّلِيلُ: لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا).

• قاعدة سُنَنِيَّةِ الِاخْتِبَارِ لِلسَّائِلِينَ: وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ الصِّرَاعَ بَيْنَ المشْرُوعِ المعْرَفِيّ المفْرَدِ وَالتَّكَتُّلِ المادِّيّ العَصَبِيّ هُوَ مَخْبَرٌ عِلْمِيٌّ ثَابِتٌ يُقَدِّمُ قَوَانِينَ صَارِمَةً لِكُلِّ مَنْ يَبْحَثُ عَنْ حَقِيقَةِ التَّطَوُّرِ الِاجْتِمَاعِيّ (الدَّلِيلُ: لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ).

• قاعدة التَّبْرِيرِ النَّفْسِيّ لِلإِقْصَاءِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ المجْمُوعَاتِ المرْجِفَةِ حِينَمَا تَعْزِمُ عَلَى تَصْفِيَةِ الخُصُومِ أَوْ إِقْصَائِهِمْ، تَعْمَدُ إِلَى خَلْقِ وَهْمٍ أَخْلَاقِيّ يَعِدُ بِالصَّلَاحِ بَعْدَ الذَّنْبِ لِتَهْدِئَةِ الصَّرِيرِ النَّفْسِيّ الدَّاخِلِيّ (الدَّلِيلُ: يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ).

الأبعاد

فَعَالِيَّةُ البَيَانِ اللُّغَوِيّ وَمَأْسَسَةُ التَّعَقُّلِ النَّقْدِيّ

يَتَأَسَّسُ هَذَا المِسَارُ عَلَى تَفْكِيكِ أَدَوَاتِ الِاسْتِقْبَالِ المعْرَفِيّ لَدَى الإِنْسَانِ، حَيْثُ يُعْلِنُ النَّصُّ أَنَّ نُزُولَ المنْهَجِ بِبِنْيَةٍ لُّغَوِيَّةٍ مَحْدُودَةٍ "قُرْآنًا عَرَبِيًّا" لَيْسَ هَدَفًا بِذَاتِهِ، بَلْ هُوَ آلِيَّةٌ تَقْنِينِيَّةٌ لِتَحْفِيزِ "العَقْلِ". إِنَّ رَفْضَ الانفصام المعْرَفِيّ يَقْتَضِي أَنْ نَرَى فِي "أَحْسَنِ القَصَصِ" مَادَّةً مُخْتَبَرِيَّةً تُخْرِجُ

الإِنْسَانَ مِنْ طَبَقَةِ "الغَافِلِينَ" إِلَى طَبَقَةِ المُنْتِجِينَ لِلْوَعْيِ، مِمَّا يَجْعَلُ تَدَبُّرَ التَّارِيخِ عَمَلِيَّةً بِنْيَوِيَّةً تَحْمِي العَقْلَ الجَمْعِيَّ مِنَ الِانْجِرَافِ وَرَاءَ الأَسَاطِيرِ الكَاذِبَةِ الَّتِي تَعُوقُ التَّطَوُّرَ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ

جينالوجيا الصِّدَامِ العَاطِفِيِّ وَوَهْمُ التَّفَوُّقِ العَصَبِيِّ (العُصْبَةِ)

يُشَرِّحُ هَذَا المِبْحَثُ البِنْيَةَ النَّفْسِيَّةَ لِلتَّكَتُّلِ المِادِّيِّ حِينَمَا يَشْعُرُ بِالتَّهْدِيدِ أَمَامَ التَّمَيُّزِ المِعْرَفِيِّ المُفْرَدِ (يُوسُفَ). إِنَّ مَنْطِقَ "وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" يُمَثِّلُ جِذْرَ الفَسَادِ الِاجْتِمَاعِيِّ، لِأَنَّهُ يَقِيسُ الحَقَّ بِكَثْرَةِ العَدَدِ وَامْتِلَاكِ مَوَارِدِ القُوَّةِ العَضَلِيَّةِ، مِمَّا أَدَّى بِالإِخْوَةِ إِلَى اتِّهَامِ الرَّشَادِ الأَبَوِيِّ بِـ"الضَّلَالِ". هَذَا التَّحْلِيلُ يَكْشِفُ كَيْفَ يَتَحَوَّلُ الحَسَدُ إِلَى طَاقَةٍ عَمْيَاءَ تُبَرِّرُ الجَرِيمَةَ تَبْرِيرًا نَفْعِيًّا (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ)، حَيْثُ تَعْتَقِدُ المِجْمُوعَةُ أَنَّ إِزَاحَةَ الرَّمْزِ سَتَمْنَحُهُمُ الصَّدَارَةَ السِّيَاسِيَّةَ وَالِاجْتِمَاعِيَّةَ دُونَ جَدَارَةٍ حَقِيقِيَّةٍ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ... اقْتُلُوا يُوسُفَ

هَنْدَسَةُ المِكْرِ السُّنَنِيِّ وَتَدَرُّجُ السِّيَاسَاتِ الإِقْصَائِيَّةِ

يُقَدِّمُ النَّصُّ نَمُوذَجًا دُسْتُورِيًّا لِصِنَاعَةِ القَرَارِ دَاخِلَ جَمَاعَاتِ المِكْرِ، حَيْثُ يَتَدَرَّجُ السُّلُوكُ القَانُونِيُّ الإِجْرَامِيُّ مِنْ خِيَارِ التَّصْفِيَةِ المُبَاشِرَةِ "اقْتُلُوا" إِلَى خِيَارِ النَّفْيِ الرَّحِيمِ ظَاهِرِيًّا "أَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ". هَذَا التَّحَوُّلُ الَّذِي قَادَهُ "قَائِلٌ مِنْهُمْ" يُعَبِّرُ عَنْ قَانُونِ التَّدَاوُلِ وَتَقْلِيلِ الكُلْفَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِلْجَرِيمَةِ، إِذْ يَعْتَمِدُ الإِخْوَةُ عَلَى اسْتِغْلَالِ حَرَكَةِ "السَّيَّارَةِ" (العَامِلِ الخَارِجِيِّ الصُّدَفِيِّ) لِتَحْقِيقِ الإِقْصَاءِ دُونَ تَحَمُّلِ دَمِ الضَّحِيَّةِ، مِمَّا يُظْهِرُ كَيْفَ تُصَاغُ القَوَانِينُ السِّرِّيَّةُ لِلْمُؤَامَرَاتِ لِتَبْدُوَ أَقَلَّ بَشَاعَةً أَمَامَ الضَّمِيرِ الجَمْعِيِّ لِلْعُصْبَةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ

الِامْتِدَادُ النِّعْمَوِيُّ التَّارِيخِيِّ وَتَفْكِيكُ الِانْفِصَامِ القِيَمِيِّ

يَعْرِضُ هَذَا البُعْدُ الإِطَارَ الحَضَارِيَّ الَّذِي يَحْمِي الِاجْتِبَاءَ المِعْرِيَّ، فَالِانْتِقَالُ مِنْ رُؤْيَا الذَّاتِ إِلَى التَّحْقِيقِ المِيدَانِيِّ يَمُرُّ عَبْرَ "إِتْمَامِ النِّعْمَةِ" المَوْصُولَةِ بِتَارِيخِ الأَجْدَادِ (إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ). هَذَا التَّلَاحُمُ التَّارِيخِيُّ يَكْسِرُ جِدَارَ الانفصام الَّذِي يُرِيدُ الإِخْوَةُ صِنَاعَتَهُ عَبْرَ قَطْعِ سِلْسِلَةِ الصَّلَاحِ، إِذْ يُؤَكِّدُ النَّصُّ أَنَّ العِلْمَ وَالحِكْمَةَ الإِلَهِيَّةَ يَعْمَلَانِ كَشَبَكَةٍ أَمَانٍ عُلْيَا تُحِيطُ بِالضَّحِيَّةِ حَتَّى فِي أَعْمَاقِ الجُبِّ، لِتَحْوِيلِ فِعْلِ الإِقْصَاءِ المَادِّيِّ إِلَى مُقَدِّمَةٍ حَتْمِيَّةٍ لِبِنَاءِ مُجْتَمَعٍ جَدِيدٍ يَقُومُ عَلَى نَسَقِ التَّمْكِينِ الرَّشِيدِ لَا عَلَى مَنْطِقِ العُصْبَةِ المُرْجِفَةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ ... إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

اخْتِطَافُ الضَّحِيَّةِ وَتَسْوِيقُ الدَّمِ الكَذِبِ وَتَحْوِيلِ اليَقِينِ إِلَى سِلْعَةٍ (١١ – ٢٠)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ (يوسف: ١١ – ٢٠)

التيسير

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ [مُخْلِصُونَ فِي رِعَايَتِهِ] ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ [يَبْتَهِجْ وَيَسْتَمْتِعْ بِالْمَأْكَلِ وَالنَّعِيمِ] وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ [مَشْغُولُونَ بِاللَّهْوِ] ﴿١٣﴾

قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ [تَكَتُّلٌ قَوِيٌّ] إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ [عَاجِزُونَ هَالِكُونَ] ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا [اتَّفَقُوا بِحَسْمٍ وَإِصْرَارٍ] أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [لَا يَتَوَقَّعُونَ هَذَا المآلَ] ﴿١٥﴾ وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ [نَتَجَارَى وَنَتَسَابَقُ] وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا [أَشْيَائِنَا وَحَقَائِبِنَا] فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا [بِمُصَدِّقٍ لَنَا نَتِيجَةَ سُوءِ الظَّنِّ] وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ [زَيَّنَتْ وَسَهَّلَتْ] لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ [صَبْرٌ لَا شَكْوَى فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ] ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ [عَلَى مَا تَخْتَلِقُونَ مِنَ الكَذِبِ] ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ [قَافِلَةٌ مِنَ المسَافِرِينَ] فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ [مَنْ يَتَقَدَّمُهُمْ لِيَطْلُبَ الماءَ] فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً [أَخْفَوْا أَمْرَهُ لِيَبِيعُوهُ كَسِلْعَةٍ] ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ [بَاعُوهُ، وَتَصْلُحُ بِمَعْنَى اشْتَرَوْهُ] بِثَمَنٍ بَخْسٍ [زَهِيدٍ نَاقِصٍ عَنِ القِيمَةِ] دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ [غَيْرَ الرَّاغِبِينَ فِيهِ لِخَوْفِهِمْ مِنْ انْكِشَافِ أَمْرِهِمْ] ﴿٢٠﴾

النشر

لَجَأَ الإِخْوَةُ إِلَى الخِدَاعِ التَّكْتِيكِيِّ لِتَمْرِيرِ المشْرُوعِ، فَقَالُوا: يَا أَبَانَا مَا هُوَ مَبْرَرُ حَذَرِكَ الَّذِي يَجْعَلُكَ لَا تَأْمَنُنَا عَلَى نَفْسِ يُوسُفَ، رَغْمَ أَنَّنَا نَحْمِلُ لَهُ النُّصْحَ وَالإِخْلَاصَ البَاطِنِيَّ؟ دَعْهُ يَنْطَلِقْ مَعَنَا غَدًا إِلَى المرَاعِي الحُرَّةِ لِيَبْتَهِجَ وَيُمَارِسَ اللَّعْبَ، وَنَحْنُ نَتَعَهَّدُ بِإِقَامَةِ بِنْيَةٍ حِمَائِيَّةٍ صَارِمَةٍ لَهُ. فَعَبَّرَ الأَبُ الخَبِيرُ عَنْ قَلَقِهِ السُّنَنِيِّ وَالنَّفْسِيِّ قَائِلًا: إِنَّ مُجَرَّدَ ابْتِعَادِكُمْ بِهِ يَجْلِبُ لِنَفْسِي الحُزْنَ، وَأَخْشَى أَنْ يَتَعَرَّضَ لِهُجُومِ الذِّئْبِ التَّارِيخِيِّ فِي لَحْظَةٍ تَكُونُونَ فِيهَا فِي غَفْلَةٍ وَانْشِغَالٍ عَنْهُ. فَرَدُّوا مُسْتَعْمِلِينَ ذَاتَ المِعْيَارِ المادِّيِّ: لَئِنْ تَمَكَّنَ الذِّئْبُ مِنْ طَرْحِهِ وَأَكْلِهِ رَغْمَ أَنَّنَا نُمَثِّلُ عُصْبَةً رِجَالِيَّةً مُتَكَاتِلَةً، فَإِنَّنَا إِذَنْ لَنَحْمِلُ صِفَةَ العَجْزِ وَالخُسْرَانِ الكَامِلِ لِوُجُودِنَا. فَلَمَّا أَنْفَذُوا خِطَّةَ الِاحْتِطَافِ وَذَهَبُوا بِهِ، وَاسْتَقَرَّ إِجْمَاعُهُمُ المؤَسَّسِيُّ عَلَى إِقْصَائِهِ بِإِلْقَائِهِ فِي أَعْمَاقِ البِئْرِ الخَفِيَّةِ، تَدَخَّلَ المدَدُ الإِلَهِيُّ فَأَوْحَيْنَا إِلَى يُوسُفَ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ طَمْأَنَةً وَيَقِينًا: لَتَقُومَنَّ فِي المسْتَقْبَلِ بِكَشْفِ هَذِهِ المسْأَلَةِ لَهُمْ وَمُوَاجَهَتِهِمْ بِجِنَايَتِهِمْ، فِي وَقْتٍ لَا يَمْلِكُونَ فِيهِ أَيَّ شُعُورٍ بِتَحَوُّلِ المَوَازِينِ. وَعَادَ الإِخْوَةُ إِلَى أَبِيهِمْ فِي وَقْتِ العِشَاءِ المظْلِمِ يَسْتَعْمِلُونَ البُكَاءَ السِّلَاحِيَّ المصْنُوعَ تَعْمِيَةً لِلْحَقِيقَةِ. فَقَالُوا مُتَبَاكِينَ: يَا أَبَانَا إِنَّا انْطَلَقْنَا نَتَسَابَقُ وَنَتَجَارَى فِي المِيْدَانِ، وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ قَاعِدَةِ مَتَاعِنَا لِحِفْظِهِ، فَدَاهَمَهُ الذِّئْبُ وَأَكَلَهُ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ لَنْ تُصَدِّقَ رِوَايَتَنَا نَتِيجَةَ رِيبَتِكَ السَّابِقَةِ بِنَا، حَتَّى لَوْ كُنَّا فِي

حَقِيقَةِ الأَمْرِ مِنَ الصَّادِقِينَ. وَقَدَّمُوا لِلْمَحْكَمَةِ الأَبَوِيَّةِ دَلِيلًا مَادِّيًّا مُزَوَّرًا، إِذْ لَطَّخُوا قَمِيصَهُ بِدَمٍ غَيْرِ حَقِيقِيٍّ، فَفَكَّكَ الأَبُ الخَبِيرُ الرِّوَايَةَ وَالدَّلِيلَ مَعًا وَقَال: لَمْ يَأْكُلْهُ ذِئْبٌ، بَلْ زَيَّنَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمُ المُرْجِفَةُ خُطَّةً صَنَعْتُمُوهَا عَمْدًا، فَمَوْقِفِي الحَالِيُّ هُوَ الِالتِجَاءُ إِلَى الصَّبْرِ الجَمِيلِ الَّذِي لَا كَدَرَ فِيهِ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي كَشْفِ وَتَفْكِيكِ مَا تَخْتَلِقُونَهُ مِنَ الأَوْصَافِ الكَاذِبَةِ. وَفِي المَيْدَانِ، وَصَلَتْ قَافِلَةٌ تِجَارِيَّةٌ مِنَ المسَافِرِينَ، فَأَرْسَلُوا الشَّخْصَ المسْؤُولَ عَنْ جَلْبِ الماءِ، فَلَمَّا أَلْقَى بِدَلْوِهِ فِي البِئْرِ تَعَلَّقَ بِهِ يُوسُفُ، فَهَتَفَ الرَّجُلُ مُسْتَبْشِرًا: يَا لَلْمُفَاجَأَةِ السَّارَّةِ هَذَا صَبِيٌّ نَفِيسٌ! وَقَامَتْ رِجَالَاتُ القَافِلَةِ بِكِتْمَانِ أَمْرِهِ وَإِخْفَائِهِ لِتَحْوِيلِهِ إِلَى سِلْعَةٍ تِجَارِيَّةٍ مَرْبُوحَةٍ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِمَا يَصْنَعُونَهُ مِنَ الِانْتِهَاكِ. وَنَتِيجَةً لِخَوْفِ الإِخْوَةِ أَوْ القَافِلَةِ مِنَ الِانْكِشَافِ، بَاعُوهُ فِي سُوقِ الرَّقِيقِ بِثَمَنٍ زَهِيدٍ جِدًّا لَا يَتَعَدَّى دَرَاهِمَ قَلِيلَةً مَحْدُودَةً، وَكَانُوا زَاهِدِينَ فِي الِاحْتِفَاظِ بِهِ لِأَنَّ هَدَفَهُمْ الأَسَاسِيَّ كَانَ التَّخَلُّصَ مِنَ الأَثَرِ لَا تَثْمِينَ المرَبَّعِ المعْرِفِيِّ الَّذِي يَحْمِلُهُ.

المعاني

١. اسْتِعْمَالُ تَعْبِيرِ "مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا" لِإِفَادَةِ وُجُودِ رِيبَةٍ تَارِيخِيَّةٍ مُسْتَقِرَّةٍ لَدَى الأَبِ تِجَاهَ العُصْبَةِ (أَصْلُهُ: مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا).

٢. ادِّعَاءُ صِفَةِ "النَّصِيحِ" لِتَغْطِيَةِ التَّحَرُّكِ المكْرِيِّ البَاطِنِيِّ (أَصْلُهُ: وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ).

٣. اسْتِغْلَالُ الرَّغَبَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلنَّاشِئِ (اللَّعْبِ وَالِارْتِيَاعِ) كَذَرِيعَةٍ لِتَمْرِيرِ الِاخْتِطَافِ (أَصْلُهُ: يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ).

٤. دَلَالَةُ التَّأْكِيدِ بِـ"إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" عَلَى صِنَاعَةِ ضَمَانَاتٍ أَمْنِيَّةٍ كَاذِبَةٍ لِخِدَاعِ السُّلْطَةِ (أَصْلُهُ: لَحَافِظُونَ).

٥. اسْتِعْمَالُ النَّبِيِّ يَعْقُوبَ لِفِعْلِ "يَحْزُنُنِي" لِبَيَانِ أَنَّ مُجَرَّدَ قَطْعِ الِاتِّصَالِ بِاليَقِينِ يُنْتِجُ كَدَرًا نَفْسِيًّا (أَصْلُهُ: لَيَحْزُنُنِي).

٦. تَقْدِيمُ فَرَضِيَّةِ "الذِّئْبِ" مِنْ قِبَلِ الأَبِ كَتَشْخِيصٍ لِمَخَاطِرِ البِيئَةِ الخَارِجِيَّةِ (أَصْلُهُ: أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ).

٧. رَبْطُ حُدُوثِ الكَارِثَةِ بِصِفَةِ "الغَفْلَةِ" النَّاتِجَةِ عَنِ اللَّهْوِ الِاجْتِمَاعِيِّ (أَصْلُهُ: وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ).

٨. ارْتِكَازُ العُصْبَةِ عَلَى مَنْطِقِ القُوَّةِ العَدَدِيَّةِ لِنَفْيِ الِاحْتِمَالَاتِ النَّقْدِيَّةِ (أَصْلُهُ: وَنَحْنُ عُصْبَةٌ).

٩. التَّعْبِيرُ بِـ"أَجْمَعُوا" لِإِفَادَةِ تَحَوُّلِ الفِكْرَةِ الإِقْصَائِيَّةِ الفَرْدِيَّةِ إِلَى قَرَارٍ جَمَعِيٍّ مُمَأْسَسٍ (أَصْلُهُ: وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ).

١٠. نُزُولُ الوَحْيِ "وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ" فِي قَعْرِ الجُبِّ لِبَيَانِ أَنَّ الِاتِّصَالَ بِالمَعْرِفَةِ لَا يَنْقَطِعُ بِعَوَامِلِ الجُغْرَافْيَا المَادِّيَّةِ (أَصْلُهُ: وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ).

١١. جَعْلُ "التَّنْبِئَةِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ" آلِيَّةً نَفْسِيَّةً لِصِنَاعَةِ الصُّمُودِ لَدَى الضَّحِيَّةِ (أَصْلُهُ: لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ).

١٢. اخْتِيَارُ زَمَنِ "العِشَاءِ" لِلْعَوْدَةِ لِاسْتِغْلَالِ الظُّلْمَةِ كَأَدَاةٍ نَفْسِيَّةٍ تُسَاعِدُ عَلَى تَمْرِيرِ الكَذِبِ (أَصْلُهُ: عِشَاءً يَبْكُونَ).

١٣. اسْتِعْمَالُ "البُكَاءِ المَصْنُوعِ" لِتَعْطِيلِ أَدَوَاتِ التَّحْقِيقِ المَنْطِقِيِّ لَدَى الحَاكِمِ أَوْ الأَبِ (أَصْلُهُ: يَبْكُونَ).

١٤. صِيَاغَةُ رِوَايَةِ "الِاسْتِبَاقِ" لِتَبْرِيرِ حُدُوثِ الغَفْلَةِ الَّتِي حَذَّرَ مِنْهَا الأَبُ سَابِقًا (أَصْلُهُ: إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ).

١٥. اسْتِعْمَالُ عِبَارَةِ "وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا" كَاسْتِبَاقٍ نَفْسِيٍّ هُجُومِيٍّ لِإِحْرَاجِ المُحَقِّقِ (أَصْلُهُ: وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا).

١٦. تَقْدِيمُ "القَمِيصِ المُلَطَّخِ" كَدَلِيلٍ جِنَائِيٍّ مُزَوَّرٍ لِإِغْلَاقِ المَلَفِّ (أَصْلُهُ: بِدَمٍ كَذِبٍ).

١٧. اسْتِعْمَالُ يَعْقُوبَ لِتَعْبِيرِ "سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ" لِتَعْرِيَةِ مَكْنُونَاتِ الانفصام السُّلُوكِيِّ لَدَى العُصْبَةِ (أَصْلُهُ: سَوَّلَتْ لَكُمْ).

١٨. جَعْلُ "الصَّبْرِ الجَمِيلِ" مَوْقِفًا لَا يَعْنِي الِاسْتِسْلَامَ، بَلْ هُوَ إِدَارَةٌ ذَكِيَّةٌ لِلْأَزْمَةِ لِحِينِ نَفَاذِ السُّنَنِ (أَصْلُهُ: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ).

١٩. قَصْرُ طَلَبِ العَوْنِ عَلَى اللَّهِ "وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ" لِتَفْكِيكِ أَوْصَافِ المُرْجِفِينَ (أَصْلُهُ: وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ).

٢٠. دُخُولُ عَنِصرُ "السَّيَّارَةِ" (القَافِلَةِ) لِبَيَانِ تَدَاخُلِ السُّنَنِ الِاقْتِصَادِيَّةِ الحُرَّةِ مَعَ مَسَارِ الرِّسَالَةِ (أَصْلُهُ: وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ).

٢١. تَحْوِيلُ الإِنْسَانِ المِعْرَفِيّ إِلَى "بِضَاعَةٍ مَكْتُومَةٍ" لِتَحْقِيقِ الرِّبْحِ السَّرِيعِ (أَصْلُهُ: وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً).

٢٢. التَّعْبِيرُ بِـ"شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ" لِبَيَانِ أَنَّ بِيئَاتِ الجَهْلِ لَا تَمْلِكُ أَدَوَاتٍ لِتَقْيِيمِ رَأْسِ المالِ البَشْرِيّ الحَقِيقِيّ (أَصْلُهُ: شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ).

٢٣. وَصْفُهُمْ بِـ"الزَّاهِدِينَ" لِأَنَّ الخَوْفَ السِّيَاسِيَّ مِنَ الِانْكِشَافِ يُعْمِي عَنِ الِاسْتِثْمَارِ المِعْرَفِيّ (أَصْلُهُ: مِنَ الزَّاهِدِينَ).

الأحكام

١. تحريمُ اسْتِعْمَالِ مَظَاهِرِ الخِدَاعِ وَمَوَاثِيقِ الأَمَانِ الكَاذِبَةِ لِتَمْرِيرِ أَعْمَالِ التَّصْفِيَةِ أَوْ الإِقْصَاءِ الِاجْتِمَاعِيّ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ").

٢. وجوبُ بِنَاءِ الأَمْنِ النَّفْسِيّ لَدَى الضَّحَايَا وَتَثْبِيتِهِمْ مَعْرَفِيًّا فِي لَحَظَاتِ السُّقُوطِ فِي غَيَابَاتِ المكْرِ (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا").

٣. وجوبُ عَدَمِ الِاكْتِفَاءِ بِالأَدِلَّةِ المادِّيَّةِ الظَّاهِرَةِ (كَالدَّمِ الكَذِبِ) دُونَ نَقْدِهَا وَتَفْكِيكِ سِيَاقَاتِهَا المَوْضُوعِيَّةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "فَفَكَّكَ الأَبُ الخَبِيرُ الرِّوَايَةَ وَالدَّلِيلَ مَعًا").

٤. تحريمُ تَمْلِيكِ الإِنْسَانِ أَوْ تَسْعِيرِهِ كَسِلْعَةٍ تِجَارِيَّةٍ (بِضَاعَةٍ)، وَجَعْلِهِ خَاضِعًا لِمَوَازِينِ العَرْضِ وَالطَّلَبِ المادِّيّ الزَّهِيدِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ").

القواعد

• قاعدة التَّعْمِيَةِ النَّفْسِيَّةِ بِالبُكَاءِ السِّلَاحِيّ: وَتَقْضِي بِأَنَّ المجْمُوعَاتِ المرْجِفَةِ حِينَمَا تَقْتَرِفُ جِنَايَةً تَنْظِيمِيَّةً، تَعْمَدُ إِلَى اسْتِعْمَالِ مَظَاهِرِ الِانْكِسَارِ العَاطِفِيّ (عِشَاءً يَبْكُونَ) لِإِحْدَاثِ صَدْمَةٍ نَفْسِيَّةٍ تُعَطِّلُ نَقْدَ الرِّوَايَةِ (الدَّلِيلُ: وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ).

• قاعدة نَقْدِ الدَّلِيلِ المادِّيِّ المزَوَّرِ: وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ الدَّلِيلَ المصَنَّعَ (كَالقَمِيصِ الملَطَّخِ مَعَ سَلَامَتِهِ مِنَ التَّمْزِيقِ) يَنْهَارُ مَعْرِفِيًّا أَمَامَ النَّظَرِ السُّنَنِيِّ المحْكُومِ بِالخِبْرَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ (الدَّلِيلُ: وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ).

• قاعدة بَخْسِ القِيمَةِ البَشَرِيَّةِ فِي بِيئَاتِ الخَوْفِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ النُّظُمَ الَّتِي تَعْمَلُ بِمَنْطِقِ التَّهْرِيبِ وَالمكْرِ تَكُونُ زَاهِدَةً فِي رَأْسِ المالِ البَشَرِيِّ المعْرَفِيِّ، فَتَبِيعُهُ بِأَقَلِّ الأَثْمَانِ تَخَلُّصًا مِنَ التَّبِعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ (الدَّلِيلُ: وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ... وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ).

الأبعاد

بِنَاءُ الخِدَاعِ التَّكْتِيكِيِّ وَاسْتِغْلَالُ ثَغَرَاتِ الرَّغْبَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ

يَشْتَغِلُ هَذَا المِسَارُ عَلَى تَشْرِيحِ كَيْفِيَّةِ صِنَاعَةِ "الأَمَانِ الكَاذِبِ" مِنْ قِبَلِ العُصْبَةِ، حَيْثُ اسْتَعْمَلُوا لُغَةً تُمَوِّهُ الانفصام السُّلُوكِيَّ البَاطِنِيَّ (مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا). إِنَّ هَذِهِ الهَنْدَسَةَ التَّكْتِيكِيَّةَ تَعْتَمِدُ عَلَى دِرَاسَةِ حَاجَاتِ الضَّحِيَّةِ (يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ) لِتَكُونَ هِيَ الطُّعْمَ الَّذِي يَقْتَرِحُونَهُ عَلَى السُّلْطَةِ الأَبَوِيَّةِ. الإِخْوَةُ هُنَا لَا يَتَحَرَّكُونَ بِعَشْوَائِيَّةٍ، بَلْ يَخْلُقُونَ سِيَاقًا يَصْعُبُ رَفْضُهُ ظَاهِرِيًّا، لَكِنَّ هَذَا الِانْدِفَاعَ المكْرِيَّ يَصْطَدِمُ بِتَحْلِيلِ النَّبِيِّ يَعْقُوبَ الَّذِي رَبَطَ خَطَرَ "الذِّئْبِ" بِـ"الغَفْلَةِ"، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ اللَّهْوَ الِاجْتِمَاعِيَّ هُوَ المعْبَرُ الأَسَاسِيُّ لِتَمْرِيرِ الِاخْتِرَاقَاتِ التَّدْمِيرِيَّةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ... أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ

بِنْيَةُ الرِّوَايَةِ الجِنَائِيَّةِ الكَاذِبَةِ وَسِلَاحُ التَّبَاكِي السِّيَاسِيِّ

يُفَكِّكُ هَذَا المِحْوَرُ المعْرَفِيُّ مَرْحَلَةَ "مَا بَعْدَ الجَرِيمَةِ"، حَيْثُ نَشْهَدُ صِنَاعَةَ سِيناريو كَامِلٍ يَعْتَمِدُ عَلَى مُتَوَالِيَةِ (الظُّلْمَةِ، البُكَاءِ، التَّسَابُقِ، الدَّلِيلِ المادِّيِّ المزَوَّرِ). إِنَّ لُجُوءَ العُصْبَةِ إِلَى العَوْدَةِ "عِشَاءً" مَعَ اسْتِعْمَالِ فِعْلِ "يَبْكُونَ" هُوَ اسْتِغْلَالٌ بَشِعٌ لِلْعَوَاطِفِ لِتَغْطِيَةِ الانفصام الوجودي عَبْرَ إِحْرَاجِ الأَبِ (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا). هَذَا السُّلُوكُ يُمَثِّلُ مَدْرَسَةً فِي تَزْوِيرِ الحَقَائِقِ تَعْتَمِدُ عَلَى قَلْبِ الأَدْوَارِ، فَيَتَحَوَّلُ المكَّارُونَ إِلَى ضَحَايَا مَكْلُومِينَ، وَيُصْبِحُ القَمِيصُ الملَطَّخُ بِالدَّمِ الكَذِبِ هُوَ الوَثِيقَةَ الرَّسْمِيَّةَ الَّتِي يَمْنَحُونَهَا لِلْمُجْتَمَعِ لِإِغْلَاقِ مَلَفِّ يُوسُفَ نِهَائِيًّا.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ... وَجَاءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ

تَفْكِيكُ المحْكَمَةِ الرَّشِيدَةِ لِلْمَكْرِ وَنَفْعِيَّةُ الِاسْتِعَانَةِ المعْرِفِيَّةِ

يُقَدِّمُ هَذَا السِّيَاقُ مَوْقِفَ النَّبِيِّ يَعْقُوبَ كَنَمُوذَجٍ تَقْنِينِيٍّ فِي رَفْضِ الِانْصِيَاعِ لِلرِّوَايَاتِ المفْرُوضَةِ رَغْمَ ضَغْطِ العَاطِفَةِ وَالدَّلِيلِ المادِّيِّ. فَعِبَارَةُ "بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا" هِيَ إِعْلَانٌ دُسْتُورِيٌّ بِبُطْلَانِ الرِّوَايَةِ الجِنَائِيَّةِ لِلْعُصْبَةِ. وَهُنَا يَتَحَوَّلُ تَقْنِينُ "الصَّبْرِ الجَمِيلِ" إِلَى مَشْرُوعٍ حَرَكِيٍّ يَرْفُضُ مُجَارَاةَ الفَسَادِ، بَلْ يَعْتَمِدُ عَلَى المرَبَّعِ الأَعْلَى "وَاللَّهُ المسْتَعَانُ" كَأَدَاةٍ مَعْرِفِيَّةٍ لِإِبْطَالِ "مَا تَصِفُونَ". هَذَا البُعْدُ يَضَعُ مِعْيَارًا لِلْقِيَادَةِ الرَّشِيدَةِ الَّتِي لَا تَسْتَسْلِمُ لِلْأَمْرِ الوَاقِعِ المصْنُوعِ بِالمكْرِ، بَلْ تَنْتَظِرُ تَفَكُّكَهُ السُّنَنِيّ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ

تَسْعِيرُ الإِنْسَانِ مَادِّيًّا وَتَحْوِيلُ اليَقِينِ إِلَى بِضَاعَةٍ تِهْرِيبِيَّةٍ

يُرْكِزُ هَذَا المسَارُ عَلَى تَشْرِيحِ النِّظَامِ الِاقْتِصَادِيِّ الرَّأْسِمَالِيِّ البَخْسِ الَّذِي دَاخَلَ مَسَارَ الضَّحِيَّةِ عَبْرَ "السَّيَّارَةِ". حِينَمَا تَحَوَّلَ يُوسُفُ عِنْدَهُمْ إِلَى "غُلَامٍ" صَالِحٍ لِلْبَيْعِ، قَامُوا بِفِعْلِ الِانْتِهَاكِ الأَكْبَرِ "وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً" لِتَحْقِيقِ كَسْبٍ تِهْرِيبِيٍّ خَارِجٍ عَنِ القَانُونِ الِاجْتِمَاعِيِّ. هَذَا التَّحْوِيلُ السِّلَعِيُّ لِلْإِنْسَانِ المعْرَفِيِّ قَادَ إِلَى بَيْعِهِ بِـ"ثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ"، وَهُوَ تَعْبِيرٌ بِنْيَوِيٌّ عَنْ عَجْزِ أَسْوَاقِ الجَهْلِ عَنْ تَقْيِيمِ اليَقِينِ، حَيْثُ سَيْطَرَتْ صِفَةُ "الزُّهْدِ" التَّارِيخِيِّ عَلَى عَقْلِيَّةِ البَائِعِينَ لِأَنَّ هَدَفَهُمْ هُوَ التَّخَلُّصُ السِّيَاسِيُّ السَّرِيعُ مِنَ الأَثَرِ، مِمَّا جَعَلَ سِجِلَّ اللَّهِ "وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ" هُوَ الضَّامِنَ الوَحِيدَ لِتَفْكِيكِ هَذِهِ المنْظُومَةِ النَّفَعِيَّةِ المرْجِفَةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ

الِاسْتِقْرَارُ التَّمْكِينِيُّ فِي المسْكَنِ المِصْرِيِّ وَمُوَاجَهَةُ المرَاوَدَةِ النَّفْسِيَّةِ (٢١ – ٢٩)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ (يوسف: ٢١ – ٢٩)

التيسير

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ [اجْعَلِي مَقَامَهُ عِنْدَنَا كَرِيمًا عَزِيزًا] عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ [تَفْسِيرِ الرُّؤَى وَمَآلَاتِ الأُمُورِ] ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ [مَبْلَغَ كَمَالِ قُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ] آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ [طَلَبَتْ مِنْهُ مُوَاقَعَتَهَا بِلُطْفٍ وَخِدَاعٍ] الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ [تَعَالَ وَأَقْبِلْ نَحْوِي] ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ [أَعُوذُ بِاللَّهِ وَأَعْتَصِمُ بِهِ] ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ [إِنَّ سَيِّدِي أَكْرَمَ مَقَامِي فَلَا أَخُونُهُ، أَوْ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي أَحْسَنَ مَقَامِي] ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ [مَالَتْ نَحْوَهُ وَعَزَمَتْ] ۖ وَهَمَّ بِهَا [مَالَ طَبْعُهُ البَشَرِيُّ لَوْلَا العِصْمَةُ] لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ [آيَةَ العِصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ الَّتِي صَرَفَتْهُ] ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ [الَّذِينَ أَخْلَصْنَاهُمْ لِنَفْسِنَا] ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ [تَسَارَعَا نَحْوَ البَابِ هُوَ لِلْفِرَارِ وَهِيَ لِلْإِمْسَاكِ] وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ [شَقَّتْهُ] مِن دُبُرٍ [مِنْ خَلْفٍ] وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا [وَجَدَا زَوْجَهَا] لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ [مِنْ أَمَامٍ] فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ [مِنْ خَلْفٍ] فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ [مِنْ مَكْرِكُنَّ وَاحْتِيَالِكُنَّ] ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ

عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا [اتْرُكْ ذِكْرَ هَذَا الأَمْرِ وَاكْتُمْهُ] ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ [الآثِمِينَ المتَعَمِّدِينَ لِلذَّنْبِ] ﴿٢٩﴾

النثر

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ وَاجْعَلِي مَقَامَهُ عِنْدَنَا كَرِيمًا عَزِيزًا عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا، وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَتَفْسِيرِ الرُّؤَى وَمَآلَاتِ الأُمُورِ، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَمَبْلَغَ كَمَالِ قُوَّتِهِ وَشَبَابِهِ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، وَرَاوَدَتْهُ وَطَلَبَتْ مِنْهُ مُوَاقَعَتَهَا بِلُطْفٍ وَخِدَاعٍ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ وَتَعَالَى وَأَقْبِلْ نَحْوِي، قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ وَأَعْتَصِمُ بِهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ وَأَكْرَمَ مَقَامِي فَلَا أَخُونُهُ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَمَالَتْ نَحْوَهُ وَعَزَمَتْ وَهَمَّ بِهَا وَمَالَ طَبْعُهُ البَشَرِيُّ لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ وَآيَةَ العِصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ الَّتِي صَرَفَتْهُ، كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ الَّذِينَ أَخْلَصْنَاهُمْ لِنَفْسِنَا، وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَتَسَارَعَا نَحْوَهُ هُوَ لِلْفِرَارِ وَهِيَ لِلْإِمْسَاكِ وَقَدَّتْ وَشَقَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَمِنْ خَلْفٍ وَأَلْفَيَا وَوَجَدَا سَيِّدَهَا وَزَوْجَهَا لَدَى الْبَابِ، قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ وَشُقَّ مِن قُبُلٍ وَمِنْ أَمَامٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ وَشُقَّ مِن دُبُرٍ وَمِنْ خَلْفٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ وَشُقَّ مِن دُبُرٍ وَمِنْ خَلْفٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ وَمِنْ مَكْرِكُنَّ وَاحْتِيَالِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ، يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاتْرُكْ ذِكْرَ هَذَا الأَمْرِ وَاكْتُمْهُ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ الآثِمِينَ المتَعَمِّدِينَ لِلذَّنْبِ.

المعاني

١. دَلَالَةُ "أَكْرِمِي مَثْوَاهُ" عَلَى أَنَّ رِعَايَةَ اليَقِينِ تَبْدَأُ مِنْ تَأْمِينِ السَّكَنِ الكَرِيمِ (أَصْلُهُ: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ).

٢. اسْتِعْمَالُ تَعْبِيرِ "عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا" لِبَيَانِ التَّلَقِّي النَّفْعِيِّ الِاسْتِبَاقِيِّ لِلْمَشْرُوعِ البَشَرِيِّ (أَصْلُهُ: عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا).

٣. جَعْلُ "التَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ" نَتِيجَةً سُنَنِيَّةً مَبْنِيَّةً عَلَى تَحَوُّلَاتِ الِابْتِلَاءِ السَّابِقَةِ (أَصْلُهُ: وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا).

٤. رَبْطُ التَّمْكِينِ بِقُدْرَةِ التَّحْلِيلِ العِلْمِيِّ لِلْوَاقِعِ "مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" (أَصْلُهُ: وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ).

٥. تَقْرِيرُ أَنَّ المشِيئَةَ الإِلَهِيَّةَ نَافِذَةٌ حَتْمًا رَغْمَ جَهْلِ الأَكْثَرِيَّةِ (أَصْلُهُ: وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ).

٦. اقْتِرَانُ إِيتَاءِ "الحُكْمِ وَالعِلْمِ" بِمَرْحَلَةِ النُّضْجِ الجَسَدِيِّ وَالعَقْلِيِّ "بَلَغَ أَشُدَّهُ" (أَصْلُهُ: آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا).

٧. جَعْلُ المعْرِفَةِ جَزَاءً مُبَاشِرًا لِسُلُوكِ "الإِحْسَانِ" العَمَلِيِّ (أَصْلُهُ: وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ).

٨. كَشْفُ النَّصِّ عَنْ أَنَّ الِابْتِلَاءَ دَاخِلَ بِنْيَةِ السَّكَنِ هُوَ أَقْسَى أَنْوَاعِ المرَاوَدَةِ (أَصْلُهُ: وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا).

٩. اسْتِعْمَالُ "تَغْلِيقِ الأَبْوَابِ" كَإِجْرَاءٍ مَيْدَانِيٍّ لِعَزْلِ الرَّقَابَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ (أَصْلُهُ: وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ).

١٠. دَلَالَةُ كَلِمَةِ "هَيْتَ لَكَ" عَلَى جُرْأَةِ الِانْدِفَاعِ الشَّهْوِيِّ أَمَامَ العِصْمَةِ (أَصْلُهُ: وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ).

١١. لُجُوءُ اليَقِينِ إِلَى الِاعْتِصَامِ "مَعَاذَ اللَّهِ" كَأَوَّلِ خَطِّ دِفَاعٍ نَفْسِيٍّ (أَصْلُهُ: قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ).

١٢. الِاعْتِرَافُ بِإِحْسَانِ المقَامِ "أَحْسَنَ مَثْوَايَ" كَمَانِعٍ أَخْلَاقِيٍّ مِنَ الخِيَانَةِ (أَصْلُهُ: إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ).

١٣. رَبْطُ الِانْحِرَافِ القِيَمِيِّ بِعَدَمِ الفَلَاحِ "لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" (أَصْلُهُ: لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ).

١٤. بَيَانُ أَنَّ "الهَمَّ البَشَرِيَّ" طَبِيعِيٌّ لَكِنَّ العِصْمَةَ مَحْكُومَةٌ بِـ"بُرْهَانِ الرَّبِّ" (أَصْلُهُ: لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ).

١٥. دَلَالَةُ وَصْفِ "المخْلَصِينَ" عَلَى حِمَايَةِ الذَّاتِ مِنَ السُّوءِ وَالفَحْشَاءِ (أَصْلُهُ: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ).

١٦. التَّعْبِيرُ بِـ"اسْتَبَقَا البَابَ" لِتَجْسِيدِ الصِّرَاعِ الحَرَكِيِّ بَيْنَ الفِرَارِ التَّقْوَائِيِّ وَالمُلَاحَقَةِ الشَّهْوِيَّةِ (أَصْلُهُ: وَاسْتَبَقَا الْأَبْوَابَ).

١٧. جَعْلُ "شَقِّ القَمِيصِ مِنْ خَلْفٍ" دَلِيلًا مَادِّيًّا نَاطِقًا عَلَى جِهَةِ الحَرَكَةِ (أَصْلُهُ: وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ).

١٨. حُضُورُ "السَّيِّدِ" (الزَّوْجِ) عِنْدَ البَابِ لِإِحْدَاثِ المُفَاجَأَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ الحَاسِمَةِ (أَصْلُهُ: وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ).

١٩. اسْتِعْمَالُ المَرْأَةِ لِأُسْلُوبِ الهُجُومِ الِاسْتِبَاقِيِّ عَبْرَ طَرْحِ عُقُوبَةِ "السِّجْنِ أَوْ العَذَابِ" لِتَحْوِيلِ التُّهْمَةِ (أَصْلُهُ: قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا).

٢٠. نُطْقُ يُوسُفَ بِالحَقِيقَةِ المُبَاشِرَةِ دُونَ مَكْرٍ "هِيَ رَاوَدَتْنِي" لِتَفْكِيكِ الِادِّعَاءِ (أَصْلُهُ: قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي).

٢١. ظُهُورُ "الشَّاهِدِ مِنْ أَهْلِهَا" لِتَأْكِيدِ المَوْضُوعِيَّةِ القَانُونِيَّةِ فِي التَّحْكِيمِ (أَصْلُهُ: وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا).

٢٢. اعْتِمَادُ التَّحْكِيمِ عَلَى قَاعِدَةِ الِاحْتِمَالِ المَبْنِيِّ عَلَى مَوْقِعِ الشَّقِّ (قُبُلٍ أَوْ دُبُرٍ) (أَصْلُهُ: إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ).

٢٣. إِقْرَارُ العَزِيزِ بِالحَقِيقَةِ وَوَصْفُ الفِعْلِ بِأَنَّهُ "مِنْ كَيْدِكُنَّ" لِعِظَمِ أَثَرِهِ فِي السِّيَاسَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ (أَصْلُهُ: قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ).

٢٤. صُدُورُ الأَمْرِ السِّيَاسِيِّ بِـ"الإِعْرَاضِ" لِإِغْلَاقِ الفَضِيحَةِ، مَعَ أَمْرِ المَرْأَةِ بِالِاسْتِغْفَارِ لِخَطَئِهَا (أَصْلُهُ: يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا).

الأحكام

١. وجوبُ إِكْرَامِ مَثْوَى الطَّاقَاتِ البَشَرِيَّةِ المِعْرِفِيَّةِ وَتَأْمِينِهَا دَاخِلَ المَنْظُومَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ لِضَمَانِ نَفْعِهَا (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا").

٢. وجوبُ الِاعْتِصَامِ بِالقِيَمِ العُلْيَا (مَعَاذَ اللَّهِ) عِنْدَ انْغِلَاقِ البِيئَاتِ وَتَعَرُّضِ الذَّاتِ لِضُغُوطِ الإِغْوَاءِ النَّفْسِيِّ (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "أَعُوذُ بِاللَّهِ وَأَعْتَصِمُ بِهِ").

٣. وجوبُ الِاعْتِمَادِ عَلَى القَرَائِنِ المادِّيَّةِ السُّنَنِيَّةِ (كَجِهَةِ شَقِّ القَمِيصِ) فِي تَحْقِيقِ العَدَالَةِ وَالقَضَاءِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ وَشُقَّ مِن قُبُلٍ... وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ وَشُقَّ مِن دُبُرٍ").

٤. وجوبُ مُوَاجَهَةِ المُرْجِفِينَ بِحَقِيقَةِ خَطَئِهِمْ وَأَمْرِهِمْ بِتَصْحِيحِ المسَارِ دُونَ مُدَارَاةٍ لِلْجِنَايَةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ").

القواعد

• قاعدة التَّلَازُم بَيْنَ التَّمْكِينِ وَالعِلْمِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ التَّمْكِينِ الحَقِيقِيَّ فِي المرَبَّعَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ لَا يَكُونُ بِالسُّلْطَةِ المادِّيَّةِ المحْضَةِ، بَلْ بِتَعْلِيمِ قُدْرَةِ التَّأْوِيلِ وَالنَّقْدِ وَمَعْرِفَةِ مَآلَاتِ الأُمُورِ (الدَّلِيلُ: وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ).

• قاعدة العِصْمَةِ بِبُرْهَانِ اليَقِينِ: وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ الذَّاتَ المعْرِفِيَّةَ رَغْمَ وُجُودِ المِيْلِ الطَّبِيعِيِّ البَشَرِيِّ لَدَيْهَا، تَعْتَصِمُ عَنِ السُّوءِ عِنْدَمَا يَتَحَرَّكُ فِيهَا بُرْهَانُ الوَعْيِ العَالِي الَّذِي يَصْرِفُ الفَحْشَاءَ (الدَّلِيلُ: لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ).

• قاعدة مَوْضُوعِيَّةِ الدَّلِيلِ الجِنَائِيِّ: وَتَقْضِي بِأَنَّ اتِّجَاهَ الأَثَرِ المادِّيِّ (خَلْفًا أَوْ أَمَامًا) هُوَ المِعْيَارُ الفَاصِلُ لِتَفْكِيكِ الخِطَابِ النَّفْسِيِّ المرْجِفِ، حَيْثُ يُبْطِلُ اتِّجَاهُ الأَثَرِ كُلَّ أُسْلُوبِ هُجُومٍ اسْتِبَاقِيٍّ (الدَّلِيلُ: إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ... وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ).

الأبعاد

فَعَالِيَّةُ التَّمْكِينِ المعْرِفِيِّ وَقُدْرَةُ تَأْوِيلِ المآلَاتِ

يَتَأَسَّسُ هَذَا المِسَارُ عَلَى فِكْرَةِ أَنَّ صِنَاعَةَ السَّكَنِ لَدَى "عَزِيزِ مِصْرَ" كَانَتْ خُطْوَةً سُنَنِيَّةً لِتَجَاوُزِ مَكْرِ الجُبِّ. إِنَّ رَفْضَ الانفصام المعْرِفِيِّ يَقْتَضِي رَبْطَ التَّمْكِينِ بِـ"تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ"، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ سُلْطَةَ يُوسُفَ النَّاشِئَةَ لَمْ تَكُنْ سِيَاسِيَّةً فِي المقَامِ الأَوَّلِ، بَلْ قَائِمَةً عَلَى عِلْمٍ نَقْدِيٍّ يُفَكِّكُ الخِطَابَ

الِاجْتِمَاعِيَّ. هَذَا البُعْدُ يُثْبِتُ أَنَّ إِيتَاءَ "الحُكْمِ وَالعِلْمِ" عِنْدَ بُلُوغِ الأَشُدِّ هُوَ المكْسَبُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي يُمَكِّنُ المحْسِنِينَ مِنْ قِيَادَةِ المرَبَّعَاتِ الحَضَارِيَّةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

جينالوجيا الإِغْوَاءِ النَّفْسِيِّ وَانْغِلَاقِ البِنْيَةِ المكَانِيَّةِ

يُشَرِّحُ هَذَا المبْحَثُ طَبِيعَةَ الِابْتِلَاءِ دَاخِلَ الغُرَفِ المغْلَقَةِ، حَيْثُ تَحَوَّلَتْ رَبَّةُ المسْكَنِ إِلَى مَصْدَرٍ لِلْمُرَاوَدَةِ (رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا). إِنَّ فِعْلَ "تَغْلِيقِ الأَبْوَابِ" مَعَ طَرْحِ نِدَاءِ "هَيْتَ لَكَ" يُمَثِّلُ ذِرْوَةَ الضَّغْطِ السُّلُوكِيِّ لِتَمْرِيرِ الفَحْشَاءِ. لَكِنَّ هَذِهِ الحَالَةَ المرْجِفَةَ تَجِدُ رَدْعَهَا فِي مَقُولَةِ "مَعَاذَ اللَّهِ"، الَّتِي تَكْشِفُ عَنْ صُمُودِ الصِّدِّيقِ الَّذِي يَرَى فِي الخِيَانَةِ ظُلْمًا مَحْضًا (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)، بِمَّا يَكْسِرُ جِدَارَ الانفصام الشَّهْوِيِّ أَمَامَ بُرْهَانِ الرَّبِّ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ

هَنْدَسَةُ التَّقَاضِي السُّنَنِيِّ وَتَفْكِيكُ الهُجُومِ الِاسْتِبَاقِيِّ

يُقَدِّمُ المشْهَدُ نَمُوذَجًا دُسْتُورِيًّا فِي إِدَارَةِ الفَضَائِحِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، حَيْثُ جَسَّدَ "اسْتِبَاقُ البَابِ" الحَرَكَةَ الفَاصِلَةَ الَّتِي نَتَجَ عَنْهَا "قَدُّ القَمِيصِ مِنْ دُبُرٍ". حِينَمَا لَجَأَتْ المرْأَةُ إِلَى صِنَاعَةِ حُكْمٍ جَائِرٍ (أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) تَلَافِيًا لِانْكِشَافِهَا أَمَامَ "سَيِّدِهَا"، بَرَزَ دَوْرُ المَوْضُوعِيَّةِ القَانُونِيَّةِ عَبْرَ "الشَّاهِدِ". هَذِهِ المنْظُومَةُ التَّحْكِيمِيَّةُ القَائِمَةُ عَلَى فَرَضِيَّةِ (قُبُلٍ أَوْ دُبُرٍ) نَقَلَتْ المِلَفَّ مِنْ طَوْرِ الِادِّعَاءِ النَّفْسِيِّ إِلَى طَوْرِ الإِقْرَارِ العِلْمِيِّ بِالحَقِيقَةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ

السِّيَاسَةُ العَائِلِيَّةُ لِلْعَزِيزِ وَإِغْلَاقُ مَلَفِّ الفَضِيحَةِ

يَعْرِضُ هَذَا البُعْدُ كَيْفِيَّةَ تَعَامُلِ السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِلْعَزِيزِ مَعَ ثُبُوتِ الجِنَايَةِ، فَبَعْدَ أَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الفِعْلَ "مِنْ كَيْدِكُنَّ" وَأَنَّ هَذَا الكَيْدَ "عَظِيمٌ"، لَمْ يَتَّخِذْ إِجْرَاءً عِقَابِيًّا رَادِعًا، بَلْ تَعَامَلَ بِمَنْطِقِ التَّكْتِيمِ السِّيَاسِيِّ (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا). هَذَا التَّوَجُّهُ يَعْكِسُ عَقْلِيَّةَ النُّخَبِ الَّتِي تُفَضِّلُ حِمَايَةَ سُمْعَةِ

المَنْظُومَةِ عَلَى حِسَابِ إِقَامَةِ العَدَالَةِ الكَامِلَةِ، حَيْثُ اكْتَفَى بِأَمْرِ المَرْأَةِ بِالِاسْتِغْفَارِ لِأَنَّهَا كَانَتْ "مِنَ الخَاطِئِينَ"، مِمَّا مَهَّدَ لِتَحَوُّلِ الأَزْمَةِ إِلَى مَسَارَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ أُخْرَى دَاخِلَ المَدِينَةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا

انْتِشَارُ الأَزْمَةِ فِي المَدِينَةِ، مَكْرُ النِّسْوَةِ، وَخِيَارُ السِّجْنِ السِّيَاسِيِّ (٣٠ – ٣٥)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ خَ}}ُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ (يوسف: ٣٠ – ٣٥)

التيسير

وَقَالَ نِسْوَةٌ [جَمَاعَةٌ مِنَ النِّسَاءِ ذَوَاتِ المَكَانَةِ] فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا [غُلَامَهَا وَخَادِمَهَا] عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا [دَخَلَ حُبُّهُ غِلَافَ قَلْبِهَا وَتَمَلَّكَ رُوحَهَا] ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [انْحِرَافٍ عَنِ العُرْفِ وَالصَّوَابِ ظَاهِرٍ لَا خَفَاءَ فِيهِ] ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ [بِغِيبَتِهِنَّ وَتَدْبِيرِهِنَّ لِفَضِيحَتِهَا] أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً [هَيَّأَتْ مَجْلِسًا مُرِيحًا فِيهِ وَسَائِدُ وَطَعَامٌ] وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ [أَعْظَمْنَهُ وَانْبَهَرْنَ بِجَمَالِهِ] وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [جَرَحْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالسَّكَاكِينِ دُونَ شُعُورٍ مِنَ الدَّهْشَةِ] وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ [تَنْزِيهًا لِلَّهِ وَمَعَاذَ اللَّهِ] مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ [امْتَنَعَ بِشِدَّةٍ وَطَلَبَ العِصْمَةَ] ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ [الأَذِلَّاءِ المُلْهَنِينَ] ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا

يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ [أَمِلْ نَحْوَهُنَّ بِسَبَبِ الطَّبْعِ البَشَرِيِّ] وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ [السُّفَهَاءِ المُرْتَكِبِينَ لِلذَّنْبِ] ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم [ظَهَرَ لِلْعَزِيزِ وَمُعَاوِنِيهِ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَةِ] مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ [أَدِلَّةَ وَقَرَائِنَ بَرَاءَتِهِ كَشَقِّ القَمِيصِ وَشَهَادَةِ الشَّاهِدِ وَتَقْطِيعِ الأَيْدِي] لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ [إِلَى زَمَنٍ غَيْرِ مُحَدَّدٍ تَهْدِئَةً لِلرَّأْيِ العَامِّ وَسَتْرًا لِلْفَضِيحَةِ] ﴿٣٥﴾

النثر

وَقَالَ نِسْوَةٌ وَجَمَاعَةٌ مِنَ النِّسَاءِ ذَوَاتِ المَكَانَةِ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا وَغُلَامَهَا وَخَادِمَهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا وَدَخَلَ حُبُّهُ غِلَافَ قَلْبِهَا وَتَمَلَّكَ رُوحَهَا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَانْحِرَافٍ عَنِ العُرْفِ وَالصَّوَابِ ظَاهِرٍ لَا خَفَاءَ فِيهِ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ وَبِغِيبَتِهِنَّ وَتَدْبِيرِهِنَّ لِفَضِيحَتِهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَهَيَّأَتْ مَجْلِسًا مُرِيحًا فِيهِ وَسَائِدُ وَطَعَامٌ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَأَعْظَمْنَهُ وَانْبَهَرْنَ بِجَمَالِهِ وَقَطَّعْنَ وَجَرَحْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالسَّكَاكِينِ دُونَ شُعُورٍ مِنَ الدَّهْشَةِ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ تَنْزِيهًا لِلَّهِ وَمَعَاذَ اللَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ، قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَامْتَنَعَ بِشِدَّةٍ وَطَلَبَ العِصْمَةَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ الأَذِلَّاءِ المَهَانِينَ، قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ وَأَمِلْ نَحْوَهُنَّ بِسَبَبِ الطَّبْعِ البَشَرِيِّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ السُّفَهَاءِ المُرْتَكِبِينَ لِلذَّنْبِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثُمَّ بَدَا وَظَهَرَ لَهُم وَلِلْعَزِيزِ وَمُعَاوِنِيهِ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَةِ مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ وَأَدِلَّةَ وَقَرَائِنَ بَرَاءَتِهِ كَشَقِّ القَمِيصِ وَشَهَادَةِ الشَّاهِدِ وَتَقْطِيعِ الأَيْدِي لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ وَإِلَى زَمَنٍ غَيْرِ مُحَدَّدٍ تَهْدِئَةً لِلرَّأْيِ العَامِّ وَسَتْرًا لِلْفَضِيحَةِ.

المعاني

١. دَلَالَةُ خُرُوجِ الخَبَرِ إِلَى "نِسْوَةٍ فِي المَدِينَةِ" عَلَى حَتْمِيَّةِ انْكِشَافِ الكَبْتِ السِّيَاسِيِّ لِلرَّأْيِ العَامِّ (أَصْلُهُ: وَقَالَ نِسْوَةٌ).

٢. اسْتِعْمَالُ "تُرَاوِدُ فَتَاهَا" لِبَيَانِ الصَّدْمَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ مِنْ كَسْرِ تَرَاتُبِيَّةِ الطَّبَقَاتِ (أَصْلُهُ: تُرَاوِدُ فَتَاهَا).

٣. التَّعْبِيرُ بِـ"شَغَفَهَا حُبًّا" لِتَشْخِيصِ الِاخْتِرَاقِ العَاطِفِيِّ العَمِيقِ لِأَغْلِفَةِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ (أَصْلُهُ: قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا).

٤. رَصْدُ النَّقْدِ النِّسْوِيِّ "فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" كَأَدَاةٍ لِلْمُزَايَدَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ قَبْلَ الِاخْتِبَارِ المِيْدَانِيِّ (أَصْلُهُ: إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ).

٥. وَصْفُ حَدِيثِ المجْتَمَعِ بِـ"المكْرِ" لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَاعِثُهُ الإِصْلَاحَ بَلْ تَفْكِيكَ المرْكَزِ السِّيَاسِيِّ (أَصْلُهُ: سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ).

٦. هَنْدَسَةُ "المتَّكَإِ" كَبِيئَةٍ نَفْسِيَّةٍ مُخَدِّرَةٍ جُهِّزَتْ لِإِيقَاعِ الخُصُومِ فِي نَفْسِ شَبَكَةِ الِانْبِهَارِ (أَصْلُهُ: وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً).

٧. تَوْزِيعُ "السَّكَاكِينِ" كَأَدَاوَاتٍ حَادَّةٍ تَتَحَوَّلُ فِجْأَةً مِنْ تَقْطِيعِ المِادَّةِ إِلَى إِيذَاءِ الذَّاتِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ (أَصْلُهُ: وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ).

٨. اسْتِعْمَالُ "أَكْبَرْنَهُ" لِتَجْسِيدِ لَحْظَةِ السّقُوطِ الجَمَاعِيِّ لِلْأَقْنِعَةِ النَّقْدِيَّةِ أَمَامَ سُلْطَةِ الجَمَالِ (أَصْلُهُ: فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ).

٩. جَعْلُ "تَقْطِيعِ الأَيْدِي" بِضَاعَةً مَادِّيَّةً شَاهِدَةً عَلَى غِيَابِ الوَعْيِ الجَسَدِيِّ لَحْظَةَ الِانْبِهَارِ (أَصْلُهُ: وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ).

١٠. نَقْلُ الوَصْفِ إِلَى "مَلَكٌ كَرِيمٌ" لِتَبْرِيرِ العَجْزِ البَشَرِيِّ عَنِ المقَاوَمَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ (أَصْلُهُ: إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ).

١١. إِعْلَانُ المرْأَةِ الِاسْتِعْلَائِيِّ "فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ" لِتَحْوِيلِ الإِدَانَةِ إِلَى شَرْعَنَةٍ جَمَاعِيَّةٍ (أَصْلُهُ: قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ).

١٢. الِاعْتِرَافُ بِإِجْرَاءِ "فَاسْتَعْصَمَ" كَشَهَادَةٍ مِنَ الخَصْمِ عَلَى صَلَابَةِ المَوْقِفِ الأَخْلَاقِيِّ (أَصْلُهُ: وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ... فَاسْتَعْصَمَ).

١٣. التَّلْوِيحُ بِـ"السِّجْنِ وَالصَّغَارِ" كَأَدَاوَاتٍ قَمْعِيَّةٍ تَمْلِكُهَا السُّلْطَةُ لِتَطْوِيعِ الإِرَادَاتِ المسْتَقِلَّةِ (أَصْلُهُ: لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا).

١٤. خِيَارُ "السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ" كَإِسْتْرَاتِيجِيَّةٍ لِحِمَايَةِ الحُرِّيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ رَغْمَ قَيْدِ المَكَانِ (أَصْلُهُ: قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ).

١٥. الِاعْتِرَافُ بِاحْتِمَالِيَّةِ "أَصْبُ إِلَيْهِنَّ" لِتَأْكِيدِ أَنَّ العِصْمَةَ لَيْسَتْ عَدَمًا لِلْغَرِيزَةِ بَلْ إِدَارَةٌ لَهَا بِالمَدَدِ الإِلَهِيِّ (أَصْلُهُ: وَإِلَّا تَصْرِفْ... أَصْبُ).

١٦. قَرْنُ الِانْصِيَاعِ لِلْكَيْدِ بِـ"الجَاهِلِينَ" لِإِثْبَاتِ أَنَّ الِانْحِرَافَ هُوَ جَهْلٌ مَعْرِفِيٌّ وَقِيَمِيٌّ (أَصْلُهُ: وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ).

١٧. تَحَقُّقُ "فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ" كَمَظَلَّةٍ أَمْنِيَّةٍ تَقِي الذَّاتَ مِنْ الِانْهِيَارِ تَحْتَ الضَّغْطِ (أَصْلُهُ: فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ).

١٨. صِفَتَا "السَّمِيعُ العَلِيمُ" كَضَمَانَتَيْنِ لِإِدْرَاكِ نِدَاءِ الضَّمِيرِ المَكْنُونِ فِي أَعْمَاقِ المحَاصَرِينَ (أَصْلُهُ: إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

١٩. اسْتِعْمَالُ لَفْظِ "بَدَا لَهُمْ" لِكَشْفِ تَقَلُّبِ المزَاجِ السِّيَاسِيِّ لِلنُّخْبَةِ الحَاكِمَةِ (أَصْلُهُ: ثُمَّ بَدَا لَهُم).

٢٠. تَنَاقُضُ المَوْقِفِ السُّلْطَوِيِّ "مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ" لِبَيَانِ أَنَّ الظُّلْمَ قَدْ يَصْدُرُ عَنْ عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ (أَصْلُهُ: مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ).

٢١. صِيغَةُ "لَيَسْجُنُنَّهُ" المؤَكَّدَةُ كَإِجْرَاءٍ تَعَسُّفِيٍّ يَقْتُلُ البَرَاءَةَ لِصَالِحِ هَيْبَةِ النِّظَامِ (أَصْلُهُ: لَيَسْجُنُنَّهُ).

٢٢. التَّوْقِيتُ بِـ"حَتَّىٰ حِينٍ" لِإِبْقَاءِ المصِيرِ الإِنْسَانِيّ مُعَلَّقًا بِأَهْوَاءِ صُنَّاعِ القَرَارِ (أَصْلُهُ: حَتَّىٰ حِينٍ).

الأحكام

١. تحريمُ المزَايَدَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ وَالنَّقْدِ القَائِمِ عَلَى التَّشَفِّي قَبْلَ فَهْمِ طَبِيعَةِ الضُّغُوطِ البَشَرِيَّةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ").

٢. وجوبُ تَقْدِيمِ الكُلْفَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ (وَإِنْ كَانَتْ سِجْنًا) عَلَى المكَاسِبِ النَّفْسِيَّةِ المْبْنِيَّةِ عَلَى صَغَارِ الذَّاتِ وَخِيَانَةِ الوَعْيِ (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ").

٣. تحريمُ تَعْطِيلِ العَدَالَةِ وَسَجْنِ البَرِيءِ بِغَرَضِ حِمَايَةِ المصَالِحِ الطَّبَقِيَّةِ أَوْ سَتْرِ العُيُوبِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ لِلنُّخْبَةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ").

٤. وجوبُ الِالْتِجَاءِ إِلَى صِيَانَةِ المَبَادِئِ عَبْرَ الدُّعَاءِ وَالتَّبَتُّلِ عِنْدَمَا تَعْجَزُ الآلِيَّاتُ الأَرْضِيَّةُ عَنْ حِمَايَةِ الإِنْسَانِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ").

القواعد

• قاعدة هَشَاشَةِ المِعْيَارِيَّةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ أَمَامَ الِاخْتِبَارِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ النَّقْدَ النَّظَرِيَّ الَّذِي تُمَارِسُهُ الجَمَاعَةُ (النِّسْوَةُ) يَنْهَارُ عَمَلِيًّا عِنْدَ مُوَاجَهَةِ نَفْسٍ مُثِيرَاتِ الِانْبِهَارِ، مِمَّا يُحَوِّلُ اللَّائِمَ إِلَى شَرِيكٍ فِي التَّبْرِيرِ (الدَّلِيلُ: فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ).

• قاعدة سِيَادَةِ المَوْقِفِ الأَخْلَاقِيِّ الدَّاخِلِيِّ: وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ الحُرِّيَّةَ الحَقِيقِيَّةَ لِلْإِنْسَانِ تَكْمُنُ فِي قُدْرَتِهِ عَلَى اخْتِيَارِ المكَانِ الضَّيِّقِ (السِّجْنِ) مَعَ صِيَانَةِ مَبَادِئِهِ، بَدَلًا مِنَ المكَانِ الرَّحْبِ المحْكُومِ بِالصَّغَارِ وَالِانْحِطَاطِ (الدَّلِيلُ: قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ).

• قاعدة بَرَاغْمَاتِيَّةِ السُّلْطَةِ الظَّالِمَةِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ المَنْظُومَةَ الحَاكِمَةَ حِينَمَا تَتَعَارَضُ لَدَيْهَا "الآيَاتُ" (الأَدِلَّةُ القَاطِعَةُ عَلَى البَرَاءَةِ) مَعَ "السُّمْعَةِ السِّيَاسِيَّةِ"، فَإِنَّهَا تُقَدِّمُ المِصْلَحَةَ الحِزْبِيَّةَ أَوْ الطَّبَقِيَّةَ بِالتَّضْحِيَةِ بِالفَرْدِ البَرِيءِ (الدَّلِيلُ: ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ).

الأبعاد

بِنْيَةُ النَّقْدِ الِاجْتِمَاعِيِّ مِنَ المزَايَدَةِ إِلَى الِانْهِيَارِ الجَمَاعِيِّ

يُقَدِّمُ المشْهَدُ رُؤْيَةً إِنْسَانِيَّةً عَمِيقَةً حَوْلَ طَبِيعَةِ "النَّقْدِ النَّفْسِيِّ المرْجِفِ" دَاخِلَ المجْتَمَعَاتِ؛ فَالنِّسْوَةُ اللَّاتِي مَارَسْنَ سُلْطَةَ الإِدَانَةِ المعْزُولَةِ ضِدَّ امْرَأَةِ العَزِيزِ لَمْ يَكُنَّ يَنْطَلِقْنَ مِنْ نَزَاهَةٍ قِيَمِيَّةٍ، بَلْ مِنْ فَرَاغٍ حَضَارِيٍّ يَتَغَذَّى عَلَى الفَضَائِحِ. حِينَمَا نَقَلَتْهُنَّ المرْأَةُ إِلَى هَنْدَسَةِ "المتَّكَإِ" وَوَضَعَتْهُنَّ أَمَامَ التَّحَدِّي المِيْدَانِيِّ المبَاشِرِ، تَحَوَّلَ النَّقْدُ إِلَى صَدْمَةٍ جَسَدِيَّةٍ نَاطِقَةٍ (وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ). هَذِهِ

النَّظَرَةُ تُعَالِجُ مَرَضَ "التَّفَوُّقِ الأَخْلَاقِيِّ الزَّائِفِ" فِي البَشَرِيَّةِ، وَتُثْبِتُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لَمْ يُخْتَبَرْ بِمُثِيرَاتِ الخَطِيئَةِ لَا يَحِقُّ لَهُ تَنْصِيبُ نَفْسِهِ قَاضِيًا عَلَى انْهِيَارِ الآخَرِينَ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ

جَدَلِيَّةُ العِصْمَةِ النَّفْسِيَّةِ بَيْنَ الصُّمُودِ وَالِاعْتِرَافِ بِالعَجْزِ البَشَرِيِّ

تَطْرَحُ الآيَاتُ نَمُوذَجًا بَشَرِيًّا عَالِيَ الصِّدْقِ فِي فَهْمِ مَفْهُومِ "العِصْمَةِ"؛ فَيُوسُفُ لَمْ يُقَدِّمْ نَفْسَهُ كَكَائِنٍ سُوبَر–بَشَرِيٍّ مَعْزُولٍ عَنِ الغَرِيزَةِ، بَلْ أَعْلَنَ بِكُلِّ شَفَافِيَّةٍ: "وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ". هَذِهِ الرُّؤْيَةُ الإِنْسَانِيَّةُ تُعَالِجُ الانفصام الأَخْلَاقِيَّ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الكَثِيرُ مِنَ المُنَظِّرِينَ لِلْمِثَالِيَّةِ، حَيْثُ تُبَيِّنُ أَنَّ قُوَّةَ الإِنْسَانِ لَيْسَتْ فِي نَفْيِ ضَعْفِهِ الطَّبِيعِيِّ، بَلْ فِي الِاعْتِرَافِ بِهِ وَالِاحْتِمَاءِ بِقَنَوَاتِ التَّسَامِي العُلْيَا. إِنَّ اخْتِيَارَ السِّجْنِ كَبِيئَةٍ فِيزْيَائِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ يُعَدُّ قِمَّةَ الحُرِّيَّةِ لِلْإِرَادَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَرْفَضُ أَنْ تُصْغَرَ أَوْ تُذَلَّ أَمَامَ الِابْتِزَازِ الِاجْتِمَاعِيِّ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ

بَرَاغْمَاتِيَّةُ النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ وَالتَّضْحِيَةُ بِالعَدَالَةِ لِسَتْرِ المَنْظُومَةِ

تَكْشِفُ خَاتِمَةُ هَذِهِ الكُتْلَةِ (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ) عَنْ رُؤْيَةٍ سِيَاسِيَّةٍ عَمِيقَةٍ تَمَسُّ جَوْهَرَ النَّزَاهَةِ القَضَائِيَّةِ فِي التَّارِيخِ البَشَرِيِّ. فَعِنْدَمَا تَكُونُ المَنْظُومَةُ الحَاكِمَةُ مَبْنِيَّةً عَلَى حِمَايَةِ المَصَالِحِ الطَّبَقِيَّةِ، فَإِنَّ "الحَقِيقَةَ المَوْضُوعِيَّةَ" تُصْبِحُ عِبْئًا يَجِبُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ. رَغْمَ أَنَّ أَهْلَ السُّلْطَةِ شَاهَدُوا أَدِلَّةَ البَرَاءَةِ القَاطِعَةَ، إِلَّا أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا قَرَارَ السِّجْنِ (حَتَّى حِينٍ) لِإِنْقَاذِ سُمْعَةِ الطَّبَقَةِ الأَرِسْتُقْرَاطِيَّةِ وَتَحْوِيلِ التُّهْمَةِ نَحْوَ الضَّعِيفِ. هَذِهِ النَّظَرَةُ تُفَكِّكُ بِنْيَةَ "الظُّلْمِ الدُّسْتُورِيِّ" وَتُقَدِّمُ مَصْدَاقًا لِمُعَانَاةِ الأَبْرِيَاءِ الَّذِينَ يُسْجَنُونَ لَا لِأَنَّهُمْ أَذْنَبُوا، بَلْ لِأَنَّ بَرَاءَتَهُمْ تَفْضَحُ كِيَانَ السُّلْطَةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ

تَجْرِبَةُ السِّجْنِ المَعْرِفِيَّةِ، خِطَابُ التَّوْحِيدِ، وَتَأْوِيلُ مَصَائِرِ الفَتَيَيْنِ (٣٦ – ٤٢)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبِيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبِيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ (يوسف: ٣٦ – ٤٢)

التيسير

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ [خَادِمَانِ مِنْ خَدَمِ المَلِكِ؛ سَاقِيهِ وَصَانِعُ طَعَامِهِ] ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي [فِي المَنَامِ] أَعْصِرُ خَمْرًا [أَعْصِرُ عِنَبًا لِيَصِيرَ خَمْرًا] ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ [بِتَفْسِيرِهِ وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ] ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [مِنْ أَهْلِ الجُودِ وَالصَّلَاحِ وَحُسْنِ المعَامَلَةِ] ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ [فِي يَقَظَتِكُمَا دَاخِلَ السِّجْنِ] إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا [بَيَانًا لِقُدْرَتِهِ العِلْمِيَّةِ لِتَطْمَئِنَّ نُفُوسُهُمَا] ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي [إِلْهَامٌ وَوَحْيٌ لَا كَهَانَةٌ] ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ [دِينَ وَطَرِيقَةَ] قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبِيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ [آلِهَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ لَا تَمْلِكُ نَفْعًا] أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الخَلَائِقُ] ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ

بِهَا مِن سُلْطَانٍ [مِنْ حُجَّةٍ أَوْ بُرْهَانٍ] ۚ إِنِ الْحُكْمُ [القَضَاءُ وَالتَّشْرِيعُ وَالسِّيَادَةُ] إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ [المسْتَقِيمُ العَادِلُ] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبِيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا [وَهُوَ السَّاقِي] فَيَسْقِي رَبَّهُ [سَيِّدَهُ المِلكَ] خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ [وَهُوَ الطَّبَّاخُ] فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ [نَفَذَ القَضَاءُ وَفُرِغَ مِنَ الحُكْمِ الَّذِي طَلَبْتُمَا فَتْوَاهُ] ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ [اذْكُرْ بَرَاءَتِي وَمَظْلُومِيَّتِي عِنْدَ سَيِّدِكَ المِلكِ] فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ [أَنْسَى الشَّيْطَانُ ذَلِكَ النَّاجِيَ أَنْ يَذْكُرَ أَمْرَ يُوسُفَ لِلْمَلِكِ] فَلَبِثَ [فَمَكَثَ يُوسُفُ] فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ [مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التِّسْعِ سَنَوَاتٍ] ﴿٤٢﴾

النثر

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ خَادِمَانِ مِنْ خَدَمِ المِلكِ هُمَا سَاقِيهِ وَصَانِعُ طَعَامِهِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي فِي المَنَامِ أَعْصِرُ خَمْرًا وَأَعْصِرُ عِنَبًا لِيَصِيرَ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ وَبِتَفْسِيرِهِ وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَمِنْ أَهْلِ الجُودِ وَالصَّلَاحِ وَحُسْنِ المعَامَلَةِ، قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ فِي يَقْظَتِكُمَا دَاخِلَ السِّجْنِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا بَيَانًا لِقُدْرَتِهِ العِلْمِيَّةِ لِتَطْمَئِنَّ نُفُوسُهُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِلْهَامٌ وَوَحْيٌ لَا كَهَانَةٌ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ وَدِينَ وَطَرِيقَةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ، وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ، يَا صَاحِبِيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ وَآلِهَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ لَا تَمْلِكُ نَفْعًا خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الخَلَائِقُ، مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ وَمِنْ حُجَّةٍ أَوْ بُرْهَانٍ إِنِ الْحُكْمُ وَالقَضَاءُ وَالتَّشْرِيعُ وَالسِّيَادَةُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ المسْتَقِيمُ العَادِلُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَا صَاحِبِيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا وَهُوَ السَّاقِي فَيَسْقِي رَبَّهُ وَسَيِّدَهُ المِلكَ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ وَهُوَ الطَّبَّاخُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ وَنَفَذَ القَضَاءُ وَفُرِغَ مِنَ الحُكْمِ الَّذِي طَلَبْتُمَا فَتْوَاهُ، وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ وَاذْكُرْ بَرَاءَتِي وَمَظْلُومِيَّتِي عِنْدَ سَيِّدِكَ المِلكِ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ وَأَنْسَى الشَّيْطَانُ ذَلِكَ النَّاجِيَ أَنْ يَذْكُرَ أَمْرَ يُوسُفَ لِلْمَلِكِ فَلَبِثَ وَمَكَثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ وَمَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التِّسْعِ سَنَوَاتٍ.

المعاني

١. اسْتِعْمَالُ "وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ" لِبَيَانِ أَنَّ العَزْلَ السِّيَاسِيَّ يَجْمَعُ النُّخْبَةَ المظْلُومَةَ بِالعُمَّالِ المسْحُوقِينَ (أَصْلُهُ: وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ).

٢. دَلَالَةُ لُجُوءِ السُّجَنَاءِ لِلرُّؤَى كَأَدَاةٍ لِلانْعِتَاقِ النَّفْسِيِّ مِنَ الوَاقِعِ المقَيَّدِ (أَصْلُهُ: إِنِّي أَرَانِي...).

٣. قَرْنُ طَلَبِ التَّفْسِيرِ بِـ"إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المحْسِنِينَ" لِإِثْبَاتِ أَنَّ نَزَاهَةَ السُّلُوكِ تَجْذِبُ الثِّقَةَ المعْرِفِيَّةَ حَتَّى فِي الظُّلُمَاتِ (أَصْلُهُ: نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

٤. اسْتِعْمَالُ مِيزَةِ "قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا" لِبِنَاءِ السُّلْطَةِ العِلْمِيَّةِ المؤَهِّلَةِ لِقِيَادَةِ التَّغْيِيرِ الفِكْرِيِّ (أَصْلُهُ: لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ... إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا).

٥. إِرْجَاعُ العِلْمِ إِلَى "مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي" لِنَفْيِ الكَهَانَةِ وَتَأْصِيلِ المعْرِفَةِ القِيَمِيَّةِ (أَصْلُهُ: ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي).

٦. إِعْلَانُ "تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ" كَخُطْوَةٍ جِذْرِيَّةٍ لِلانْفِصَالِ عَنِ الأَنْسَاقِ الحَضَارِيَّةِ المنْحَرِفَةِ (أَصْلُهُ: إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ).

٧. الِاعْتِزَازُ بِـ"مِلَّةِ آبَائِي" لِتَأْكِيدِ الِامْتِدَادِ التَّارِيخِيِّ لِلْفِكْرِ الإِصْلَاحِيِّ (أَصْلُهُ: وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي).

٨. وَصْفُ التَّوْحِيدِ بِـ"فَضْلِ اللَّهِ... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" لِرَصْدِ الجُحُودِ البَشَرِيِّ لِلنِّعَمِ المعْرِفِيَّةِ (أَصْلُهُ: ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ).

٩. التَّلَطُّفُ بِـ"يَا صَاحِبِيِ السِّجْنِ" لِتَجْسِيدِ الأُخُوَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ النَّاشِئَةِ مِنْ وَجَعِ المِحْنَةِ المشْتَرَكَةِ (أَصْلُهُ: يَا صَاحِبِيِ السِّجْنِ).

١٠. طَرْحُ الِاسْتِفْهَامِ "أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ" لِتَفْكِيكِ مَنْظُومَةِ التَّعَدُّدِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ المشَتِّتَةِ لِلْوَعْيِ (أَصْلُهُ: أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ).

١١. وَصْفُ الأَصْنَامِ وَالأَنْظِمَةِ بِـ"إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا" لِكَشْفِ زَيْفِ الشِّعَارَاتِ الَّتِي تَصْنَعُهَا السُّلْطَةُ دُونَ جَوْهَرٍ حَقِيقِيٍّ (أَصْلُهُ: إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا).

١٢. إِعْلَانُ حَتْمِيَّةِ "إِنِ الحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" لِتَجْرِيدِ الطَّوَاغِيتِ مِنْ حَقِّ التَّشْرِيعِ المسْتَبِدِّ (أَصْلُهُ: إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ).

١٣. سِمَةُ "الدِّينُ القَيِّمُ" لِوَصْفِ المنْهَجِ الَّذِي يُقِيمُ العَدَالَةَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ (أَصْلُهُ: ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ).

١٤. صَرَاحَةُ التَّأْوِيلِ "فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا" لِبَيَانِ مَصِيرِ التَّبَعِيَّةِ وَالعَوْدَةِ إِلَى أَدْوَاتِ النِّظَامِ (أَصْلُهُ: أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي...).

١٥. قَسَاوَةُ مَصِيرِ "فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ" لِرَصْدِ مَدَى تَغَوُّلِ الأَنْظِمَةِ الطَّبَقِيَّةِ فِي سَحْقِ مَنْ تَشُكُّ فِي وَلَائِهِ (أَصْلُهُ: وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ).

١٦. الحَسْمُ بِـ"قُضِيَ الأَمْرُ" لِتَأْكِيدِ أَنَّ العِلْمَ الحَقِيقِيَّ لَا مَجَالَ فِيهِ لِلْمُجَامَلَةِ أَوْ تَبْدِيلِ الحَقَائِقِ (أَصْلُهُ: قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ).

١٧. الِاسْتِعَانَةُ بِـ"اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ" لِإِثْبَاتِ مَشْرُوعِيَّةِ السَّعْيِ البَشَرِيِّ لِرَفْعِ الظُّلْمِ عَبْرَ الأَسْبَابِ الممكِنَةِ (أَصْلُهُ: وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ...).

١٨. إِسْنَادُ النِّسْيَانِ "فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ" لِرَصْدِ مَيْلِ الإِنْسَانِ النَّاجِي إِلَى تَنَاسِي آلَامِ الماضِي وَأَصْحَابِ المِحَنِ بِمُجَرَّدِ خُرُوجِهِ إِلَى الرَّفَاهِيَةِ (أَصْلُهُ: فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ).

١٩. النَّتِيجَةُ "فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ" كَشَاهِدٍ عَلَى خُضُوعِ المصِيرِ الإِنْسَانِيِّ لِلِابْتِلَاءِ الزَّمَنِيِّ حَتَّى نُضْجِ شُرُوطِ التَّمْكِينِ (أَصْلُهُ: فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ).

الأحكام

١. وجوبُ اسْتِغْلَالِ كُلِّ الظُّرُوفِ (حَتَّى المعْزُولَةِ كَالسِّجْنِ) لِإِصْلَاحِ الوَعْيِ البَشَرِيِّ وَتَفْكِيكِ الخُرَافَةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "يَا صَاحِبِيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ").

٢. تحريمُ تَبْدِيلِ الحَقَائِقِ المعْرِفِيَّةِ أَوِ التَّلَاعُبِ بِهَا لِمُجَامَلَةِ الآخَرِينَ، حَتَّى لَوْ كَانَتِ الحَقِيقَةُ صَادِمَةً (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ").

٣. جوازُ اتِّخَاذِ الأَسْبَابِ البَشَرِيَّةِ المشْرُوعَةِ لِرَفْعِ المظْلَمَةِ كَطَلَبِ الوَسَاطَةِ أَوْ رَفْعِ التَّظَلُّمِ لِصَاحِبِ القَرَارِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ").

٤. تحريمُ الرُّكُونِ إِلَى الأَنْسَاقِ الجَاهِلِيَّةِ وَالأَسْمَاءِ الزَّائِفَةِ الَّتِي تَصْنَعُ طَوَاغِيتَ لَا تَمْلِكُ شَرْعِيَّةً حَقِيقِيَّةً (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا").

القواعد

• قاعدة التَّأْثِيرِ بِالقُدْوَةِ السُّلُوكِيَّةِ قَبْلَ النَّظَرِيَّةِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ بَوَّابَةَ العُبُورِ إِلَى عُقُولِ النَّاسِ وَإِصْلَاحِهِمْ هِيَ التَّمَسُّكُ بِالإِحْسَانِ العَمَلِيِّ الَّذِي يَرَاهُ الخُصُومُ وَالمُوَافِقُونَ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ (الدَّلِيلُ: نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

• قاعدة تَعْرِيَةِ الأَصْنَامِ الأَيْدِيُولُوجِيَّةِ: وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ كِيَانٍ أَوْ سُلْطَةٍ تَسْتَبِدُّ بِالبَشَرِ دُونَ نَفْعٍ حَقِيقِيٍّ إِنَّمَا هِيَ مَحْضُ صِنَاعَةٍ لَفْظِيَّةٍ وَأَوْهَامٍ مُتَوَارَثَةٍ تَفْتَقِدُ لِلْبُرْهَانِ المَعْرِفِيِّ (الدَّلِيلُ: مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم).

• قاعدة أَنَانِيَّةِ النَّجَاةِ الفَرْدِيَّةِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ طَبِيعَةَ الإِنْسَانِ غَيْرِ المُؤَصَّلِ قِيَمِيًّا تَمِيلُ إِلَى نِسْيَانِ آلَامِ مُجْتَمَعِ المِحْنَةِ بِمُجَرَّدِ الذَّوَبَانِ فِي مَنْظُومَةِ الرَّفَاهِ أَوْ السُّلْطَةِ جَدِيدًا (الدَّلِيلُ: فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ).

الأبعاد

رَسَالَةُ الإِحْسَانِ كَمِفْتَاحٍ لِتَفْكِيكِ العُزْلَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ

تُقَدِّمُ الآيَاتُ نَظَرَةً إِنْسَانِيَّةً بَالِغَةَ العُمْقِ حَوْلَ "أَنَاقَةِ السُّلُوكِ فِي زَمَنِ المِحْنَةِ"؛ فَيُوسُفُ المَسْجُونُ ظُلْمًا لَمْ يَنْغَلِقْ عَلَى ذَاتِهِ كَمَظْلُومٍ نَاقِمٍ، بَلْ حَوَّلَ فِعْلَ "الإِحْسَانِ" إِلَى نَفْعٍ مَبْذُولٍ لِلْجَمِيعِ. هَذَا التَّمَيُّزُ السُّلُوكِيُّ هُوَ الَّذِي جَعَلَ السُّجَنَاءَ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المحْسِنِينَ). هَذِهِ الرُّؤْيَةُ تُعَالِجُ مَرَضَ الانْكِفَاءِ وَاليَأْسِ عِنْدَ تَعَرُّضِ الإِنْسَانِ لِلظُّلْمِ، وَتُبَيِّنُ أَنَّ المَبَادِئَ لَا تَتَبَدَّلُ بِتَبَدُّلِ الأَمَاكِنِ، وَأَنَّ جَوْهَرَ الإِنْسَانِ الصَّالِحِ يَشِعُّ نُورًا يُصْلِحُ بِيئَتَهُ حَتَّى لَوْ كَانَتْ خَلْفَ القُضْبَانِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

الحُرِّيَّةُ الفِكْرِيَّةُ وَتَفْكِيكُ آلِهَةِ الِاسْتِبْدَادِ التَّشْرِيعِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ

فِي قَلْبِ السِّجْنِ المادِّيّ، مَارَسَ يُوسُفُ أَعْلَى مَسْتَوَيَاتِ الحُرِّيَّةِ العَقْلِيَّةِ مِنْ خِلَالِ رُؤْيَةٍ نَقْدِيَّةٍ تَفْكِيكِيَّةٍ لِلْبِنْيَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ السَّائِدَةِ؛ حَيْثُ حَوَّلَ السُّؤَالَ عَنِ الرُّؤْيَا إِلَى مُحَاكَمَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ لِلْأَوْهَامِ التَّارِيخِيَّةِ (أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ). إِنَّهُ يُمِيطُ اللِّثَامَ عَنْ أَنَّ الِاسْتِعْبَادَ البَشَرِيَّ يَبْدَأُ مِنْ "الأَسْمَاءِ الزَّائِفَةِ" وَالشِّعَارَاتِ المصْنُوعَةِ الَّتِي تَمْنَحُ الشَّرْعِيَّةَ لِغَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا. هَذِهِ النَّظْرَةُ تَنْفَعُ البَشَرِيَّةَ فِي تَعْرِيَةِ كُلِّ صُوَرِ الدِّكْتَاتُورِيَّاتِ الفِكْرِيَّةِ، مُعْلِنَةً أَنَّ السِّيَادَةَ الحَقِيقِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِقِيَمِ الحَقِّ وَالعَدْلِ الإِلَهِيِّ الَّتِي تَحْمِي الإِنْسَانَ مِنْ أَخِيهِ الإِنْسَانِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم

جَدَلِيَّةُ النَّجَاةِ وَخِيَانَةِ الذَّاكِرَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ

تَضَعُنَا الخَاتِمَةُ (فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) أَمَامَ رُؤْيَةٍ نَفْسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ لَادِعَةٍ تَتَعَلَّقُ بـ"أَنَانِيَّةِ النَّجَاةِ"؛ فَالْفَتَى الَّذِي كَانَ يُقَاسِمُ يُوسُفَ ضِيقَ السِّجْنِ وَيَسْتَفْتِيهِ فِي مَصِيرِهِ، بِمُجَرَّدِ أَنْ خَرَجَ إِلَى مَجَالِ القَصْرِ وَالرَّفَاهِيَةِ، سَقَطَتْ مِنْ ذَاكِرَتِهِ آلَامُ المسْتَضْعَفِينَ. هَذِهِ النَّظْرَةُ الإِنْسَانِيَّةُ تُشَخِّصُ ظَاهِرَةً بَشَرِيَّةً مُتَكَرِّرَةً، حَيْثُ تَتَحَوَّلُ النُّخَبُ الصَّاعِدَةُ أَوِ الأَفْرَادُ النَّاجُونَ إِلَى جُزْءٍ مِنَ آلِيَّةِ الطَّمْسِ السِّيَاسِيِّ، مِمَّا يَتَسَبَّبُ فِي إِطَالَةِ أَمَدِ عِقَابِ الأَبْرِيَاءِ (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ). إِنَّهَا دَعْوَةٌ لِإِحْيَاءِ الضَّمِيرِ الإِنْسَانِيِّ كَيْ لَا تَمْحُوَ نِعَمُ الحَاضِرِ مَسْؤُولِيَّاتِ المَاضِي نَحْوَ المظْلُومِينَ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ

رُؤْيَا المَلِكِ الِاسْتِشْرَافِيَّةِ، عَجْزُ المَلَإِ، وَخِطَّةُ يُوسُفَ لِلْإِنْقَاذِ الِاقْتِصَادِيِّ (٤٣ – ٤٩)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ

شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ (يوسف: ٤٣ – ٤٩)

التيسير

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ [فِي المَنَامِ] سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ [هَزِيلَاتٌ ضَعِيفَاتٌ] وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ [جَافَّاتٍ]ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ [أَشْرَافُ القَوْمِ وَالخُبَرَاءُ] أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ [تُفَسِّرُونَ وَتَعْلَمُونَ عِبَارَتَهَا] ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ [أَخْلَاطٌ وَأَوْهَامٌ مُشَوَّشَةٌ لَا مَعْنَى لَهَا]ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا [وَهُوَ السَّاقِي] وَادَّكَرَ [وَتَذَكَّرَ حَالُ يُوسُفَ] بَعْدَ أُمَّةٍ [بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ] أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ [إِلَى يُوسُفَ فِي السِّجْنِ] ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ [المَعْرُوفُ بِكَثْرَةِ الصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ] أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ [إِلَى المَلِكِ وَأَهْلِ دَوْلَتِهِ] لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ [بِمَكَانَتِكَ وَمَا يَجِبُ فِعْلُهُ] ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا [مُتَتَابِعَةً بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ كَالمُعْتَادِ] فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ [فَاتْرُكُوهُ فِي غِلَافِهِ لِيُحْفَظَ مِنَ التَّلَفِ] إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ [مِمَّا تَحْتَاجُونَهُ لِلِاسْتِهْلَاكِ الفَوْرِيِّ] ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ [سَنَوَاتُ جَدْبٍ وَقَحْطٍ صَعْبَةٌ] يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ [يَسْتَهْلِكْنَ مَا ادَّخَرْتُمُوهُ لَهُنَّ مِنَ الطَّعَامِ] إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ [مِمَّا تَحْفَظُونَهُ كَبُذُورٍ لِلزِّرَاعَةِ] ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ [بِالمَطَرِ وَالخِصْبِ وَالنَّمَاءِ] وَفِيهِ يَعْصِرُونَ [الزَّيْتُونَ وَالعِنَبَ وَالسِّمْسِمَ لِوَفْرَةِ الخَيْرَاتِ] ﴿٤٩﴾

النثر

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَهَزِيلَاتٌ ضَعِيفَاتٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ وَجَافَّاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ وَأَشْرَافُ القَوْمِ وَالخُبَرَاءُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ وَتُفَسِّرُونَ وَتَعْلَمُونَ عِبَارَتَهَا، قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَأَخْلَاطٌ وَأَوْهَامٌ مُشَوَّشَةٌ لَا مَعْنَى لَهَا وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ، وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَهُوَ السَّاقِي وَادَّكَرَ وَتَذَكَّرَ حَالُ يُوسُفَ بَعْدَ أُمَّةٍ وَبَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ إِلَى يُوسُفَ فِي السِّجْنِ، يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ وَالمَعْرُوفُ بِكَثْرَةِ الصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ

عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ وَإِلَى الملِكِ وَأَهْلِ دَوْلَتِهِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ بِمَكَانَتِكَ وَبِمَا يَجِبُ فِعْلُهُ، قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا وَمُتَتَابِعَةً بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ كَالمعْتَادِ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ وَفَاتْرُكُوهُ فِي غِلَافِهِ لِيُحْفَظَ مِنَ التَّلَفِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ وَمِمَّا تَحْتَاجُونَهُ لِلِاسْتِهْلَاكِ الفَوْرِيّ، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ وَسَنَوَاتُ جَدْبٍ وَقَحْطٍ صَعْبَةٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ وَيَسْتَهْلِكْنَ مَا ادَّخَرْتُمُوهُ لَهُنَّ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ وَمِمَّا تَحْفَظُونَهُ كَبُذُورٍ لِلزِّرَاعَةِ، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ بِالمطَرِ وَالخِصْبِ وَالنَّمَاءِ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ الزَّيْتُونَ وَالعِنَبَ وَالسِّمْسِمَ لِوَفْرَةِ الخَيْرَاتِ.

المعاني

١. اسْتِعْمَالُ "وَقَالَ المِلِكُ إِنِّي أَرَى" لِبَيَانِ أَنَّ الأَزَمَاتِ الكُبْرَى قَدْ تَبْدَأُ بِإِشَارَاتٍ نَفْسِيَّةٍ أَوْ رَمْزِيَّةٍ تَلْتَقِطُهَا رَأْسُ السُّلْطَةِ (أَصْلُهُ: وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ).

٢. رَصْدُ مَفْهُومِ "المَلَأِ" كَجَمَاعَةٍ اسْتِشَارِيَّةٍ تُحِيطُ بِصَانِعِ القَرَارِ لَكِنَّهَا قَدْ تَكُونُ عِبْئًا تَعْطِيلِيًّا (أَصْلُهُ: يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي).

٣. دَلَالَةُ الِاعْتِذَارِ بِـ"أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ" عَلَى مَيْلِ المؤَسَّسَاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ إِلَى تَسْفِيهِ مَا تَعْجَزُ عَنْ فَهْمِهِ حِفَاظًا عَلَى مَظْهَرِ مَعْرِفَتِهَا (أَصْلُهُ: قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ).

٤. بَيَانُ أَنَّ المعْرِفَةَ الحَقِيقِيَّةَ لَا تَسْقُطُ بِالعَجْزِ الجَمَاعِيّ: "وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ" (أَصْلُهُ: وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ).

٥. اسْتِعْمَالُ "وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ" لِرَصْدِ لَحْظَةِ الصَّحْوَةِ المصْلَحِيَّةِ لِلذَّاكِرَةِ البَشَرِيَّةِ عِنْدَمَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى خِبْرَةِ المقْمُوعِينَ (أَصْلُهُ: وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ).

٦. إِطْلَاقُ وَصْفِ "أَيُّهَا الصِّدِّيقُ" كَشَهَادَةٍ مَوْضُوعِيَّةٍ مِنْ دَاخِلِ مَنْظُومَةِ القَصْرِ عَلَى ثَبَاتِ هُوِيَّةِ يُوسُفَ الأَخْلَاقِيَّةِ (أَصْلُهُ: يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ).

٧. طَلَبُ "أَفْتِنَا" لِتَحْوِيلِ يُوسُفَ المسْجُونِ إِلَى مَرْجِعِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ تُسْتَفْتَى فِي مَصِيرِ أُمَّةٍ كَامِلَةٍ (أَصْلُهُ: أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ).

٨. دَلَالَةُ "لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ" عَلَى رَغْبَةِ الوَسِيطِ فِي إِخْرَاجِ المجْتَمَعِ مِنْ حَالَةِ العَمَى المعْرِفِيّ إِلَى الرَّشَادِ (أَصْلُهُ: لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ).

٩. التَّوْجِيهُ بِـ"تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا" لِتَأْصِيلِ قِيمَةِ العَمَلِ المسْتَدَامِ كَخَطِّ دِفَاعٍ أَوَّلَ ضِدَّ الكَوَارِثِ (أَصْلُهُ: قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا).

١٠. تَقْنِينُ "فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ" كَمُعَالَجَةٍ عِلْمِيَّةٍ تَقْنِيَّةٍ لِحِفْظِ المخْزُونِ الِاسْتِرَاتِيجِيّ مِنْ عَوَامِلِ التَّلَفِ الطَّبِيعِيّ (أَصْلُهُ: فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ).

١١. تَشْرِيعُ قَاعِدَةِ "إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ" لِفَرْضِ سِيَاسَةِ التَّقَشُّفِ الِاسْتِهْلَاكِيّ لِصَالِحِ الأَمْنِ القَوْمِيّ (أَصْلُهُ: إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ).

١٢. وَصْفُ السَّنَوَاتِ بِـ"سَبْعٌ شِدَادٌ" لِتَهْيِئَةِ الوَعْيِ الجَمَاعِيّ لِمُوَاجَهَةِ الأَزَمَاتِ الصَّعْبَةِ بِرُوحٍ مَسْؤُولَةٍ (أَصْلُهُ: ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ).

١٣. التَّعْبِيرُ بِـ"يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ" لِتَشْخِيصِ لَهَفِ سَنَوَاتِ القَحْطِ لِلْمُدَّخَرَاتِ السَّابِقَةِ (أَصْلُهُ: يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ).

١٤. بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ "مِمَّا تُحْصِنُونَ" كَمَخْزُونٍ نَوَوِيّ لَا يُجَوَّزُ المسَاسُ بِهِ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ جِينَاتِ المسْتَقْبَلِ (أَصْلُهُ: إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ).

١٥. الِاسْتِشْرَافُ بِـ"عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ" لِبَثِّ الأَمَلِ فِي النُّفُوسِ وَتَأْكِيدِ نِهَايَةِ دَوْرَةِ الأَزْمَةِ الحَتْمِيَّةِ (أَصْلُهُ: ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ).

١٦. التَّعْبِيرُ بِـ"وَفِيهِ يَعْصِرُونَ" كَمُؤَشِّرٍ حَضَارِيٍّ عَلَى عَوْدَةِ الرَّفَاهِيَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ وَفَائِضِ الإِنْتَاجِ (أَصْلُهُ: وَفِيهِ يَعْصِرُونَ).

الأحكام

١. وجوبُ التَّخْطِيطِ الِاسْتِرَاتِيجِيّ المسْؤُولِ لِإِدَارَةِ مَوَارِدِ المجْتَمَعِ، وَعَدَمِ تَرْكِ الأَمْنِ الغِذَائِيّ لِلصُّدَفِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصّ: "تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا").

٢. تحريمُ الإسْرَافِ وَالِاسْتِهْلَاكِ العَبَثِيّ فِي زَمَنِ الوَفْرَةِ، وَوُجُوبُ الِادِّخَارِ المِحْمِيّ لِأَوْقَاتِ الأَزَمَاتِ (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ").

٣. جوازُ لُجُوءِ السُّلْطَةِ إِلَى أَهْلِ الخِبْرَةِ وَالعِلْمِ (حَتَّى لَوْ كَانُوا خَارِجَ المَنْظُومَةِ الحَاكِمَةِ) لِإِنْقَاذِ المَصَالِحِ العَامَّةِ لِلْبَشَرِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا").

٤. وجوبُ حِمَايَةِ أُصُولِ الإِنْتَاجِ (البُذُورِ وَأَدَوَاتِ العَمَلِ) وَعَدَمِ اسْتِهْلَاكِهَا كُلِّيًّا فِي زَمَنِ الجُوعِ لِضَمَانِ دَيْمُومَةِ الحَيَاةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ").

القواعد

• قاعدة عَمَى النُّخْبَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ أَمَامَ التَّحَوُّلَاتِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ خُبَرَاءَ المَرْكَزِ (المَلَأَ) حِينَمَا يَعْجَزُونَ عَنْ أَدَوَاتِ التَّفْسِيرِ غَيْرِ النَّمَطِيَّةِ، يَلْجَأُونَ إِلَى تَعْلِيبِ الأَزْمَةِ تَحْتَ مُسَمَّيَاتٍ تَبْرِيرِيَّةٍ (أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ) لِلْحِفَاظِ عَلَى مَكَاسِبِهِمْ (الدَّلِيلُ: قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ).

• قاعدة مَوْضُوعِيَّةِ العِلْمِ وَتَعَالِيهِ عَنِ الضَّغِينَةِ: وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ العَالِمَ الحَقِيقِيَّ لَا يَسْتَخْدِمُ مَعْرِفَتَهُ كَأَدَاةٍ لِلِابْتِزَازِ السِّيَاسِيِّ أَوْ تَصْفِيَةِ الحِسَابَاتِ؛ فَيُوسُفُ لَمْ يَشْتَرِطْ خُرُوجَهُ أَوَّلًا، بَلْ قَدَّمَ الخِطَّةَ مُبَاشَرَةً لِنَفْعِ الإِنْسَانِيَّةِ (الدَّلِيلُ: قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا...).

• قاعدة التَّوَازُنِ بَيْنَ الِاسْتِهْلَاكِ وَالِادِّخَارِ الِاسْتِرَاتِيجِيّ: وَتَقْضِي بِأَنَّ اسْتِدَامَةَ الأُمَمِ مَرْهُونَةٌ بِقُدْرَتِهَا عَلَى ابْتِكَارِ تَقْنِيَّاتِ حِفْظٍ ذَاتِيَّةٍ (فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ) وَالِاكْتِفَاءِ بِالحَدِّ الأَدْنَى مِنَ الِاسْتِهْلَاكِ الحَالِيِّ تَأْمِينًا لِلْمُسْتَقْبَلِ (الدَّلِيلُ: فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ).

الأبعاد

عَبَثِيَّةُ المسْحِ المعْرِفِيّ لِلْمَلَإِ وَحَتْمِيَّةُ العِلْمِ الرَّصِينِ

تُقَدِّمُ الآيَاتُ نَظَرَةً إِنْسَانِيَّةً حَوْلَ "أَزْمَةِ المعْرِفَةِ فِي مَرَاكِزِ القَرَارِ"؛ فَالمِلكُ حِينَمَا اسْتَشَارَ بَطَانَتَهُ (المَلَأَ)، كَشَفَ مَوْقِفُهُمْ عَنْ هَشَاشَةِ المؤَسَّسَاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ الَّتِي تُسْقِطُ قِيمَةَ مَا لَا تَعْلَمُ لِتَحْمِيَ مَوَاقِعَهَا. إِنَّ لَفْظَ "أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ" هُوَ الوَصْفُ البِيرُوقْرَاطِيُّ الجَاهِزُ لِكُلِّ فِكْرٍ تَجْدِيدِيّ. هَذِهِ

الرُّؤْيَةُ تُعَالِجُ مَرَضَ الِاعْتِمَادِ عَلَى أَهْلِ الثِّقَةِ السُّلْطَوِيَّةِ بَدَلًا مِنْ أَهْلِ الكَفَاءَةِ العِلْمِيَّةِ، وَتُؤَكِّدُ أَنَّ الأَزْمَاتِ المِعْيَارِيَّةَ لَا تَحُلُّهَا التَّحْمِينَاتُ، بَلْ المَعْرِفَةُ القَائِمَةُ عَلَى الصِّدْقِ الَّتِي يُمَثِّلُهَا نَمُوذَجُ يُوسُفَ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ

مَسْؤُولِيَّةُ العَالِمِ المَظْلُومِ نَحْوَ حِمَايَةِ المُجْتَمَعِ مِنَ الفَنَاءِ

تَرْسَمُ خِطَّةُ يُوسُفَ رُؤْيَةً حَضَارِيَّةً عَالِيَةَ السُّمُوِّ؛ فَالرَّجُلُ المَهْمُومُ دَاخِلَ ظُلْمَةِ السِّجْنِ لَمْ يَمْنَعْ عِلْمَهُ، وَلَمْ يُسَاوِمْ عَلَى حُرِّيَّتِهِ الفَرْدِيَّةِ فِي لَحْظَةِ ارْتِبَاكِ الدَّوْلَةِ، بَلْ بَادَرَ بِتَقْدِيمِ حَلٍّ تَقْنِيٍّ وَاقْتِصَادِيٍّ يَقِي المُجْتَمَعَ كُلَّهُ (بِمَنْ فِيهِمْ مَنْ سَجَنُوهُ) خَطَرَ الهَلَاكِ. هَذِهِ النَّظْرَةُ تَنْفَعُ البَشَرِيَّةَ فِي تَأْصِيلِ أَنَّ العِلْمَ هُوَ أَمَانَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ وَعِلَاجٌ لِلْوَاقِعِ، وَأَنَّ صَاحِبَ الرِّسَالَةِ الحَقِيقِيَّ يَتَعَالَى عَنْ جِرَاحِهِ الشَّخْصِيَّةِ لِيَكُونَ طَوْقَ نَجَاةٍ لِلْحَضَارَةِ البَشَرِيَّةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ

هَنْدَسَةُ الِادِّخَارِ الِاسْتِرَاتِيجِيِّ وَالِانْتِقَالُ مِنْ مَنْطِقِ الأَزْمَةِ إِلَى الوَفْرَةِ

تَطْرَحُ الآيَاتُ نَظَرِيَّةً إِنْسَانِيَّةً مُتَكَامِلَةً فِي "إِدَارَةِ النُّدْرَةِ وَالوَفْرَةِ"؛ فَيُوسُفُ لَمْ يُقَدِّمْ تَفْسِيرًا غَيْبِيًّا بَحْتًا، بَلْ قَدَّمَ هَنْدَسَةً تَقْنِيَّةً (فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ) تَعْتَمِدُ عَلَى فَهْمِ طَبِيعَةِ المَوَادِّ، وَخِطَّةً زَمَنِيَّةً تُقَسِّمُ عُمْرَ النَّمَاءِ وَالجَدْبِ لِتَحْقِيقِ التَّوَازُنِ البَشَرِيِّ. ثُمَّ يَخْتِمُ الخِطَّةَ بِبَثِّ الأَمَلِ الِاسْتِشْرَافِيِّ (عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) لِبَيَانِ أَنَّ الإِدَارَةَ الرَّشِيدَةَ لِلْمَوَارِدِ هِيَ الَّتِي تُعْبِرُ بِالمُجْتَمَعَاتِ مَرَاحِلَ الشِّدَّةِ لِتَصِلَ بِهَا إِلَى مَرْحَلَةِ الرَّفَاهِ النَّافِعِ. إِنَّ هَذِهِ النَّظْرَةَ تُعَالِجُ سُوءَ التَّدْبِيرِ التَّنْمَوِيِّ الَّذِي يَعْصِفُ بِالكَثِيرِ مِنْ مُجْتَمَعَاتِنَا المُعَاصِرَةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ

التَّحْقِيقُ الرَّسْمِيُّ، اعْتِرَافُ امْرَأَةِ العَزِيزِ، وَإِعْلَانُ البَرَاءَةِ التَّامَّةِ (٥٠ – ٥٣)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ

حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ (يوسف: ٥٠ – ٥٣)

التيسير

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ [أَخْرِجُوهُ مِنَ السِّجْنِ وَأَحْضِرُوهُ إِلَيَّ] ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ [مَبْعُوثُ الملِكِ] قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ [إِلَى سَيِّدِكَ الملِكِ] فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ [مَا شَأْنُ وَحَقِيقَةُ قِصَّةِ] النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ [الملِكُ لِلنِّسْوَةِ بَعْدَ جَمْعِهِنَّ] مَا خَطْبُكُنَّ [مَا شَأْنُكُنَّ وَمَاذَا جَرَى مِنْكُنَّ] إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ [تَنْزِيهًا لِلَّهِ] مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ [مِنْ خِيَانَةٍ أَوْ عَيْبٍ] ۚ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ [ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ بَعْدَ خَفَاءٍ] أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ [الاسْتِيثَاقُ وَطَلَبُ البَرَاءَةِ الَّذِي فَعَلْتُهُ] لِيَعْلَمَ [العَزِيزُ] أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ [فِي حَالِ غَيْبَتِهِ بِارْتِكَابِ الفَاحِشَةِ الفِعْلِيَّةِ] وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي [لَا أُنَزِّهُ نَفْسِي تَنْزِيهًا مُطْلَقًا] ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ [كَثِيرَةُ المَيْلِ إِلَى الشَّهَوَاتِ] إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي [إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ] ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

النثر

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ وَأَخْرِجُوهُ مِنَ السِّجْنِ وَأَحْضِرُوهُ إِلَيَّ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ وَمَبْعُوثُ الملِكِ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ وَإِلَى سَيِّدِكَ الملِكِ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ وَمَا شَأْنُ وَحَقِيقَةُ قِصَّةِ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ، قَالَ الملِكُ لِلنِّسْوَةِ بَعْدَ جَمْعِهِنَّ مَا خَطْبُكُنَّ وَمَا شَأْنُكُنَّ وَمَاذَا جَرَى مِنْكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ تَنْزِيهًا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ وَمِنْ خِيَانَةٍ أَوْ عَيْبٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ وَظَهَرَ وَتَبَيَّنَ بَعْدَ خَفَاءٍ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ، ذَلِكَ الاسْتِيثَاقُ وَطَلَبُ البَرَاءَةِ الَّذِي فَعَلْتُهُ لِيَعْلَمَ العَزِيزُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ فِي حَالِ غَيْبَتِهِ بِارْتِكَابِ الفَاحِشَةِ الفِعْلِيَّةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي

وَلَا أُنَزِّهُ نَفْسِي تَنْزِيهًا مُطْلَقًا إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ وَكَثِيرَةُ المَيْلِ إِلَى الشَّهَوَاتِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي وَإِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

المعاني

١. دَلَالَةُ "وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ" عَلَى أَنَّ الكَفَاءَةَ المعْرِفِيَّةَ هِيَ الَّتِي تَفْرِضُ عَلَى السُّلْطَةِ السَّعْيَ خَلْفَ النُّخَبِ المقْمُوعَةِ (أَصْلُهُ: وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ).

٢. اسْتِعْمَالُ مَوْقِفِ الرَّفْضِ "ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ" لِبَيَانِ أَنَّ الحُرَّ لَا يَقْبَلُ النَّجَاةَ الفَرْدِيَّةَ المشْرُوطَةَ بِالعَفْوِ دُونَ رَدِّ الِاعْتِبَارِ القَانُونِيّ (أَصْلُهُ: قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ).

٣. تَعْيِينُ "مَا بَالُ النِّسْوَةِ" كَمَطْلَبٍ جِنَائِيٍّ لِإِعَادَةِ فَتْحِ التَّحْقِيقِ فِي المَلَفَّاتِ المطْمُوسَةِ سِيَاسِيًّا (أَصْلُهُ: مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي).

٤. بَيَانُ رُجُوعِ المَلِكِ إِلَى المسَارِ القَضَائِيّ: "قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ" لِرَصْدِ خُضُوعِ السُّلْطَةِ التَّنْفِيذِيَّةِ لِشُرُوطِ العَدَالَةِ (أَصْلُهُ: قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ).

٥. شَهَادَةُ النِّسْوَةِ "مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ" كَإِقْرَارٍ جَمَاعِيٍّ مَوْضُوعِيٍّ بِطَهَارَةِ بِنْيَةِ المصْلِحِ (أَصْلُهُ: قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ).

٦. اسْتِعْمَالُ لَفْظِ "حَصْحَصَ الْحَقُّ" لِبَيَانِ أَنَّ زَمَنَ الزَّيْفِ مَهْمَا طَالَ فَإِنَّ المَوْضُوعِيَّةَ التَّارِيخِيَّةَ كَفِيلَةٌ بِتَعْرِيَةِ المظَالِمِ (أَصْلُهُ: قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ).

٧. صَرَاحَةُ الِاعْتِرَافِ "أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ" لِتَأْكِيدِ انْهِيَارِ مَنْظُومَةِ الِاتِّهَامِ السَّابِقَةِ أَمَامَ سُلْطَةِ الحَقِيقَةِ (أَصْلُهُ: أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ).

٨. دَلَالَةُ شَهَادَةِ الخَصْمِ "وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" عَلَى انْتِصَارِ الأَمَانَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ فِي نِهَايَةِ المطَافِ (أَصْلُهُ: وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ).

٩. التَّعْلِيلُ بِـ"لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ" لِبَيَانِ أَهَمِّيَّةِ نَفْيِ جَرِيمَةِ الخِيَانَةِ الوَظِيفِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ (أَصْلُهُ: ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ).

١٠. تَقْرِيرُ قَانُونِ "أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ" لِكَشْفِ حَتْمِيَّةِ فَشَلِ الأَنْسَاقِ التَّآمُرِيَّةِ (أَصْلُهُ: وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ).

١١. سِمَةُ النَّقْدِ الذَّاتِيّ "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي" لِرَصْدِ الاعْتِرَافِ الإِنْسَانِيّ بِالضَّعْفِ الطَّبِيعِيّ دُونَ الِادِّعَاءِ الزَّائِفِ لِلْمِثَالِيَّةِ (أَصْلُهُ: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي).

١٢. وَصْفُ "إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ" لِتَشْخِيصِ طَبِيعَةِ الغَرِيزَةِ البَشَرِيَّةِ عِنْدَمَا تَتَجَرَّدُ مِنَ الرَّدْعِ القِيَمِيّ (أَصْلُهُ: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ).

١٣. الِاسْتِثْنَاءُ بِـ"إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي" لِإِثْبَاتِ أَنَّ العِصْمَةَ الأَخْلَاقِيَّةَ وَالنَّجَاحَ القِيَمِيَّ مَرْهُونَانِ بِالتَّأْيِيدِ الإِلَهِيّ وَالرَّحْمَةِ المَعْرِفِيَّةِ (أَصْلُهُ: إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي).

١٤. الخَتْمُ بِـ"إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" لِفَتْحِ بَابِ التَّصْحِيحِ الحَضَارِيّ وَالنَّفْسِيّ لِكُلِّ مَنْ أَخْطَأَ ثُمَّ أَنَابَ (أَصْلُهُ: إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

الأحكام

١. وجوبُ طَلَبِ البَرَاءَةِ العَلَنِيَّةِ وَرَدِّ الِاعْتِبَارِ القَانُونِيّ لِلْمَظْلُومِ، وَعَدَمِ القَبُولِ بِأَنْصَافِ الحُلُولِ الَّتِي تَتْرُكُ شُبْهَةَ التُّهْمَةِ قَائِمَةً (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصّ: "قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ").

٢. وجوبُ إِظْهَارِ الشَّهَادَةِ الحَقَّةِ وَالِاعْتِرَافِ بِالخَطَأِ عِنْدَ انْكِشَافِ الحَقَائِقِ لِرَفْعِ الظُّلْمِ عَنِ الأَبْرِيَاءِ (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ").

٣. تحريمُ الخِيَانَةِ بِالغَيْبِ سَوَاءً كَانَتْ خِيَانَةً أُسَرِيَّةً، اجْتِمَاعِيَّةً، أَوْ وَظِيفِيَّةً (دَلِيلُهُ مِنَ النَّشْرِ: "لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ").

٤. وجوبُ النَّقْدِ الذَّاتِيّ وَعَدَمِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ تَبْجِيلًا زَائِفًا، بَلْ يَنْبَغِي الِاعْتِرَافُ بِالضَّعْفِ البَشَرِيّ لِتَصْحِيحِ المِسَارِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصّ: "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ").

القواعد

• قاعدة التَّلَازُمِ بَيْنَ البَرَاءَةِ وَالتَّمْكِينِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ القَائِدَ الإِصْلَاحِيَّ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَتَسَنَّمَ ذُرْوَةَ المَنَاصِبِ التَّنْمَوِيَّةِ وَهُوَ مُكَبَّلٌ بِتُهَمٍ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ أَخْلَاقِيَّةٍ طَمَسَتْهَا السُّلْطَةُ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ نَقَاءِ السِّجِلِّ جِنَائِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا (الدَّلِيلُ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ).

• قاعدة حَتْمِيَّةِ انْكِشَافِ الزَّيْفِ (حَصْحَصَةِ الحَقِّ): وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْظُومَةٍ تَقُومُ عَلَى التَّلْفِيقِ وَالكَذِبِ وَحِمَايَةِ المَصَالِحِ الضَّيِّقَةِ سَتَصِلُ نِهَايَتُهَا إِلَى الِانْهِيَارِ الذَّاتِيِّ والِاعْتِرَافِ الصَّرِيحِ بِالحَقِيقَةِ (الدَّلِيلُ: قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ).

• قاعدة الضَّبْطِ الأَخْلَاقِيِّ لِلْغَرِيزَةِ الإِنْسَانِيَّةِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ النَّفْسَ البَشَرِيَّةَ بِطَبِيعَتِهَا التَّكْوِينِيَّةِ تَمِيلُ إِلَى تَجَاوُزِ الحُدُودِ وَاتِّبَاعِ الهَوَى (أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) مَا لَمْ تَحْظَ بِرَحْمَةِ الوَعْيِ وَالعِصْمَةِ القِيَمِيَّةِ (الدَّلِيلُ: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي).

الأبعاد

رَفْضُ الحُرِّيَّةِ الشَّكْلِيَّةِ وَتَأْصِيلُ قِيمَةِ الكَرَامَةِ القَانُونِيَّةِ

تُقَدِّمُ الآيَاتُ نَظَرَةً إِنْسَانِيَّةً شَاهِقَةً حَوْلَ "مَفْهُومِ الحُرِّيَّةِ الحَقِيقِيَّةِ"؛ فَيُوسُفُ المِسْجُونُ لَمْ يَبْتَهِجْ بِمُجَرَّدِ صُدُورِ الأَمْرِ المَلَكِيِّ بِإِخْرَاجِهِ كَـ"مَكْرُمَةٍ سُلْطَوِيَّةٍ"، بَلْ رَفَضَ الخُرُوجَ حَتَّى يَتِمَّ تَطْهِيرُ سُمْعَتِهِ قَانُونِيًّا وَعَلَنِيًّا. هَذِهِ الرُّؤْيَةُ تُعَالِجُ مَرَضَ القُبُولِ بِالحُرِّيَّةِ المَنْقُوصَةِ أَوْ الخُرُوجِ المَشْبُوهِ، وَتُؤَكِّدُ أَنَّ كَرَامَةَ الإِنْسَانِ وَبَرَاءَتَهُ النَّاصِعَةَ هِيَ رَأْسُ مَالِهِ الحَضَارِيِّ، وَأَنَّ بِنَاءَ المُسْتَقْبَلِ يَتَطَلَّبُ إِغْلَاقَ مَلَفَّاتِ المَاضِي بِالعَدْلِ لَا بِالتَّغْطِيَةِ السِّيَاسِيَّةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ

الِاعْتِرَافُ الحَضَارِيُّ وَشَجَاعَةُ مَطْهَرِ الحَقِيقَةِ

تَرْسُمُ كَلِمَاتُ امْرَأَةِ العَزِيزِ (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) بُعْدًا نَفْسِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا عَمِيقًا يَتَعَلَّقُ بِـ"لَحْظَةِ الصِّدْقِ الذَّاتِيِّ"؛ فَأَمَامَ طَهَارَةِ يُوسُفَ وَأَزْمَةِ الدَّوْلَةِ، انْهَارَ الكِبْرِيَاءُ الزَّائِفُ لِصَالِحِ شَجَاعَةِ الِاعْتِرَافِ. هَذِهِ النَّظَرَةُ تَنْفَعُ البَشَرِيَّةَ فِي تَبْيِينِ أَنَّ العَوْدَةَ إِلَى الحَقِّ هِيَ المَطْهَرُ الوَحِيدُ لِلْمُجْتَمَعَاتِ، وَأَنَّ الِاعْتِرَافَ بِالخَطَأِ مِنَ النُّخْبَةِ الحَاكِمَةِ (أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ) هُوَ بِدَايَةُ الصَّلَاحِ المؤَسَّسَاتِيِّ الَّذِي يَهْدِمُ كَيْدَ الخِيَانَةِ لِيَبْنِيَ شَرْعِيَّةَ الصِّدْقِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ

تَفْكِيكُ الادِّعَاءِ المِثَالِيِّ وَمَوْضُوعِيَّةُ النَّقْدِ الذَّاتِيِّ

تَضَعُنَا الآيَةُ الأَخِيرَةُ (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) أَمَامَ رُؤْيَةٍ أَنْثُرُوبُولُوجِيَّةٍ رَصِينَةٍ لِلْمَكُونِ البَشَرِيِّ؛ فَهِيَ تَكْشِفُ عَنِ التَّوَازُنِ بَيْنَ النَّزْعَةِ الشَّهَوَانِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ وَبَيْنَ أَهَمِّيَّةِ الرَّحْمَةِ المَعْرِفِيَّةِ وَالعِصْمَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي تَقِيهِ مَزَالِقَ السُّقُوطِ. هَذِهِ النَّظَرَةُ تَنْفَعُ الإِنْسَانَ فِي فَهْمِ نَفْسِهِ دُونَ مِثَالِيَّةٍ مُفْرِطَةٍ تُعْمِيهِ عَنْ عُيُوبِهِ، وَدُونَ جَفَاءٍ يَقْطَعُهُ عَنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، مِمَّا يُؤَسِّسُ لِنَمُوذَجٍ إِنْسَانِيٍّ يَتَعَلَّمُ مِنْ أَخْطَائِهِ لِيُسَاهِمَ فِي تَرْقِيَةِ الوَعْيِ الجَمَاعِيِّ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي

تَمْكِينُ يُوسُفَ، تَقْلِيدُ المَنَاصِبِ، وَإِدَارَةُ الخَزَائِنِ (٥٤ – ٥٧)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ (يوسف: ٥٤ – ٥٧)

التيسير

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي [أَجْعَلْهُ خَاصَّتِي وَمُسْتَشَارِي القَرِيبَ] ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ [وَشَاهَدَ عِلْمَهُ وَعَقْلَهُ] قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ [صَاحِبُ مَكَانَةٍ وَمَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ] أَمِينٌ [مَوْثُوقٌ بِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ] ﴿٥٤﴾ قَالَ [يُوسُفُ] اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ [مَسْؤُولًا عَنْ مَوَارِدِ الدَّوْلَةِ وَإِدَارَةِ الِاقْتِصَادِ] ۖ إِنِّي حَفِيظٌ [بَصِيرٌ بِالحِفْظِ وَالصِّيَانَةِ] عَلِيمٌ [ذُو مَعْرِفَةٍ وَخِبْرَةٍ بِإِدَارَةِ الأَزْمَاتِ] ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ [أَعْطَيْنَاهُ السُّلْطَةَ وَالنُّفُوذَ] يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ [يَتَصَرَّفُ فِيهَا بِحُرِّيَّةٍ وَرَفَاهٍ] ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي أَعْمَالِهِمْ وَصَبَرُوا] ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يَجْتَنِبُونَ المَعَاصِيَ وَيَحْفَظُونَ القِيَمَ] ﴿٥٧﴾

النثر

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي وَأَجْعَلْهُ خَاصَّتِي وَمُسْتَشَارِي القَرِيبَ فَلَمَّا كَلَّمَهُ وَشَاهَدَ عِلْمَهُ وَعَقْلَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ وَصَاحِبُ مَكَانَةٍ وَمَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ أَمِينٌ وَمَوْثُوقٌ بِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَمَسْؤُولًا عَنْ مَوَارِدِ الدَّوْلَةِ وَإِدَارَةِ الِاقْتِصَادِ إِنِّي حَفِيظٌ وَبَصِيرٌ بِالحِفْظِ وَالصِّيَانَةِ عَلِيمٌ وَذُو مَعْرِفَةٍ وَخِبْرَةٍ بِإِدَارَةِ الأَزَمَاتِ، وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْطَيْنَاهُ السُّلْطَةَ وَالنُّفُوذَ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ وَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِحُرِّيَّةٍ وَرَفَاهٍ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي أَعْمَالِهِمْ وَصَبَرُوا وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ وَيَجْتَنِبُونَ المعَاصِيَ وَيَحْفَظُونَ القِيَمَ.

المعاني

١. دَلَالَةُ أَمْرِ المِلِكِ بِـ"أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي" عَلَى سَعْيِ مَرَاكِزِ القَرَارِ لِجَذْبِ الكَفَاءَاتِ النَّادِرَةِ لِتَكُونَ رَكِيزَةً فِي بِنَاءِ المَنْظُومَةِ (أَصْلُهُ: أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي).

٢. رَصْدُ لَحْظَةِ المرَاجَعَةِ المعْرَفِيَّةِ "فَلَمَّا كَلَّمَهُ" كَمِعْيَارٍ لِتَقْيِيمِ القُدُرَاتِ الذَّاتِيَّةِ عَبْرَ الحِوَارِ العِلْمِيِّ المبَاشِرِ (أَصْلُهُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ).

٣. اسْتِعْمَالُ وَصْفِ "مَكِينٌ" لِبَيَانِ مَنْحِ الصَّلَاحِيَّاتِ التَّنْفِيذِيَّةِ الكَامِلَةِ لِلْمُصْلِحِ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ أَدَاءِ مَهَمَّتِهِ الحَضَارِيَّةِ (أَصْلُهُ: إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ).

٤. بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ رَكِيزَةِ "أَمِينٌ" كَشَرْطٍ أَخْلَاقِيٍّ لَا تَنْفَصِلُ الحَكَمِيَّةُ الرَّشِيدَةُ عَنْهُ فِي إِدَارَةِ شُؤُونِ البَشَرِ (أَصْلُهُ: مَكِينٌ أَمِينٌ).

٥. اسْتِعْمَالُ طَلَبِ "اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ" لِرَصْدِ مَشْرُوعِيَّةِ التَّقَدُّمِ لِتَحَمُّلِ المسْؤُولِيَّةِ العَامَّةِ عِنْدَمَا تَقْتَضِي الضَّرُورَةُ الإِنْسَانِيَّةُ ذَلِكَ (أَصْلُهُ: قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ).

٦. دَلَالَةُ تَقْدِيمِ صِفَةِ "حَفِيظٌ" عَلَى أَهَمِّيَّةِ صِيَانَةِ المَوَارِدِ العَامَّةِ وَحِمَايَتِهَا مِنَ الفَسَادِ المَالِيِّ وَالتَّلَفِ (أَصْلُهُ: إِنِّي حَفِيظٌ).

٧. بَيَانُ أَنَّ مَفْهُومَ "عَلِيمٌ" يُمَثِّلُ الخِبْرَةَ التَّقْنِيَّةَ وَالمَعْرِفَةَ الِاقْتِصَادِيَّةَ اللَّازِمَةَ لِوَضْعِ الخِطَطِ الِاسْتْرَاتِيجِيَّةِ (أَصْلُهُ: حَفِيظٌ عَلِيمٌ).

٨. اسْتِعْمَالُ "مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" لِتَأْصِيلِ أَنَّ التَّمْكِينَ الحَقِيقِيَّ هُوَ الثَّمَرَةُ المَوْضُوعِيَّةُ لِلصَّبْرِ وَالعِلْمِ الرَّصِينِ (أَصْلُهُ: وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ).

٩. التَّعْبِيرُ بِـ"يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ" كَمُؤَشِّرٍ حَضَارِيٍّ عَلَى اتِّسَاعِ نُفُوذِ الخِطَّةِ التَّنْمَوِيَّةِ وَحُرِّيَّةِ الحَرَكَةِ لِلْمُصْلِحِ (أَصْلُهُ: يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ).

١٠. تَقْرِيرُ قَاعِدَةِ "وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" لِبَيَانِ أَنَّ الإِحْسَانَ العَمَلِيَّ لَا تَبْطُلُ مَفَاعِيلُهُ فِي النِّظَامِ الكَوْنِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ (أَصْلُهُ: وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

١١. الخَتْمُ بِـ"وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ" لِرَبْطِ النَّجَاحِ التَّنْمَوِيِّ الدُّنْيَوِيِّ بِالأُفُقِ القِيَمِيِّ المُمْتَدِّ الَّذِي يَمْنَعُ الطُّغْيَانَ (أَصْلُهُ: وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ).

الأحكام

١. وجوبُ اعْتِمَادِ مِعْيَارَيِ الكَفَاءَةِ وَالأَمَانَةِ عِنْدَ اسْتِخْلَاصِ المسْؤُولِينَ وَتَقْلِيدِهِمْ مَنَاصِبَ الدَّوْلَةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ").

٢. جوازُ طَلَبِ الوِلَايَةِ وَالمَنْصِبِ الِاقْتِصَادِيِّ لِمَنْ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ القُدْرَةَ عَلَى الإِصْلَاحِ وَحِمَايَةِ مَصَالِحِ البَشَرِ عِنْدَ الأَزَمَاتِ (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ").

٣. وجوبُ حِفْظِ خَزَائِنِ الدَّوْلَةِ وَمَوَارِدِهَا العَامَّةِ بِالعِلْمِ وَالصِّيَانَةِ الرَّشِيدَةِ مَنَعًا لِلْهَدْرِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ").

٤. وجوبُ اسْتِحْضَارِ البُعْدِ الأَخْلَاقِيِّ (الإِيمَانِ وَالتَّقْوَى) فِي العَمَلِ التَّنْمَوِيِّ لِضَمَانِ عَدَمِ انْحِرَافِ السُّلْطَةِ نَحْوِ الِاسْتِبْدَادِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ").

القواعد

• قاعدة التَّلَازُم بَيْنَ "المكِينِ" وَ"الأَمِينِ" فِي التَّمْكِينِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ كُلَّ إِدَارَةٍ تَنْفَصِلُ فِيهَا القُوَّةُ وَالصَّلَاحِيَّةُ (مَكِينٌ) عَنِ المؤْثُوقِيَّةِ الأَخْلَاقِيَّةِ (أَمِينٌ) هِيَ إِدَارَةٌ آيِلَةٌ لِلْفَسَادِ، فَلَا إِصْلَاحَ إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمَا (الدَّلِيلُ: إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ).

• قاعدة مَشْرُوعِيَّةِ التَّقَدُّمِ لِإِدَارَةِ "خَزَائِنِ الأَرْضِ" عِنْدَ الأَزَمَاتِ: وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ كَتْمَانَ الكَفَاءَةِ زَمَنَ الكَوَارِثِ خِيَانَةٌ لِلإِنْسَانِيَّةِ، وَأَنَّ طَلَبَ السُّلْطَةِ المالِيَّةِ لَيْسَ جَاهًا بَلْ هُوَ أَدَاةٌ تَقْنِيَّةٌ لِحِمَايَةِ الوُجُودِ البَشَرِيِّ (الدَّلِيلُ: قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ).

• قاعدة رِعَايَةِ "أَجْرِ المحْسِنِينَ" فِي السُّنَنِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ النَّتَائِجَ التَّارِيخِيَّةَ الإِيجَابِيَّةَ تَتْبَعُ بِالضَّرُورَةِ جَوْدَةَ العَمَلِ وَالصَّبْرَ، فَالْأَنْسَاقُ الحَضَارِيَّةُ العَادِلَةُ تُعْطِي كُلَّ مُحْسِنٍ ثَمَرَةَ إِحْسَانِهِ (الدَّلِيلُ: وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

الأبعاد

"أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي" وَتَحَوُّلُ المعْرِفَةِ إِلَى مَرْكَزِ القَرَارِ

تُقَدِّمُ الآيَاتُ رُؤْيَةً إِنْسَانِيَّةً عَمِيقَةً حَوْلَ "صِنَاعَةِ النُّخْبَةِ الرَّشِيدَةِ"؛ فَالْمَلِكُ حِينَمَا اسْتَمَعَ إِلَى يُوسُفَ وَفَكَّكَ أَبْعَادَ خِطَّتِهِ، تَرَكَ مَنْطِقَ التَّهْمِيشِ وَقَرَّرَ أَنْ يَجْعَلَهُ خَاصَّتَهُ. إِنَّ عِبَارَةَ "أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي" تُعَالِجُ مَظَاهِرَ تَقْرِيبِ أَهْلِ المصَالِحِ، وَتُؤَسِّسُ لِنَمُوذَجٍ دَوْلَتِيٍّ يَعْتَمِدُ عَلَى جَذْبِ عُقُولِ البِنَاءِ، حَيْثُ تَتَحَوَّلُ المعْرِفَةُ مِنَ الهَامِشِ (السِّجْنِ) إِلَى قِيَادَةِ المرْكَزِ لِتَدْبِيرِ حَيَاةِ المجْتَمَعِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي

"اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ" كَمَسْؤُولِيَّةٍ تَقْنِيَّةٍ لِحِمَايَةِ البَشَرِ

تَطْرَحُ خِطَّةُ يُوسُفَ بُعْدًا حَضَارِيًّا بَالِغَ الأَهَمِّيَّةِ فِي فَهْمِ "الوِظِيفَةِ العَامَّةِ"؛ فَالرَّجُلُ لَمْ يَطْلُبْ مَنْصِبًا تَشْرِيفِيًّا أَوْ جَاهًا سُلْطَوِيًّا، بَلْ حَدَّدَ مَوْقِعَ الأَزْمَةِ بِدِقَّةٍ (خَزَائِنِ الأَرْضِ) لِيَضَعَ خِبْرَتَهُ فِي مَكَانِهَا الصَّحِيحِ. هَذِهِ النَّظَرَةُ تَنْفَعُ الإِنْسَانِيَّةَ فِي تَفْكِيكِ النَّزْعَةِ الِانْتِهَازِيَّةِ لِلْمَنَاصِبِ، وَتُبَيِّنُ أَنَّ التَّصَدِّيَ لِلْمَسْؤُولِيَّةِ المالِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يَقُومَ عَلَى الِاحْتِرَافِ التَّقْنِيِّ (حَفِيظٌ عَلِيمٌ) الَّذِي يَرَى فِي المَوَارِدِ أَمَانَةً بَشَرِيَّةً لَا غَنِيمَةً سِيَاسِيَّةً.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ

"مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" وَتَأْسِيسُ حُرِّيَّةِ الِاسْتِخْلَافِ الرَّشِيدِ

تَرْسَمُ الآيَاتُ رُؤْيَةً أَنْثُرُوبُولُوجِيَّةً وَاسِعَةً حَوْلَ "مَفْهُومِ التَّمْكِينِ الِاجْتِمَاعِيِّ"؛ فَالسُّلْطَةُ الَّتِي مُنِحَتْ لِيُوسُفَ (يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) لَمْ تَكُنْ أَدَاةً لِلْقَمْعِ، بَلْ كَانَتْ مَسَاحَةً لِإِطْلَاقِ الطَّاقَاتِ الإِنْتَاجِيَّةِ وَإِعَادَةِ تَرْتِيبِ المجَالِ الجُغْرَافِيِّ وَالِاقْتِصَادِيِّ. إِنَّ هَذِهِ النَّظْرَةَ تُعَالِجُ أَزَمَاتِ التَّقْيِيدِ البِيرُوقْرَاطِيِّ وَالفَسَادِ الإِدَارِيِّ، وَتُؤَكِّدُ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ التَّنْمَوِيَّةَ تَتَجَسَّدُ فِي نَجَاحِ المحْسِنِينَ فِي العُبُورِ بِمُجْتَمَعَاتِهِمْ نَحْوَ فَقْدِ النُّدْرَةِ وَتَحْقِيقِ الرَّفَاهِ العَادِلِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ

مَجِيءُ إِخْوَةِ يُوسُفَ، مَعْرِفَتُهُ لَهُمْ، وَتَجْهِيزُهُم بِجَهَازِهِمْ (٥٨ – ٦٢)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ (يوسف: ٥٨ – ٦٢)

التيسير

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ [إِلَى مِصْرَ لِطَلَبِ الميرَةِ وَالطَّعَامِ] فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ [لَا يَعْرِفُونَهُ لِتَبَدُّلِ حَالِهِ وَمَقَامِهِ] ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ [أَعْطَاهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالميرَةِ] قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ [بِنْيَامِينَ] ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ [أُعْطِي الحَقَّ كَامِلًا دُونَ نَقْصٍ] وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ [أَحْسَنُ المضِيفِينَ لَكُمْ] ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي [لَنْ أَقُومَ بِبَيْعِكُمُ الميرَةَ] وَلَا تَقْرَبُونِ [لَا تَدْخُلُوا بِلَادِي] ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ [سَنَسْعَى فِي إِقْنَاعِهِ وَطَلَبِهِ مِنْهُ] وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ [لِغِلْمَانِهِ وَالعَامِلِينَ مَعَهُ] اجْعَلُوا

بِضَاعَتَهُمْ [ثَمَنَ الطَّعَامِ الَّذِي دَفَعُوهُ] فِي رِحَالِهِمْ [فِي أَوْعِيَتِهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ] لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ [إِذَا رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ] لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [إِلَيْنَا مَرَّةً أُخْرَى] ﴿٦٢﴾

النثر

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى مِصْرَ لِطَلَبِ الميرَةِ وَالطَّعَامِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ وَلَا يَعْرِفُونَهُ لِتَبَدُّلِ حَالِهِ وَمَقَامِهِ، وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ وَأَعْطَاهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالميرَةِ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأُعْطِي الحَقَّ كَامِلًا دُونَ نَقْصٍ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ وَأَحْسَنُ المضِيفِينَ لَكُمْ، فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَنْ أَقُومَ بِبَيْعِكُمُ الميرَةَ وَلَا تَقْرَبُونِ وَلَا تَدْخُلُوا بِلَادِي، قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَسَنَسْعَى فِي إِقْنَاعِهِ وَطَلَبِهِ مِنْهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ، وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ وَلِغِلْمَانِهِ وَالعَامِلِينَ مَعَهُ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ وَثَمَنَ الطَّعَامِ الَّذِي دَفَعُوهُ فِي رِحَالِهِمْ وَفِي أَوْعِيَتِهِمْ وَأَمْتِعَتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ وَإِذَا رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْنَا مَرَّةً أُخْرَى.

المعاني

١. دَلَالَةُ "وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ" عَلَى أَنَّ نِظَامَ المَوَارِدِ العَادِلَ الَّذِي أَدَارَهُ يُوسُفُ جَعَلَ مِنْ مِصْرَ مَرْكَزًا جَاذِبًا لِلْأُمَمِ طَلَبًا لِلْأَمْنِ الغِذَائِيِّ (أَصْلُهُ: وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ).

٢. رَصْدُ مَفْهُومِ التَّبَايُنِ المعْرِفِيِّ "فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ" لِبَيَانِ أَنَّ المقَامَ الحَضَارِيَّ الجَدِيدَ لِلْمُصْلِحِ يَعْزِلُهُ عَنْ تَصَوُّرَاتِ جَلَّادِيهِ القُدَامَى (أَصْلُهُ: فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ).

٣. اسْتِعْمَالُ "جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ" لِرَصْدِ مَوْضُوعِيَّةِ المؤَسَّسَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ الَّتِي تُقَدِّمُ الخِدْمَةَ لِلْجَمِيعِ بِنَاءً عَلَى الحَاجَةِ دُونَ خَلْفِيَّاتٍ شَخْصِيَّةٍ (أَصْلُهُ: وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ).

٤. بَيَانُ رَكِيزَةِ "أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ" كَمُؤَشِّرٍ عَلَى عَدَالَةِ التَّوْزِيعِ وَمَنْعِ التَّطْفِيفِ فِي أَنْظِمَةِ الدَّوْلَةِ (أَصْلُهُ: أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ).

٥. اسْتِعْمَالُ وَصْفِ "خَيْرُ الْمُنزِلِينَ" لِبَيَانِ أَنَّ إِكْرَامَ الوَافِدِينَ وَتَأْمِينَ حَقِّ الضِّيَافَةِ هُوَ جُزْءٌ مِنْ أَمْنِ المجَالِ الحَضَارِيِّ (أَصْلُهُ: وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ).

٦. دَلَالَةُ أُسْلُوبِ الضَّغْطِ "فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي" عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ اسْتِخْدَامِ المَوَارِدِ الِاسْتِرَاتِيجِيَّةِ كَأَدَاةٍ سِيَاسِيَّةٍ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافٍ نَفْعِيَّةٍ عَالِيَةٍ (أَصْلُهُ: فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ).

٧. رَصْدُ طَبِيعَةِ الِاسْتِجَابَةِ فِي "سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ" لِبَيَانِ أَنَّ المَصَالِحَ المَادِّيَّةَ تَفْرِضُ عَلَى الأَفْرَادِ الدُّخُولَ فِي مَسَارَاتِ إِقْنَاعٍ جَدِيدَةٍ (أَصْلُهُ: قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ).

٨. اسْتِعْمَالُ تَوْجِيهِ "اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ" لِرَصْدِ صِنَاعَةِ الدَّوَافِعِ الذَّاتِيَّةِ غَيْرِ المَنْظُورَةِ لِتَسْهِيلِ عَوْدَةِ الآخَرِينَ (أَصْلُهُ: اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ).

٩. التَّعْبِيرُ بِـ"لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا" كَآلِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ تَعْتَمِدُ عَلَى إِيقَاظِ الحَيَاءِ وَالأَمَانَةِ فِي نُفُوسِ المُسْتَهْدَفِينَ (أَصْلُهُ: لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا).

١٠. الخَتْمُ بِـ"لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" لِبَيَانِ أَنَّ الغَايَةَ القُصْوَى مِنَ المَوَارَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ هِيَ جَمْعُ الشَّمْلِ وَإِعَادَةُ بِنَاءِ الأَوَاصِرِ (أَصْلُهُ: لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

الأحكام

١. وجوبُ إِيفَاءِ الكَيْلِ وَالعَدْلِ المَالِيِّ فِي المعَامَلَاتِ التِّجَارِيَّةِ وَالتَّنْمَوِيَّةِ مَعَ جَمِيعِ البَشَرِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ").

٢. جوازُ وَضْعِ شُرُوطٍ تَنْظِيمِيَّةٍ أَوْ سِيَاسِيَّةٍ لِمَنْحِ المَوَارِدِ لِلْوَافِدِينَ بِمَا يَحْفَظُ المَصَالِحَ العُلْيَا لِلْمُجْتَمَعِ (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ").

٣. وجوبُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَحُسْنِ رِعَايَةِ الوافِدِينَ كَسِمَةٍ حَضَارِيَّةٍ رَشِيدَةٍ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ").

٤. جوازُ اسْتِعْمَالِ التَّدَابِيرِ غَيْرِ المَنْظُورَةِ (كَإِعَادَةِ المالِ سِرًّا) لِتَحْقِيقِ مَصَالِحَ إِنْسَانِيَّةٍ أَوْ نَفْسِيَّةٍ تُسْهِمُ فِي هِدَايَةِ المجْتَمَعِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ").

القواعد

• قاعدة التَّقَدُّمِ الحَضَارِيّ يَطْمِسُ رُؤْيَةَ الماضِي (فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ): وَتَقْضِي بِأَنَّ انْتِقَالَ الإِنْسَانِ مِنْ حَالَةِ الِاسْتِضْعَافِ إِلَى السِّيَادَةِ المَبْنِيَّةِ عَلَى العِلْمِ يُحْدِثُ فَجْوَةً مَعْرِفِيَّةً تَجْعَلُ مَنْ رَأَوْهُ صَغِيرًا عَاجِزِينَ عَنْ إِدْرَاكِ مَقَامِهِ الجَدِيدِ (الدَّلِيلُ: فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ).

• قاعدة مَوْضُوعِيَّةِ الخِدْمَةِ العَامَّةِ عَنِ الخُصُومَاتِ (جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ): وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ إِدَارَةَ مَوَارِدِ النَّاسِ وَإِطْعَامَهُمْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَخْضَعَ لِتَصْفِيَةِ الحِسَابَاتِ الشَّخْصِيَّةِ؛ فَيُوسُفُ قَدَّمَ لَهُمْ حَقَّهُمْ كَامِلًا رَغْمَ جِرَاحِ المَاضِي (الدَّلِيلُ: وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ).

• قاعدة صِنَاعَةِ الدَّوَافِعِ لِتَوْجِيهِ السُّلُوكِ (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ): وَتَقْضِي بِأَنَّ السِّيَاسَةَ الرَّشِيدَةَ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى الإِكْرَاهِ الفَوْقِيّ فَحَسْبُ، بَلْ تَبْتَكِرُ مُحَفِّزَاتٍ نَفْسِيَّةً وَمَادِّيَّةً (رَدِّ البِضَاعَةِ) تَدْفَعُ الآخَرِينَ إِلَى اتِّخَاذِ القَرَارِ المَطْلُوبِ طَوْعًا (الدَّلِيلُ: اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ... لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

الأبعاد

"فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ" وَعَمَى النَّظَرِ الِاسْتِعْلَائِيّ القَدِيمِ

تُقَدِّمُ الآيَاتُ نَظَرَةً إِنْسَانِيَّةً عَمِيقَةً حَوْلَ "أَثَرِ المَوَاقِعِ الحَضَارِيَّةِ فِي الإِدْرَاكِ البَشَرِيّ"؛ فَإِخْوَةُ يُوسُفَ دَخَلُوا مِصْرَ بِعَقْلِيَّةِ الطَّالِبِ لِلْمَعُونَةِ، وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِمْ أَنَّ الصَّبِيَّ الَّذِي أَلْقَوْهُ فِي الجُبِّ صَارَ هُوَ القَائِمَ عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ. إِنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَةُ تُعَالِجُ مَرَضَ النَّظَرِ الِاسْتِعْلَائِيّ الَّذِي يَحْبِسُ الآخَرِينَ فِي قَوَالِبَ مَاضَوِيَّةٍ، وَتُؤَكِّدُ أَنَّ المَوْضُوعِيَّةَ تَقْتَضِي فَهْمَ أَنَّ عُمْرَ النَّمَاءِ وَالتَّحَوُّلِ المَعْرِفِيّ كَفِيلٌ بِإِعَادَةِ تَرْتِيبِ هَرَامِيَّةِ القُوَّةِ لِصَالِحِ أَهْلِ العِلْمِ وَالأَمَانَةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصّ: فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ

"أُوفِي الْكَيْلَ" كَمِعْيَارٍ لِأَخْلَاقِيَّاتِ الدَّوْلَةِ فِي زَمَنِ النُّدْرَةِ

تَرْسَمُ خِطَّةُ يُوسُفَ فِي الضِّيَافَةِ بُعْدًا حَضَارِيًّا يَمَسُّ "نَزَاهَةَ الأَنْظِمَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ"؛ فَرَغْمَ أَنَّ المِنْطَقَةَ تَمُرُّ بِسَنَوَاتِ جَدْبٍ وَقَحْطٍ، إِلَّا أَنَّ مَعَايِيرَ يُوسُفَ لَمْ تَتَبَدَّلْ (أُتِيّ أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ). هَذِهِ النَّظْرَةُ تَنْفَعُ البَشَرِيَّةَ فِي التَّأْكِيدِ عَلَى أَنَّ الأَزَمَاتِ لَيْسَتْ مَسُوغًا لِلِاحْتِكَارِ أَوْ بَخْسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ، بَلْ هِيَ المِحَكُّ الحَقِيقِيُّ لِإِثْبَاتِ كَمَالِ المَنْظُومَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ لِلدَّوْلَةِ الَّتِي تَرَى فِي العَدْلِ سَبِيلًا لِجَذْبِ الثِّقَةِ وَتَحْقِيقِ الِاسْتِقْرَارِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ

هَنْدَسَةُ المحَفِّزَاتِ المادِّيَّةِ لِإِعَادَةِ الجُسُورِ الإِنْسَانِيَّةِ

تَطْرَحُ الآيَاتُ نَظَرِيَّةً نَفْسِيَّةً وَتَنْمَوِيَّةً فِي "إِدَارَةِ العَلَاقَاتِ عَبْرَ صِنَاعَةِ الدَّوَافِعِ"؛ فَيُوسُفُ حِينَمَا أَمَرَ بِوَضْعِ بِضَاعَتِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ سِرًّا، لَمْ يَكُنْ يَسْعَى لِمُجَرَّدِ الهِبَةِ المالِيَّةِ، بَلْ كَانَ يَبْنِي حَافِزًا نَفْسِيًّا يُقَوِّي مَوْقِفَهُمْ أَمَامَ أَبِيهِمْ، وَيُثِيرُ فِيهِمْ دَاعِيَ الحَيَاءِ لِلْعَوْدَةِ إِلَى هَذَا المسْؤُولِ الكَرِيمِ. إِنَّ هَذِهِ النَّظَرَةَ تُعَالِجُ جَفَاءَ التَّعَامُلِ البِيرُوقْرَاطِيِّ، وَتُبَيِّنُ أَنَّ هَنْدَسَةَ السُّلُوكِ الإِنْسَانِيِّ تَتَطَلَّبُ ذَكَاءً فِي تَقْدِيمِ المكَاسِبِ الَّتِي تَقُودُ إِلَى رَفْعِ وَعْيِ الجَمَاعَةِ وَجَمْعِ شَمْلِهَا.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

مُرَاجَعَةُ الأَبِ، مَنْعُ الكَيْلِ، وَطَلَبُ إِرْسَالِ بِنْيَامِينَ (٦٣ – ٦٦)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ (يوسف: ٦٣ – ٦٦)

التيسير

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ [يَعْقُوبَ] قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ [سَيُمْنَعُ عَنَّا الطَّعَامُ فِي المرَّةِ القَادِمَةِ إِنْ لَمْ يَحْضُرْ مَعَنَا بِنْيَامِينُ] فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ [نَأْخُذْ نَصِيبَنَا مِنَ الميرَةِ] وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ [يُوسُفَ] مِن قَبْلُ [فَقَدْ ضَيَّعْتُمُوهُ رَغْمَ وَعْدِكُمْ] ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ

رُدَّتْ إِلَيْهِمْ [أُعِيدَ إِلَيْهِمْ ثَمَنُ الطَّعَامِ]ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي [مَاذَا نَطْلُبُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الإِكْرَامِ]ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا [نَجْلِبُ لَهُمُ القُوتَ وَالطَّعَامَ] وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ [حِمْلَ بَعِيرٍ إِضَافِيٍّ لِأَجْلِهِ]ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ [سَهْلٌ عَلَى عَزِيزِ مِصْرَ لِكَرَمِهِ] ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ [عَهْدًا مُؤَكَّدًا بِاليَمِينِ] لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ [إِلَّا أَن تُغْلَبُوا حَتَّى لَا تَمْلِكُوا دَفْعًا]ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ [شَاهِدٌ وَرَقِيبٌ عَلَى العَهْدِ] ﴿٦٦﴾

النثر

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ وَسَيُمْنَعُ عَنَّا الطَّعَامُ فِي المَرَّةِ القَادِمَةِ إِنْ لَمْ يَحْضُرْ مَعَنَا بِنْيَامِينُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَنَأْخُذْ نَصِيبَنَا مِنَ الميرَةِ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ، قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ يُوسُفَ مِنْ قَبْلُ فَقَدْ ضَيَّعْتُمُوهُ رَغْمَ وَعْدِكُمْ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ وَأُعِيدَ إِلَيْهِمْ ثَمَنُ الطَّعَامِ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي وَمَاذَا نَطْلُبُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الإِكْرَامِ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَجْلِبُ لَهُمُ القُوتَ وَالطَّعَامَ وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ وَحِمْلَ بَعِيرٍ إِضَافِيٍّ لِأَجْلِهِ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ وَسَهْلٌ عَلَى عَزِيزِ مِصْرَ لِكَرَمِهِ، قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَعَهْدًا مُؤَكَّدًا بِاليَمِينِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ وَإِلَّا أَن تُغْلَبُوا حَتَّى لَا تَمْلِكُوا دَفْعًا فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ وَشَاهِدٌ وَرَقِيبٌ عَلَى العَهْدِ.

المعاني

١. دَلَالَةُ شَكْوَى "مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ" عَلَى خُضُوعِ الطَّبَقَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ لِشُرُوطِ المَرْكَزِ الِاقْتِصَادِيِّ فِي زَمَنِ النُّدْرَةِ (أَصْلُهُ: قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ).

٢. رَصْدُ لَفْظِ "وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" لِبَيَانِ تَكْرَارِ التَّعَهُّدَاتِ الشَّفَهِيَّةِ الَّتِي لَا تَسْتَنِدُ إِلَى رَصِيدٍ سَابِقٍ مِنَ المَوْثُوقِيَّةِ (أَصْلُهُ: وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).

٣. اسْتِعْمَالُ مَوْقِفِ الرَّفْضِ "هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ" لِرَصْدِ أَهَمِّيَّةِ التَّجْرِبَةِ التَّارِيخِيَّةِ فِي تَقْيِيمِ أَمَانَةِ الأَفْرَادِ وَالمَجْمُوعَاتِ (أَصْلُهُ: قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ).

٤. بَيَانُ زَكِيزَة "فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا" كَإِعْلَانٍ عَنِ التَّحَوُّلِ مِنَ الِاعْتِمَادِ عَلَى القُوَى البَشَرِيَّةِ الخَائِنَةِ إِلَى الرِّعَايَةِ الإِلَهِيَّةِ المَوْضُوعِيَّةِ (أَصْلُهُ: فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا).

٥. اسْتِعْمَالُ حَالِ "بِضَاعَتُهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ" لِبَيَانِ نَجَاحِ التَّدَابِيرِ الِاقْتِصَادِيَّةِ الخَفِيَّةِ فِي تَغْيِيرِ مَوَاقِفِ التَّرَدُّدِ إِلَى سَعْيٍ عَمَلِيٍّ (أَصْلُهُ: وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ).

٦. دَلَالَةُ قَوْلِهِمْ "مَا نَبْغِي" عَلَى أَنَّ كَسْبَ الثِّقَةِ المَالِيَّةِ وَالإِكْرَامَ يُزِيلَانِ مَخَاوِفَ الشَّكِّ وَيَدْفَعَانِ نَحْوِ الِاسْتِجَابَةِ (أَصْلُهُ: قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي).

٧. رَصْدُ مَطْلَبِ "وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ" لِبَيَانِ دَوْرِ المَحَافِزِ المَادِّيَّةِ المَلْمُوسَةِ فِي تَسْوِيَةِ المَطَالِبِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ (أَصْلُهُ: وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ).

٨. اسْتِعْمَالُ شَرْطِ "حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ" لِرَصْدِ الِانْتِقَالِ مِنَ الوُعُودِ المُرْسَلَةِ إِلَى الضَّمَانَاتِ القَانُونِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ المُوثَّقَةِ (أَصْلُهُ: حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ).

٩. التَّعْبِيرُ بِالِاسْتِثْنَاءِ "إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ" لِبَيَانِ عَقْلَانِيَّةِ التَّشْرِيعِ الَّذِي يَعْذِرُ البَشَرَ عِنْدَ القُهْرِ وَالعَجْزِ الكَامِلِ (أَصْلُهُ: إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ).

١٠. الخَتْمُ بِـ"اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ" لِتَأْصِيلِ الرَّقَابَةِ المَعْنَوِيَّةِ العُلْيَا كَضَامِنٍ نِهَائِيٍّ لِلْعُهُودِ بَيْنَ البَشَرِ (أَصْلُهُ: قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ).

الأحكام

١. وجوبُ الِاعْتِمَادِ عَلَى التَّجَارِبِ السَّابِقَةِ فِي تَقْيِيمِ الأَمَانَةِ، وَعَدَمِ الِانْخِدَاعِ بِالوُعُودِ المَمَاثِلَةِ لِمَا مَضَى مِنَ التَّقْصِيرِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ").

٢. وجوبُ أَخْذِ الضَّمَانَاتِ المُوَثَّقَةِ وَالعُهُودِ المُغَلَّظَةِ (مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ) عِنْدَ إِسْنَادِ المَسْؤُولِيَّاتِ النَّفِيسَةِ الَّتِي يُخْشَى عَلَيْهَا الضَّيَاعُ (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ").

٣. اعْتِبَارُ القُوَّةِ القَاهِرَةِ (الإِحَاطَةِ) عُذْرًا مَقْبُولًا لِسُقُوطِ المَسْؤُولِيَّةِ التَّعَاقُدِيَّةِ عَنِ الإِنْسَانِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ").

٤. جوازُ اسْتِخْدَامِ المكَاسِبِ الِاقْتِصَادِيَّةِ (كَيْلِ بَعِيرٍ) كَدَافِعٍ لِإِقْنَاعِ أَصْحَابِ القَرَارِ بِقَبُولِ المشَارِيعِ التَّنْمَوِيَّةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ").

القواعد

• قاعدة عَدَمِ صَلَاحِيَّةِ الوَعْدِ الشَّفَهِيِّ مَعَ سَابِقَةِ الإِخْلَالِ (هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ): وَتَقْضِي بِأَنَّ العُقُودَ وَالتَّعَهُّدَاتِ لَا تُبْنَى عَلَى العَوَاطِفِ المرْسَلَةِ بَعْدَ وُقُوعِ الخِيَانَةِ التَّارِيخِيَّةِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَعَايِيرَ جَدِيدَةٍ لِلِاسْتِيثَاقِ (الدَّلِيلُ: قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ).

• قاعدة سُلْطَةِ "البِضَاعَةِ المرْدُودَةِ" فِي صِنَاعَةِ الِاقْتِنَاعِ: وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ الحَقَائِقَ المادِّيَّةَ الإِيجَابِيَّةَ وَالمكَاسِبَ العَاجِلَةَ هِيَ أَقْوَى أَدَوَاتِ الإِقْنَاعِ الَّتِي تُفَكِّكُ عَقَبَاتِ الرَّفْضِ النَّفْسِيِّ وَالتَّخَوُّفِ الِاجْتِمَاعِيِّ (الدَّلِيلُ: وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا... مَا نَبْغِي).

• قاعدة مَوْضُوعِيَّةِ الِالْتِزَامِ وَحُدُودِ العُذْرِ البَشَرِيِّ (إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ): وَتَقْضِي بِأَنَّ التَّعَهُّدَاتِ الرَّشِيدَةَ يَجِبُ أَنْ تَتَضَمَّنَ شُرُوطًا وَاقِعِيَّةً تَعْذِرُ الإِنْسَانَ عِنْدَ انْعِدَامِ الإِرَادَةِ وَحُصُولِ العَجْزِ المطْلَقِ أَمَامَ الظُّرُوفِ القَاهِرَةِ (الدَّلِيلُ: لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ).

الأبعاد

"مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ" وَارْتِبَاطُ الأَمْنِ الِاجْتِمَاعِيِّ بِشُرُوطِ المرْكَزِ

تُقَدِّمُ الآيَاتُ نَظَرَةً إِنْسَانِيَّةً حَوْلَ "أَثَرِ السِّيَاسَاتِ الِاقْتِصَادِيَّةِ فِي حَرَكَةِ الأُسَرِ"؛ فَعِنْدَمَا عَادَ الأَبْنَاءُ بِقَوْلِهِمْ (مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ)، تَجَسَّدَتْ حَقِيقَةُ أَنَّ إِدَارَةَ النُّدْرَةِ تَمْلِكُ سُلْطَةَ التَّوْجِيهِ السُّلُوكِيِّ لِلْمُجْتَمَعَاتِ. هَذِهِ الرُّؤْيَةُ تُعَالِجُ مَظَاهِرَ العَفْوِيَّةِ فِي العَلَاقَاتِ، وَتُبَيِّنُ أَنَّ أَمْنَ المجْتَمَعَاتِ النَّامِيَةِ يَظَلُّ مَرْهُونًا بِمَدَى اسْتِجَابَتِهَا لِمَعَايِيرِ النَّزَاهَةِ وَالتَّنْظِيمِ الَّتِي يَفْرِضُهَا المرْكَزُ المعْرِفِيُّ المدَبِّرُ لِلْخَزَائِنِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ

شَجَاعَةُ الرَّفْضِ المبْنِيِّ عَلَى التَّجْرِبَةِ التَّارِيخِيَّةِ

تَرْسَمُ كَلِمَاتُ يَعْقُوبَ (هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ) بُعْدًا نَفْسِيًّا وَحَضَارِيًّا يَتَعَلَّقُ بِـ"حِفْظِ الذَّاكِرَةِ التَّارِيخِيَّةِ"؛ فَالرَّجُلُ لَمْ يَنْسَقْ خَلْفَ الحَمَاسَةِ العَابِرَةِ لِأَبْنَائِهِ، بَلْ وَاجَهَهُمْ بِفَشَلِهِمُ السَّابِقِ.

هَذِهِ النَّظَرَةُ تَنْفَعُ الإِنْسَانَ فِي فَهْمِ أَنَّ إِدَارَةَ المِسْتَقْبَلِ تَتَطَلَّبُ نَقْدًا لِلْمَاضِي، وَأَنَّ الثِّقَةَ لَا تُوهَبُ مَجَّانًا لِمَنْ ضَيَّعَ الأَمَانَةَ، بَلْ تُسْتَرَدُّ عَبْرَ ضَمَانَاتٍ قَانُونِيَّةٍ جَدِيدَةٍ وَصَارِمَةٍ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ

"مَا نَبْغِي" وَأَثَرُ الإِكْرَاهِ المَالِيِّ فِي تَفْكِيكِ الِارْتِيَابِ

تَطْرَحُ الآيَاتُ رُؤْيَةً أَنْتُرُوبُولُوجِيَّةً رَصِينَةً حَوْلَ "أَثَرِ التَّدَابِيرِ الِاقْتِصَادِيَّةِ فِي السُّلُوكِ الإِنْسَانِيِّ"؛ فَلَحْظَةُ فَتْحِ المَتَاعِ وَرُؤْيَةِ البِضَاعَةِ المَرْدُودَةِ حَوَّلَتْ مَسَارَ الحِوَارِ العَائِلِيِّ مِنْ ضِيقِ المَنْعِ إِلَى سَعَةِ الطَّلَبِ (مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا). هَذِهِ النَّظَرَةُ تُعَالِجُ أَزَمَاتِ الشَّكِّ بَيْنَ الأَطْرَافِ، وَتُؤَكِّدُ أَنَّ الإِحْسَانَ العَمَلِيَّ المَدْرُوسَ يُسْهِمُ فِي بِنَاءِ مَصَالِحَ مُشْتَرَكَةٍ تَدْفَعُ النَّاسَ لِتَجَاوُزِ مَخَاوِفِهِمْ نَحْوَ تَحْقِيقِ النَّمَاءِ وَالنَّجَاحِ الجَمَاعِيِّ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي

وَصِيَّةُ الأَبِ بِالتَّفَرُّقِ، دُخُولُ المَدِينَةِ مِن أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَحَقِيقَةُ الحَاجَةِ النَّفْسِيَّةِ (٦٧ – ٦٨)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ (يوسف: ٦٧ – ٦٨)

التيسير

وَقَالَ [يَعْقُوبُ] يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا [مِصْرَ كُلُّكُمْ] مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ [لِتَفَادِي لَفْتِ الأَنْظَارِ وَالحَسَدِ أَوِ الرِّيبَةِ الأَمْنِيَّةِ] ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ [لَا أَمْلِكُ دَفْعَ قَدَرِ اللَّهِ بِهَذَا التَّدْبِيرِ] ۖ إِنِ الْحُكْمُ [وَالقَضَاءُ النِّهَائِيُّ] إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ [اعْتَمَدْتُ وَأَسْنَدْتُ أَمْرِي] ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم [مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ المُوَزَّعَةِ] مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ [لَمْ يَمْنَعْ عَنْهُمْ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ

مَحَاذِيرَ] إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا [شَفَقَةً أَبَوِيَّةً وَاطْمِئْنَانًا نَفْسِيًّا صَنَعَهُ فِي صَدْرِهِ] ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ [صَاحِبُ مَعْرِفَةٍ رَبَّانِيَّةٍ بِالتَّوَازُنِ بَيْنَ الأَسْبَابِ وَالتَّوَكُّلِ] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [يَجْهَلُونَ عُمْقَ هَذِهِ الحَقِيقَةِ] ﴿٦٨﴾

النثر

وَقَالَ يَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِصْرَ كُلُّكُمْ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِتَفَادِي لَفْتِ الأَنْظَارِ وَالحَسَدِ أَوِ الرِّيبَةِ الأَمْنِيَّةِ، وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا أَمْلِكُ دَفْعَ قَدَرِ اللَّهِ بِهَذَا التَّدْبِيرِ إِنِ الحُكْمُ وَالقَضَاءُ النِّهَائِيُّ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَاعْتَمَدْتُ وَأَسْنَدْتُ أَمْرِي وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ، وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ المُوَزَعَةِ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَمْ يَمْنَعْ عَنْهُمْ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ مَحَاذِيرَ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَشَفَقَةً أَبَوِيَّةً وَاطْمِئْنَانًا نَفْسِيًّا صَنَعَهُ فِي صَدْرِهِ، وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَصَاحِبُ مَعْرِفَةٍ رَبَّانِيَّةٍ بِالتَّوَازُنِ بَيْنَ الأَسْبَابِ وَالتَّوَكُّلِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَيَجْهَلُونَ عُمْقَ هَذِهِ الحَقِيقَةِ.

المعاني

١. دَلَالَةُ التَّوْجِيهِ الأَبَوِيِّ "لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ" عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ التَّخْطِيطِ التَّكْتِيكِيِّ وَتَوْزِيعِ المَجْمُوعَاتِ لِتَفَادِي مَظَاهِرِ الرِّيبَةِ أَوْ لَفْتِ الأَنْظَارِ (أَصْلُهُ: لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ).

٢. رَصْدُ لَفْظِ "وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" لِبَيَانِ أَنَّ تَنْوِيعَ المَسَارَاتِ وَالمَدَاخِلِ الإِجْرَائِيَّةِ يُمَثِّلُ أَدَاةً ذَكِيَّةً فِي تَدْبِيرِ الحَرَكَةِ لِلْجَمَاعَاتِ (أَصْلُهُ: وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ).

٣. اسْتِعْمَالُ مَفْهُومِ "وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ" لِرَصْدِ حُدُودِ الأَسْبَابِ المَادِّيَّةِ الَّتِي لَا تَسْتَقِلُّ بِإِحْدَاثِ النَّتَائِجِ مَعْزُولَةً عَنِ السُّنَنِ الكَوْنِيَّةِ العُلْيَا (أَصْلُهُ: وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ).

٤. بَيَانُ أَنَّ مَقُولَةَ "إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ" تُمَثِّلُ المَرْجِعِيَّةَ النِّهَائِيَّةَ لِلنِّظَامِ الكَوْنِيِّ الَّذِي يَقُودُ مَسَارَاتِ التَّارِيخِ الإِنْسَانِيِّ (أَصْلُهُ: إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ).

٥. اسْتِعْمَالُ مَفْهُومِ "عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ" كَآلِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ وَإِيمَانِيَّةٍ لِتَحْقِيقِ الِاسْتِقْرَارِ الدَّاخِلِيِّ بَعْدَ بَذْلِ الجُهْدِ العَقْلِيِّ الكَامِلِ (أَصْلُهُ: عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ).

٦. دَلَالَةُ قَوْلِهِ "مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم" عَلَى أَنَّ الِالْتِزَامَ الحَرْفِيَّ بِالتَّدَابِيرِ الظَّاهِرَةِ لَا يَمْنَعُ حُصُولَ الِابْتِلَاءَاتِ المَقْدُورَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا التَّجْرِبَةُ الحَضَارِيَّةُ (أَصْلُهُ: مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ).

٧. رَصْدُ مَفْهُومِ "إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا" لِبَيَانِ مَشْرُوعِيَّةِ الِاسْتِجَابَةِ لِلدَّوَافِعِ النَّفْسِيَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالعَوَاطِفِ الأَبَوِيَّةِ المَشْرُوعَةِ (أَصْلُهُ: إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا).

٨. اسْتِعْمَالُ وَصْفِ "لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ" لِتَأْصِيلِ أَنَّ العِلْمَ الحَقِيقِيَّ هُوَ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ وَعْيِ السَّبَبِ المَادِّيِّ وَالتَّسْلِيمِ لِلْغَيْبِ (أَصْلُهُ: وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ).

٩. الخَتْمُ بِـ"وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" لِرَصْدِ قُصُورِ الوَعْيِ الجَمَاهِيرِيِّ الَّذِي يَقِفُ عِنْدَ ظَوَاهِرِ الأَسْبَابِ دُونَ فَقْهٍ لِعُمْقِهَا الأَنْثُرُوبُولُوجِيِّ وَالسُّنَنِيِّ (أَصْلُهُ: وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

الأحكام

١. وجوبُ اتِّخَاذِ التَّدَابِيرِ الِاحْتِرَازِيَّةِ وَالسَّعْيِ العَقْلِيِّ لِحِمَايَةِ النَّفْسِ وَالمجْمُوعَةِ مِنَ المخَاطِرِ الظَّاهِرَةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ").

٢. وجوبُ التَّوَكُّلِ النَّفْسِيِّ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ الخِطَطِ المَادِّيَّةِ لِضَمَانِ التَّوَازُنِ الدَّاخِلِيِّ لِلْمُصْلِحِ (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ").

٣. اعْتِبَارُ رِعَايَةِ الحَاجَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالعَاطِفِيَّةِ مَطْلَبًا مَشْرُوعًا فِي السُّلُوكِ الإِنْسَانِيِّ لَا يَقْدَحُ فِي العِلْمِ أَوِ الإِيمَانِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا").

٤. تحريمُ الرُّكُونِ المطْلَقِ إِلَى الأَسْبَابِ المَادِّيَّةِ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّهَا مَانِعَةٌ بِذَاتِهَا مِنْ جَرَيَانِ السُّنَنِ الكَوْنِيَّةِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ").

القواعد

• قاعدة التَّلَازُمِ بَيْنَ "حَذَرِ الدُّخُولِ" وَ"تَفَرُّقِ الأَبْوَابِ": وَتَقْضِي بِأَنَّ حِمَايَةَ الكِيَانِ الِاجْتِمَاعِيِّ تَتَطَلَّبُ تَقْسِيمَ المَوَارِدِ أَوِ الأَفْرَادِ عَلَى مَسَارَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، فَالِاحْتِشَادُ فِي مَدْخَلٍ وَاحِدٍ يُعَرِّضُ المَشْرُوعَ لِلِاحْتِوَاءِ أَوِ الِاسْتِهْدَافِ (الدَّلِيلُ: لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ).

• قاعدة نِسْبِيَّةِ السَّبَبِ وَمُطْلَقِيَّةِ "الحُكْمِ": وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ جَوْدَةَ التَّخْطِيطِ المادّيّ لَا تَعْنِي غَلَقَ أُفُقِ الِاحْتِمَالَاتِ الكَوْنِيَّةِ، بَلْ يَبْقَى التَّدْبِيرُ البَشَرِيُّ مُحَاطًا بِقَضَاءِ اللَّهِ النِّهَائِيِّ الَّذِي يُدِيرُ الكَوْنَ بِعَدْلِهِ (الدَّلِيلُ: وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ).

• قاعدة اعْتِبَارِ رِعَايَةِ "الحَاجَةِ النَّفْسِيَّةِ" لِأَصْحَابِ العِلْمِ: وَتَقْضِي بِأَنَّ سُلُوكَ العُلَمَاءِ وَالمصْلِحِينَ قَدْ يَتَضَمَّنُ تَصَرُّفَاتٍ تَبْتَغِي صِيَانَةَ الِاسْتِقْرَارِ العَاطِفِيِّ وَالأَمْنِ الدَّاخِلِيِّ لِلْإِنْسَانِ، وَهِيَ مَسَاحَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ يَعْتَرِفُ بِهَا النِّظَامُ المعْرِفِيُّ (الدَّلِيلُ: إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ).

الأبعاد

"أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ" كَإِسْتْرَاتِيجِيَّةٍ لِإِدَارَةِ الحَرَكَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ

تُقَدِّمُ الآيَاتُ رُؤْيَةً إِنْسَانِيَّةً عَمِيقَةً حَوْلَ "فِقْهِ الحَذَرِ وَالتَّدْبِيرِ الِاجْتِمَاعِيِّ"؛ فَيَعْقُوبُ حِينَمَا وَجَّهَ أَبْنَاءَهُ بِـ (لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ)، كَانَ يُؤَسِّسُ لِنَظَرِيَّةٍ فِي حِمَايَةِ المجْمُوعَاتِ النَّامِيَةِ مِنَ الرِّيبَةِ الأَمْنِيَّةِ أَوْ لَفْتِ تَرَصُّدِ الآخَرِينَ. إِنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَةُ تُعَالِجُ مَظَاهِرَ العَفْوِيَّةِ وَالِارْتِجَالِ فِي حَرَكَةِ النُّخَبِ، وَتُبَيِّنُ أَنَّ تَفْرِيقَ المَدَاخِلِ الإِجْرَائِيَّةِ يَحْفَظُ لِلْإِنْسَانِ قُدْرَتَهُ عَلَى المنَاوَرَةِ وَالعُبُورِ نَحْوَ مَرَاكِزِ النَّمَاءِ دُونَ صِدَامَاتٍ جَانِبِيَّةٍ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ

جَدَلِيَّةُ التَّدْبِيرِ البَشَرِيِّ وَالتَّسْلِيمِ لِلأَنْسَاقِ الكَوْنِيَّةِ

تَرْسَمُ كَلِمَاتُ يَعْقُوبَ (وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ) بُعْدًا عَقْلَانِيًّا يَمَسُّ "أَخْلَاقِيَّاتِ التَّخْطِيطِ"؛ فَرَغْمَ إِبْدَاعِهِ فِي وَضْعِ خِطَّةِ الدُّخُولِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُصَبْ بِغُرُورِ السَّبَبِ المادّيّ. هَذِهِ النَّظَرَةُ تَنْفَعُ البَشَرِيَّةَ فِي فَهْمِ أَنَّ الذَّكَاءَ التَّكْتِيكِيَّ لَا يُلْغِي الِانْفِتَاحَ عَلَى الِاحْتِمَالَاتِ القَدَرِيَّةِ، وَأَنَّ التَّوَكُّلَ الحَقِيقِيَّ هُوَ الصِّمَامُ النَّفْسِيُّ الَّذِي يَحْمِي المصْلِحَ مِنَ الِانْهِيَارِ عِنْدَمَا تَأْتِي النَّتَائِجُ عَلَى غَيْرِ مَا اشْتَهَتْهُ الخِطَطُ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

"حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ" وَاعْتِبَارُ البُعْدِ النَّفْسِيِّ لِلْقِيَادَةِ

تَطْرَحُ الآيَاتُ رُؤْيَةً أَنْثُرُوبُولُوجِيَّةً وَنَفْسِيَّةً عَالِيَةَ القِيمَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِـ"رِعَايَةِ الدَّوَافِعِ الدَّاخِلِيَّةِ"؛ فَالنَّصُّ لَمْ يُلْغِ قِيمَةَ حَرَكَتِهِمْ بَلْ رَبَطَهَا بِـ (حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا)، مُؤَكِّدًا أَنَّ الرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ وَالِاطْمِئْنَانَ العَاطِفِيَّ هُمَا جُزْءٌ مُعْتَبَرٌ مِنْ مَسَارِ العِلْمِ وَالعَقْلِ. هَذِهِ النَّظَرَةُ تُعَالِجُ مَظَاهِرَ المادِّيَّةِ الجَافَّةِ فِي التَّقْيِيمِ الإِدَارِيِّ، وَتُوضِحُ أَنَّ القَادَةَ المُعْرِفِيِّينَ (لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ) هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ تَقْدِيرًا لِلْحَاجَاتِ النَّفْسِيَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَأَثَرِهَا فِي سَلَامَةِ المسِيرَةِ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ

لِقَاءُ يُوسُفَ بِأَخِيهِ، الحِيلَةُ التَّعْلِيمِيَّةُ، وَاحْتِجَازُ بِنْيَامِينَ (٦٩ – ٧٩)

النَّصُّ القُرْآنِيُّ

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رِحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رِحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ (يوسف: ٦٩ – ٧٩)

التيسير

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ [ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَانْفَرَدَ بِهِ] ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ [لَا تَحْزَنْ] بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [مِنْ حَسَدٍ وَأَذًى سَابِقٍ] ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ [أَعْطَاهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنَ الميرَةِ] جَعَلَ السِّقَايَةَ [إِنَاءَ المِلكِ الَّذِي يُكَالُ بِهِ] فِي رِحْلِ أَخِيهِ [فِي مَتَاعِ بِنْيَامِينَ

سِرًّا] ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ [نَادَى مُنَادٍ] أَيَّتُهَا الْعِيرُ [القَافِلَةُ] إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ [مَا الَّذِي ضَاعَ مِنْكُمْ] ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ [مُكافَأَةٌ مِنْ طَعَامٍ] وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ [ضَامِنٌ وَكَفِيلٌ] ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ [مَا هِيَ العُقُوبَةُ عِنْدَكُمْ] ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رِحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ [أَنْ يُسْتَعْبَدَ السَّارِقُ حَسَبَ شَرِيعَتِنَا] ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ [إِبْعَادًا لِلشُّبْهَةِ] ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ [دَبَّرْنَا لَهُ هَذِهِ الحِيلَةَ المشْرُوعَةَ] ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ [فِي قَانُونِ مِصْرَ الَّذِي يَعْتَمِدُ الضَّرْبَ أَوِ الغَرَامَةَ] إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ [يَقْصِدُونَ يُوسُفَ كَذِبًا] ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا [أَنْتُمْ أَسْوَأُ مَنْزِلَةً بِخِيَانَتِكُمْ] ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾

النثر

وَلَمَّا دَخَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ فِي مَقَرِّهِ ضَمَّ إِلَيْهِ أَخَاهُ بِنْيَامِينَ وَانْفَرَدَ بِهِ قَائِلًا لَهُ سِرًّا: إِنِّي أَنَا أَخُوكَ يُوسُفُ فَلَا تَحْزَنْ وَلَا تَبْتَئِسْ بِسَبَبِ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ إِخْوَتُنَا مِعَنَا مِنَ الحَسَدِ وَالأَذَى، فَلَمَّا قَامَ بِتَجْهِيزِهِمْ وَأَعْطَاهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ جَعَلَ إِنَاءَ المِلِكِ الذَّهَبِيَّ الَّذِي يُكَالُ بِهِ فِي أَمْتِعَةِ أَخِيهِ سِرًّا، ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ فِي أَثَرِهِمْ: يَا أَصْحَابَ القَافِلَةِ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ، فَالْتَفَتَ الإِخْوَةُ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ قَائِلِينَ: مَا الَّذِي ضَاعَ مِنْكُمْ وَتَفْقِدُونَهُ؟ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المِلِكِ وَمَنْ يَعْثُرُ عَلَيْهِ وَيَأْتِي بِهِ فَلَهُ جَائِزَةٌ تُعَادِلُ حِمْلَ بَعِيرٍ مِنَ الطَّعَامِ وَأَنَا كَفِيلٌ وَضَامِنٌ لِهَذِهِ الجَائِزَةِ، قَالُوا مُقْسِمِينَ: تَاللَّهِ لَقَدْ تَبَيَّنْتُمْ وَعَلِمْتُمْ خِلَالَ إِقَامَتِنَا أَنَّنَا مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ بِأَيِّ شَكْلٍ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ لِأَمْوَالِ النَّاسِ، قَالَ رِجَالُ يُوسُفَ: فَمَا هِيَ عُقُوبَةُ السَّارِقِ عِنْدَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ فِي دَعْوَاكُمْ؟ قَالُوا: جَزَاؤُهُ فِي شَرِيعَتِنَا أَنَّ مَنْ وُجِدَ الصُّوَاعُ فِي أَمْتِعَتِهِ يُصْبَحُ مَمْلُوكًا لَكُمْ لِمُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ فَهَذَا هُوَ حُكْمُنَا، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ بِالسَّرِقَةِ، فَبَدَأَ يُوسُفُ بِتَفْتِيشِ أَوْعِيَتِهِمْ وَأَكْيَاسِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ بِنْيَامِينَ إِبْعَادًا لِلشُّبْهَةِ عَنْ نَفْسِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَ الصُّوَاعَ مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ، مِثْلَ هَذَا التَّدْبِيرِ الخَفِيِّ دَبَّرْنَا لِيُوسُفَ لِيَصِلَ إِلَى هَدَفِهِ؛ إِذْ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَحْتَجِزَ أَخَاهُ وَفْقَ قَانُونِ مِصْرَ الَّذِي لَا يَعْتَمِدُ الِاسْتِرْقَاقَ بَلْ الغَرَامَةَ،

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ عَبْرَ تَحْكِيمِ شَرِيعَتِهِمْ هُمْ، نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ بِالعِلْمِ وَالحِكْمَةِ، وَفَوْقَ كُلِّ صَاحِبِ عِلْمٍ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ العِلْمُ إِلَى اللَّهِ، قَالُوا تَنَصُّلًا: إِنْ يَسْرِقْ هَذَا فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ (يَقْصِدُونَ يُوسُفَ)، فَكَتَمَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُظْهِرْ غَضَبَهُ لَهُمْ، بَلْ قَالَ فِي سِرِّهِ: أَنْتُمْ أَسْوَأُ مَنْزِلَةً وَمَكَانًا بِمَا صَنَعْتُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ مَا تَدَّعُونَ، قَالُوا اسْتِعْطَافًا: يَا أَيُّهَا العَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا صَالِحًا وَشَيْخًا كَبِيرًا يَحْزَنُ لِفِرَاقِهِ، فَخُذْ وَاحِدًا مِنَّا لِيَكُونَ مَكَانَهُ فِي الأَسْرِ، إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المحْسِنِينَ فِي تَعَامُلِكَ مَعَنَا، قَالَ يُوسُفُ: نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَقْبِضَ أَوْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا صُوَاعَنَا فِي مَتَاعِهِ، لِأَنَّنَا إِنْ أَخَذْنَا غَيْرَهُ نَكُونُ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يُعَاقِبُونَ البَرِيءَ بِذَنْبِ المخْطِئِ.

المعاني

١. دَلَالَةُ "آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ" عَلَى أَنَّ بِنَاءَ التَّحَالُفَاتِ النَّفْسِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ مَعَ أَهْلِ الصِّدْقِ هُوَ المنْطَلَقُ لِتَحْقِيقِ التَّغْيِيرِ الحَضَارِيِّ (أَصْلُهُ: آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ).

٢. رَصْدُ لَفْظِ "فَلَا تَبْتَئِسْ" لِبَيَانِ أَهَمِّيَّةِ التَّصْفِيَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلْمَظْلُومِ وَإِزَالَةِ رَوَاسِبِ الأَذَى القَدِيمِ قَبْلَ بَدْءِ العَمَلِ (أَصْلُهُ: فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

٣. اسْتِعْمَالُ تَدْبِيرِ "جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رِحْلِ أَخِيهِ" لِرَصْدِ مَشْرُوعِيَّةِ اسْتِخْدَامِ الحِيَلِ الإِجْرَائِيَّةِ الذَّكِيَّةِ لِاسْتِخْلَاصِ الحُقُوقِ أَوْ تَعْدِيلِ المسَارَاتِ القَانُونِيَّةِ (أَصْلُهُ: جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رِحْلِ أَخِيهِ).

٤. بَيَانُ أُسْلُوبِ "أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ" كَأَدَاةِ صَدْمَةٍ إِجْرَائِيَّةٍ لِإِحْدَاثِ هَزَّةٍ نَفْسِيَّةٍ تُجْبِرُ الطَّرَفَ الآخَرَ عَلَى الخُضُوعِ لِلتَّفْتِيشِ (أَصْلُهُ: ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ).

٥. اسْتِعْمَالُ مَبْدَأِ "وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ" لِرَصْدِ مَشْرُوعِيَّةِ تَقْدِيمِ الحَوَافِزِ المالِيَّةِ وَالمكَافَآتِ (الجَعَالَةِ) فِي سَبِيلِ اسْتِرْدَادِ المَوَارِدِ المفْقُودَةِ (أَصْلُهُ: وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ).

٦. دَلَالَةُ الِاسْتِيثَاقِ بِـ"وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ" عَلَى أَنَّ كُلَّ نِظَامٍ حَوَافِزَ يَحْتَاجُ إِلَى ضَامِنٍ مَوْثُوقٍ لِتَأْكِيدِ مِصْدَاقِيَّتِهِ (أَصْلُهُ: وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ).

٧. رَصْدُ سُؤَالِ "فَمَا جَزَاؤُهُ" كَآلِيَّةٍ ذَكِيَّةٍ لِاسْتِدْرَاجِ الخَصْمِ لِتَحْكِيمِ قَانُونِهِ الذَّاتِيِّ الَّذِي سَيُلْزِمُهُ لَاحِقًا (أَصْلُهُ: قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ).

٨. اسْتِعْمَالُ تَرْتِيبِ "فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ" لِرَصْدِ فِقْهِ النَّزَاهَةِ الإِجْرَائِيَّةِ وَإِبْعَادِ شُبُهَاتِ المحَابَاةِ عَنِ الإِدَارَةِ (أَصْلُهُ: فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ).

٩. التَّعْبِيرُ بِـ"كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ" لِبَيَانِ أَنَّ التَّدَابِيرَ الِاسْتْرَاتِيجِيَّةَ الَّتِي تَخْدِمُ العَدْلَ هِيَ تَدَابِيرُ مَمْدُوحَةٌ تَحْظَى بِالتَّأْيِيدِ المِعْرِفِيّ (أَصْلُهُ: كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ).

١٠. بَيَانُ زَكِيزَةِ "مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ" كَمُؤَشِّرٍ عَلَى عَقَبَاتِ القَوَانِينِ الوَضْعِيَّةِ المحَلِّيَّةِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ خِبْرَةً تَشْرِيعِيَّةً لِتَجَاوُزِهَا (أَصْلُهُ: مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ).

١١. دَلَالَةُ "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" عَلَى نِسْبِيَّةِ المعْرِفَةِ البَشَرِيَّةِ وَتَرSub-تُبِهَا، مِمَّا يَمْنَعُ الِادِّعَاءَ أَوِ الغُرُورَ الإِدَارِيَّ (أَصْلُهُ: وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ).

١٢. رَصْدُ مَوْقِفِ التَّهَمُّجِ "فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مَن قَبْلُ" لِبَيَانِ كَيْفَ تَلْجَأُ النُّخَبُ المأْزُومَةُ إِلَى إِسْقَاطِ عُيُوبِهَا عَلَى الآخَرِينَ تَخَلُّصًا مِنَ المسْؤُولِيَّةِ (أَصْلُهُ: قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ).

١٣. اسْتِعْمَالُ "فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ" لِرَصْدِ مَنَاعَةِ ضَبْطِ النَّفْسِ وَتَأْجِيلِ المواجَهَةِ لِصَالِحِ إِتْمَامِ الخِطَّةِ الكُبْرَى (أَصْلُهُ: فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ).

١٤. الخَتْمُ بِـ"مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ" لِتَأْصِيلِ عَدَالَةِ العُقُوبَةِ الشَّخْصِيَّةِ وَرَفْضِ مَبْدَأِ العِقَابِ بِالِانَابَةِ أَوْ تَحْمِيلِ البَرِيءِ جَرِيرَةَ غَيْرِهِ (أَصْلُهُ: قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ).

الأحكام

١. وجوبُ حِمَايَةِ المظْلُومِينَ وَتَأْمِينِهِمْ نَفْسِيًّا وَإِعْلَامِهِمْ بِحَقِيقَةِ التَّحَالُفَاتِ لِإِزَالَةِ البُؤْسِ عَنْهُمْ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصّ: "قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ").

٢. جوازُ اسْتِخْدَامِ الحِيَلِ الِاسْتِكْشَافِيَّةِ أَوِ التَّعْلِيمِيَّةِ الَّتِي لَا تَبْطِلُ حَقًّا وَلَا تُحِقُّ بَاطِلًا لِتَحْقِيقِ مَصَالِحَ عُلْيَا (دَلِيلُهُ مِنَ التَّيْسِيرِ: "جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رِحْلِ أَخِيهِ").

٣. مشروعيَّةُ عَقْدِ الجَعَالَةِ (المكَافَأَةِ مَقَابِلَ عَمَلٍ أَوْ عُثُورٍ عَلَى مَفْقُودٍ) وَوُجُوبُ ضَمَانِهَا إِذَا كَانَ المتَعَهِّدُ بِهَا كَفِيلًا (دَلِيلُهُ مِنَ النَّثْرِ: "وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ").

٤. تحريمُ مُعَاقَبَةِ إِنْسَانٍ بَدَلًا عَنْ آخَرَ فِي الجَرَائِمِ الجِنَائِيَّةِ، وَاعْتِبَارُ ذَلِكَ خُرُوجًا عَنِ العَدْلِ (دَلِيلُهُ مِنَ النَّصِّ: "مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ").

القواعد

• قاعدة التَّحَالُفِ النَّفْسِيِّ كَمُقَدِّمَةٍ لِلْبِنَاءِ (آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ): وَتَقْضِي بِأَنَّ مَشَارِيعَ الإِصْلَاحِ الكُبْرَى تَتَطَلَّبُ نُوَاةً صَلْبَةً مِنَ المؤْثُوقِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ بَيْنَ الشُّرَكَاءِ، حَيْثُ يَتِمُّ عَبْرَهَا كَشْفُ الحَقَائِقِ سِرًّا لِتَحْقِيقِ الِاتِّسَاقِ فِي العَمَلِ (الدَّلِيلُ: وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ).

• قاعدة مَوْضُوعِيَّةِ التَّفْتِيشِ وَنَزَاهَةِ الإِجْرَاءِ (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ): وَتَنُصُّ عَلَى أَنَّ كَسْبَ مِصْدَاقِيَّةِ النِّظَامِ القَانُونِيِّ يَقْتَضِي عَدَمَ إِظْهَارِ القَصْدِ المسْبَقِ لِتَرْجِيحِ كَفَّةٍ أَوْ شَخْصٍ، بَلْ تُطَبَّقُ الإِجْرَاءَاتُ بِتَسَلْسُلٍ مَوْضُوعِيٍّ يُبْعِدُ الشُّبْهَةَ (الدَّلِيلُ: فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ).

• قاعدة التَّفَوُّقِ المعْرِفِيِّ النِّسْبِيِّ (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ): وَتَقْضِي بِأَنَّ المنْظُومَاتِ البَشَرِيَّةِ مَهْمَا بَلَغَتْ مِنَ الذَّكَاءِ الإِدَارِيِّ وَالتَّخْطِيطِيِّ، تَظَلُّ عُرْضَةً لِأَنْ تَعْلُوَهَا مَعَارِفُ أَعْمَقُ، مِمَّا يَسْتَوْجِبُ المرُونَةَ وَتَقَبُّلَ نِسْبِيَّةِ النَّتَائِجِ (الدَّلِيلُ: نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ).

• قاعدة كَتْمِ المثَالِبِ لِإِنْفَاذِ الخِطَطِ (فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ): وَتَقْضِي بِأَنَّ التَّعَامُلَ مَعَ افْتِرَاءَاتِ الخُصُومِ أَوْ زَلَّاتِهِمُ اللَّفْظِيَّةِ الحَادَّةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَطِّلَ المسَارَاتِ الِاسْتِرَاتِيجِيَّةَ؛ فَالصَّمْتُ الإِيجَابِيُّ يُعَدُّ قُوَّةً تَدْعَمُ السَّيْطَرَةَ عَلَى المؤْقِفِ (الدَّلِيلُ: فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ).

الأبعاد

"آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ" وَسِيَاسَةُ صِنَاعَةِ الأَمْنِ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ

تُقَدِّمُ الآيَاتُ نَظَرَةً إِنْسَانِيَّةً حَوْلَ "أَهَمِّيَّةِ الرِّعَايَةِ النَّفْسِيَّةِ فِي التَّمْكِينِ"؛ فَإِخْرَاجُ بِنْيَامِينَ مِنْ حَالَةِ الخَوْفِ وَتَحْرِيرُهُ مِنْ بُؤْسِ التَّحَكُّمِ القَدِيمِ تَمَّ عَبْرَ جَلْسَةِ إِيوَاءٍ خَاصَّةٍ (فَلَا تَبْتَئِسْ). هَذِهِ الرُّؤْيَةُ

تُعَالِجُ جَفَاءَ السِّيَاسَاتِ العَامَّةِ الَّتِي تَهْتَمُّ بِالبِنَاءِ المادِّيِّ دُونَ أَنْ تَلْتَفِتَ إِلَى تَرْمِيمِ ذَوَاتِ الأَفْرَادِ المصْدُومِينَ، وَتُؤَكِّدُ أَنَّ تَأْمِينَ نُفُوسِ الشُّرَكَاءِ هُوَ الخُطْوَةُ الأُولَى لِنَجَاحِ كُلِّ خِطَّةٍ إِصْلَاحِيَّةٍ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ

الِانْفِكَاكُ التَّشْرِيعِيُّ وَهَنْدَسَةُ القَوَانِينِ لِصَالِحِ العَدْلِ

تَرْسَمُ المَنَاوَرَةُ الَّتِي قَادَهَا يُوسُفُ بُعْدًا حَضَارِيًّا يَمَسُّ "العَلَاقَةَ بَيْنَ الأَنْظِمَةِ القَانُونِيَّةِ"؛ فَاحْتِجَازُ بِنْيَامِينَ لَمْ يَكُنْ لِيَمُرَّ عَبْرَ (دِينِ المِلكِ) الَّذِي لَا يَعْرِفُ سِوَى العُقُوبَاتِ المالِيَّةِ أَوْ البَدَنِيَّةِ، لِذَلِكَ جَاءَ التَّدْبِيرُ عَبْرَ اسْتِدْرَاجِ الإِخْوَةِ لِيَحْكُمُوا بِقَانُونِهِمْ هُمْ. هَذِهِ النَّظَرَةُ تَنْفَعُ البَشَرِيَّةَ فِي فَهْمِ عُمْقِ "الهَنْدَسَةِ القَانُونِيَّةِ"، وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِلْمُصْلِحِ الَّذِي يَمْلِكُ أَدَوَاتِ العِلْمِ أَنْ يَسْتَثْمِرَ التَّبَايُنَ التَّشْرِيعِيَّ لِتَحْقِيقِ نَتَائِجَ عَالِيَةِ القِيمَةِ تَعْجِزُ عَنْهَا النُّصُوصُ الجَامِدَةُ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ

"فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ" وَبَلَاغَةُ التَّسَامُي عَنِ الِافْتِرَاءِ الإِدَارِيِّ

تَطْرَحُ الآيَاتُ رُؤْيَةً نَفْسِيَّةً وَأَخْلَاقِيَّةً رَفِيعَةً تَتَعَلَّقُ بِـ"كَبْحِ رُدُودِ الأَفْعَالِ الصِّبْيَانِيَّةِ"؛ فَعِنْدَمَا وَاجَهَهُ الإِخْوَةُ بِتُهْمَةٍ جَاهِزَةٍ (فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ)، لَمْ يَسْمَحْ لِكِبْرِيَائِهِ الشَّخْصِيِّ بِتَعْطِيلِ سَيْرِ الإِجْرَاءَاتِ، بَلْ (أَسَرَّهَا فِي نَفْسِهِ). هَذِهِ النَّظَرَةُ تُعَالِجُ مَرَضَ الِانْفِعَالِ السِّيَاسِيِّ وَالإِدَارِيِّ، وَتُبَيِّنُ أَنَّ القَادَةَ الكِبَارَ يَمْلِكُونَ مَسَاحَةً دَاخِلِيَّةً صَلْبَةً تَسْتَوْعِبُ كَذِبَ الخُصُومِ دُونَ أَنْ تَتَأَثَّرَ بِهَا مَسَارَاتُ البِنَاءِ الحَضَارِيِّ.

- أَصْلُهُ مِنَ النَّصِّ: قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ

يأس الإخوة، تماسك يعقوب، والمنعطف نحو الفرج (٨٠-٨٧)

النص القرآني:

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)﴾

١. مرحلة التيسير

(فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) فلما قطعوا رجاءهم من إجابة العزيز اعتزلوا يتشاورون سراً، (أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ) عهداً مؤكداً باليمين، (وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ) تقصيركم القديم وجنايتكم، (فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ) لن أغادر أرض مصر، (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) لم نكن نعلم الغيب أنه سيسرق، (وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) القافلة التي جئنا معها، (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا) زينت لكم أنفسكم حيلة، (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) صبر لا شكوى فيه للمخلوق، (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) عمي من البكاء ممتلئ بالغم المكتوم، (حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا) تالفاً مشرفاً على الموت، (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي) شدة وجعي المصحوبة بالاضطراب، (فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ) تتبعوا أخبارهما بلطف، (وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ) لا تقنطوا من فرجه ورحمته.

٢. مرحلة النشر

فلما انقطع رجاء الإخوة من استرداد أخيهم بنيامين من العزيز، انفردوا عن الناس يتشاورون سراً، فقال كبيرهم مذكراً: ألم تذكروا عهد الله الغليظ الذي قطعتموه لأبيكم؟ ومِن قَبل هذا كان تقصيركم الشنيع في يوسف؛ لذا لن أفارق أرض مصر أبداً حتى يسمح لي أبي بالعودة أو يقضي

الله لي مخرجاً بحكمه وهو خير الحاكمين؛ عودوا أنتم وقولوا له: يا أبانا إن ابنك ارتكب سرقة وما شهدنا عليه إلا بما عاينّاه من خروج الصاع من رحله، ولم نكن نعلم الغيب حين عاهدناك، وإن شككت فاستفسر من أهل المدينة التي كنا فيها وأصحاب القافلة التي رافقناها لتتحقق من صدقنا؛ فلما عادوا وأخبروه، لم يصدق روايتهم التكرارية وقال: بل زينت لكم أنفسكم حيلة أخرى كما فعلتم سابقاً، فصبري صبر جميل، ولعل الله يجمعني بيوسف وبنيامين وأخيهما الأكبر معاً، إنه هو المحيط بحالي الحكيم في تدبيره؛ ثم ابتعد عنهم مسترجعاً آلامه القديمة وصاح: وا أسفاه على يوسف! وعميت عيناه من كثرة البكاء وهو غاصّ بغصته لا يظهرها؛ فعاتبه أولاده قائلين: تالله لن تترك ذكر يوسف حتى تشرف على الهلاك أو تموت؛ فأجابهم: إنما أرفع تفاصيل وجعي المكتوم وحزني الشديد إلى الله وحده، وأعلم من فضل ربي وفرجه ما لا تحيطون به علماً؛ ثم أمرهم مستنهضاً هممهم: يا أبنائي عودوا وابحثوا بلطف عن أخبار يوسف وأخيه، ولا تقنطوا من فرجه، فلا ييأس من رحمة الله إلا الجاحدون.

٣. استخراج المعاني

١. "اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ" تدل على بلوغ الجهد البشري نهايته وانغلاق الأبواب المادية كلياً أمام الإخوة. (أصله: {اسْتَيْأَسُوا})

٢. "خَلَصُوا نَجِيًّا" تصوير لحالة العزلة النفسية والجسدية لإخوة يوسف، حيث تفرغوا للمناجاة والتشاور بعيداً عن ضغط الموقف. (أصله: الآية ٨٠)

٣. تذكير كبيرهم بـ "مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ" و"مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ" يظهر يقظة الضمير المتأخرة تحت وطأة الأزمة المتكررة. (أصله: الآية ٨٠)

٤. "فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ" موقف حاسم من كبيرهم يعكس شدة الخجل الأخلاقي والشعور بالمسؤولية أمام الأب هذه المرة. (أصله: {فَلَنْ أَبْرَحَ})

٥. "أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي" تفويض مطلق للقدر عند العجز التام عن إيجاد حلول بشرية قانونية. (أصله: الآية ٨٠)

٦. "وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ" قاعدة يعتذر بها البشر عند حدوث مفاجآت تقلب التعهدات الصادقة رأساً على عقب. (أصله: الآية ٨١)

٧. الاستشهاد بـ "الْقَرْيَةَ" و"الْعِيرَ" يمثل أعلى درجات الاستدلال الموضوعي والتوثيق لإثبات براءة المرتكبين من التهمة. (أصله: الآية ٨٢)

٨. "بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا" رد يعقوب يوضح سقوط الثقة بينه وبينهم بسبب جنايتهم القديمة، فالتاريخ الشخصي يحكم على الحاضر. (أصله: الآية ٨٣)

٩. "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ" تكرار هذه العبارة في المحنتين يبرز ثبات المنهج الأخلاقي ليعقوب عند تلقي الفواجع. (أصله: الآية ٨٣)

١٠. "عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا" قمة التفاؤل الإيماني؛ ففي أشد لحظات الظلام (فقدان ثلاثة أبناء) يتوقع الفرج الكامل. (أصله: الآية ٨٣)

١١. "وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ" إشارة إلى أن بعض الأحزان تحتاج لعزلة عن اللائمين لتصفية الروح مع الخالق. (أصله: الآية ٨٤)

١٢. "يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ" تكشف أن الحزن القديم الدفين لم يمت، بل إن المحنة الجديدة نبشت جرحاً أعمق. (أصله: {يَا أَسَفَىٰ})

١٣. "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ... فَهُوَ كَظِيمٌ" رصد قرآني دقيق للأثر الجسدي الفادح للحزن النفسي المكتوم على الحواس البصرية. (أصله: الآية ٨٤)

١٤. "تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ" تبرز ضيق بيئة الأبناء بحزنه المستمر واستعجابهم من رسوخ الذكرى برغم تقادم السنين. (أصله: الآية ٨٥)

١٥. "حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا" توصيف طبي واجتماعي لحالة الهزال الشديد الناتجة عن اجترار الهموم. (أصله: {حَرَضًا})

١٦. "إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ" حصر الشكوى بالخالق هو جوهر الصبر الجميل، ونفي للحاجة للمواساة البشرية القاصرة. (أصله: الآية ٨٦)

١٧. "وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" مستند اليقين عند الأنبياء؛ وهو ثقتهم المطلقة بصدق البشارات السابقة (رؤيا يوسف) وسنن الفرج. (أصله: الآية ٨٦)

١٨. "فَتَحَسَّسُوا" اختيار لفظ التحسس (تتبع الخير واللطف) بدلاً من التجسس، لتوجيه طاقة البحث إيجابياً. (أصله: الآية ٨٧)

١٩. "مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ" عودة يعقوب للمطالبة بالبحث عن يوسف برغم مرور عقود، دليل على عدم انقطاع رجائه أبداً. (أصله: الآية ٨٧)

٢٠. "وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ" نهي قاطع عن القنوط، يوضح أن درجة الأمل هي معيار القوة الروحية. (أصله: {وَلَا تَيْأَسُوا})

٢١. "إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ... إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" ربط عميق بين اليأس الروحي وبين جحود صفات الفضل والقدرة الإلهية. (أصله: الآية ٨٧)

٢٢. الختم بـ "العليم الحكيم" في سياق حزن يعقوب يطمئن الوجدان بأن الألم البشري يسير وفق تدبير كوني متقن. (أصله: الآية ٨٣)

٤. مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق المغلظة، وتحمل التبعات الأخلاقية والقانونية عند الإخلال بها. (دليله: الآية ٨٠)

٢. مشروعية الاعتزال المؤقت والتشاور السري (النجوى) لبحث الحلول عند نزول الكوارث الجماعية. (دليله: {خَلَصُوا نَجِيًّا})

٣. قبول عذر المرء عند عدم الإحاطة بالغيب، طالما بذل وسعه وأقام البينة الموضوعية على صدقه. (دليله: الآيتان ٨١-٨٢)

٤. حرمة الاستسلام لليأس والقنوط من زوال الكرب، والوجوب التربوي لبث الأمل في النفوس المحيطة. (دليله: الآية ٨٧)

٥. مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة سقوط الثقة: الجناية السابقة تظلم الموقف الحاضر؛ فمن اعتاد التزييف (دم يوسف الكذب) يصعب تصديقه وإن نطق بالحق الصرف (سرقة بنيامين). (دليله: الآيتان ٨٢-٨٣)

٢. قاعدة حصر الالتجاء: الصبر الجميل لا يتنافى مع البكاء الطبيعي أو ألم الجسد، وإنما يتنافى مع الشكوى لغير الله. (دليله: الآيتان ٨٤-٨٦)

٣. قاعدة المنعطف التفاؤلي: اشتداد المحن وتراكمها (فقدان الأبناء الثلاثة) هو المؤشر الحقيقي لقرب بزوغ الفرج الشامل. (دليله: {عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا})

٤. قاعدة البناء المعرفي لليقين: الأمل ليس عاطفة ساذجة بل هو نتاج علم حقيقي بصفات الله وسننه في تغيير الأحوال. (دليله: {وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ})

٦. الأبعاد الإنسانية

١. بُعد سيكولوجية تراكم الأحزان (الصدمة الارتدادية):

- يظهر النص كيف أن المحنة المتأخرة لا تأتي منفردة، بل تثير مكامن الشجن القديم في النفس البشرية وتضاعف أثره الجسدي. (أصله: {يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ})

٢. بُعد عبء الذنب التاريخي:

- يعكس حال الإخوة الكبار كيف يظل الخطأ القديم ملاحقاً لصاحبه، مشكلاً ضغطاً نفسياً يمنعه من مواجهة المجتمع أو الأب بجرأة عند تكرار الأزمة. (أصله: الآية ٨٠)

٣. بُعد التماسك القيادي والتربوي:

- بالرغم من إصابة يعقوب بالعمى الجسدي والكمد النفسي، إلا أنه حافظ على دور القيادة والتوجيه، واستنهض أولاده للبحث الإيجابي رافضاً ثقافة الاستسلام. (أصله: الآية ٨٧)

٤. بُعد الأمل كطاقة بقاء بشرية:

- يعتبر النص أن "رَوْح الله" هو الأكسجين الروحي الذي يحمي الإنسان من التحلل النفسي والموت كمداً (أن يكون حرضاً)، جاعلاً الأمل قضية وجودية إنسانية. (أصله: الآيتان ٨٥-٨٧)

التحول الحضاري من ضيق الابتلاء إلى سعة التمكين الكوني وإدارة الأزمات (٨٨ - ١٠١)

النص القرآني

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة يوسف: الآيات ٨٨ - ١٠١]

التيسير

فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر (القحط والشدة والجوع) وجئنا ببضاعة مزجاة (رديئة وقليلة القيمة لا تُقبل في البيع عادة) فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي

المتصدقين، قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون (في حال طيشكم وشبابكم وقبل معرفة عاقبة الفعل)، قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، قالوا تالله لقد آثرك الله علينا (فضلك واختارك بالإيجاد والتمكين) وإن كنا لخاطئين، قال لا تثريب عليكم اليوم (لا لوم ولا توبيخ ولا عتاب عليكم) يغفر الله لكم وهو أرحم الراحِمين، اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين، ولما فصلت العير (خرجت القافلة من مصر متوجهة إلى الشام) قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون (تنسبوني إلى الخرف وكبر السن وضعف العقل)، قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم (مستمر في حبك الشديد ليوسف وترقب عودته)، فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون، قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين، قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم، فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه (ضمهما إليه واحتضنهما برفق) وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، ورفع أبويه على العرش (كرسي الملك والسيادة) وخروا له سجدا (انحنوا انحناء تحية وتكريم لا عبادة) وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو (الصحراء ومعيشة التنقل) من بعد أن نزغ الشيطان (أفسد وأثار العداوة) بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم، رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث (تفسير الرؤى واستنباط حقائق الأمور) فاطر (مبدع وخالق) السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين.

النثر

فلما دخل إخوة يوسف عليه في مصر شكوْا إليه ما أصابهم وأهلهم من القحط والجدب وعرضوا ثمنًا رديئًا قليل النفع، سائلين إياه أن يكمل لهم مقدار طعامهم ويتكرم عليهم بالمسامحة، فذكّرهم يوسف بما اقترفوه بحقه وحق شقيقه وقت طيشهم، فدهشوا وعلموا حقيقته فأقروا بتفضيل الله له وخطئهم، فعفا عنهم عفوًا تامًا بلا توبيخ، وأرسل قميصه معهم ليعود بصر والدهم الشحيح من الحزن، وأمرهم بإحضار العائلة كاملة، وعندما تحركت قافلتهم شم الوالد ريح ابنه رغماً عن اتهام من حوله له بالخرف، فلما وصل حامل البشرى ووضع القميص على وجه يعقوب عاد بصيرًا وذكّرهم بسعة علمه بالله، فطلب الأبناء الاستغفار من أبيهم فوعدهم به، ولما قدموا جميعًا على

يوسف احتضن والديه وأمّن دخولهم مصر وأجلسهما على تخت ملكه فخرّوا له مع إخوته تحية، ليتجلّى تحقيق رؤياه القديمة شاكرًا ربه على إنقاذه من السجن ونقل عائلته من البداوة بعد إفساد الشيطان بينهم، راجيًا في ختام تمكينه الوفاة على الإسلام واللحوق بالصالحين.

المعاني

١ .الفقر والحاجة يكسران نفوس الأعزاء ويدفعانهم للاستعطاف. (أصله: مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ... فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ)

٢ .تقديم البضاعة المزجاة يعكس شدة الضيق الاقتصادي لدى الأسرة. (أصله: وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ)

٣ .الاسترحام والتذكير بثواب الصدقة وسيلة الضعفاء عند الملوك. (أصله: وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)

٤ .مواجهة المخطئ بذنبه في وقت قوته تذكره بعاقبة الجهل. (أصله: هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ)

٥ .الطيش والجهل بالحقائق هما دافع ارتكاب المظالم النكراء. (أصله: إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ)

٦ .المفاجأة بظهور الحق تقود إلى صدمة الاعتراف والذهول. (أصله: قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ)

٧ .التمكين بعد الابتلاء منّة ربانية خالصة لمن ثبت وعمل صالحاً. (أصله: قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا)

٨ .التقوى والصبر هما المفتاحان الاستراتيجيان لعدم ضياع الأجر البشري. (أصله: إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أجر الْمُحْسِنِينَ)

٩ .اعتراف الظالم بفضل المظلوم وخطأ نفسه علامة على انكسار الباطل. (أصله: لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ)

١٠ .نبل الأخلاق يتجلى في إسقاط اللوم والعتاب عند المقدرة والانتصار. (أصله: قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ)

١١ .إحالة المغفرة والرحمة لله وحده تعكس تواضع الأنبياء وعظمة توحيدهم. (أصله: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أرحم الرَّاحِمِينَ)

١٢ .للمتعلقات المادية للصالحين أثر مادي وروحي يبعث الأمل والشفاء. (أصله: اذْهَبُوا

بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا)

١٣ .شمول العناية للعائلة كلها يحقق تمام الفرح والتمكين الحضاري. (أصله: وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)

١٤ .رابطة الحب والروح تتجاوز المسافات المادية والحدود الجغرافية. (أصله: إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ)

١٥ .اتهام الكبار بالخرف ناتج عن قصور علم المحيطين بهم بحقائق الغيب. (أصله: قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ)

١٦ .اليقين بالله يثمر صدق النبوءة ومخالفة ظنون البشر المادية. (أصله: أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

١٧ .الاعتراف بالذنب للأب وطلب وساطته في الاستغفار مشروع تربوياً وعائلياً. (أصله: يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا)

١٨ .تأخير الاستغفار أو الوعد به يتناسب مع تحين الأوقات الشريفة لإجابة الدعاء. (أصله: قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي)

١٩ .الدولة العادلة والممكنة توفر الأمن والأمان لساكنيها والوافدين إليها. (أصله: ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)

٢٠ .بر الوالدين وإجلالهما بتقديمهما في مراتب التشريف من شيم القادة العظماء. (أصله: وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ)

٢١ .الزمن كفيل بتحقيق الرؤى الصادقة مهما طال أمد العقبات والعوائق. (أصله: يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)

٢٢ .تحويل محنة السجن والبداوة إلى منحة يعكس اللطف الإلهي الخفي بعباده. (أصله: وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ)

٢٣ .نزغ الشيطان وإفساده هو محرك الفتن الأسرية والمجتمعية. (أصله: مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)

٢٤ .العلم والحكمة الإلهية يسيران الكون برفق ولطف لا تدركه الأبصار القاصرة. (أصله: إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

٢٥ .غاية التمكين السياسي والعلمي لا تلهي المؤمن عن طلب الخاتمة الحسنة بالوفاة على التوحيد. (أصله: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)

الأحكام

١ .يجب الوفاء بالكيل والوزن وتحرم تطفيف الأرزاق حتى مع رداءة الثمن المعروض. (دليله: فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ)

٢ .يندب التصدق والمسامحة وتيسير المعاملات على المعسرين والفقراء. (دليله: وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)

٣ .يحرم الاعتداء على المستضعفين وأخذهم بالجهل والطيش. (دليله: هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ)

٤ .يندب العفو والصفح الجميل وإسقاط التثريب واللوم عند التمكن والانتصار على الخصوم. (دليله: قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ)

٥ .يجب بر الوالدين وإكرامهما وتقديمهما في المجالس وتوفير سبل الراحة والرفعة لهما. (دليله: وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ)

٦ .تجب نسبة النعم المادية، كالملك، والعلم، والنجاة من الأزمات، إلى الله عز وجل اعترافاً بفضله. (دليله: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)

٧ .يجب لزوماً طلب الثبات على دين الإسلام وسؤال الله حسن الخاتمة والصلاح حتى آخر لحظات العمر. (دليله: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)

القواعد

١ .سنّة الأزمات الاقتصادية الخانقة أنها تذل المتبوعين وتدفعهم لطلب العون من الأنظمة الممكنة اقتصادياً. (الدليل: مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ).

٢ .حتمية التمكين الكوني والظفر معقودة بمدى تحقيق معادلتي التقوى والصبر الإنساني في مواجهة الشدائد. (الدليل: إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أجر الْمُحْسِنِينَ).

٣ .العفو المطلق عند المقدرة هو الركيزة الاستراتيجية لتطهير النفوس وإعادة بناء النسيج الاجتماعي الممزق. (الدليل: قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ).

٤ .بواعث اليقين والإدراك القلبي لدى الصالحين تتجاوز حدود العقول المادية الضيقة والحسابات الظاهرية للبشر. (الدليل: قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

٥ .حتمية الاستقرار الحضاري وبناء الدول مشروطان بتوفير مظلة الأمن والأمان والاستيعاب العادل لكافة الفئات الإنسانية. (الدليل: ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ).

٦ .اللطف الإلهي حتمية كونية خفية تحول حركات الشر الإنساني (السجن، البئر، النزغ) إلى مسارات لتمام التمكين الإنساني الشامل. (الدليل: إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١ .البُعد القيادي والأخلاقي :تبرز الكتلة طرازًا قياديًا فذًا يتجاوز ضغائن الماضي وينبذ الانتقام السياسي؛ حيث يتحول القائد من مظلوم سجين إلى مُمكِّن اقتصادي يعفو ويحتوي خصومه لبناء مجتمع متماسك. (أصله: قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ).

٢ .البُعد العائلي والاجتماعي :يؤكد النص على حتمية التماسك الأسري كركيزة لبناء المجتمعات الصالحة، مبيناً أن النزاعات العائلية تغذيها نوازع الشر (نزغ الشيطان)، وأن علاجها يكمن في الاعتراف الشجاع بالخطأ، والاستغفار، والبر المطلق بالوالدين وإعلاء شأنهما حضارياً. (أصله: وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ... مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي).

٣ .البُعد المؤسسي وإدارة الأزمات :تمثل دولة مصر في النص نموذج الحضارة الخدمية والمؤسسية القادرة على تحقيق الأمن الغذائي والأمان الجغرافي للمجتمعات البدوية والوافدة أوقات القحط العالمي، مما يبرز دور التخطيط الاقتصادي في بسط النفوذ الإنساني العادل. (أصله: وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ... ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ).

٤ .البُعد الوجودي والمآلي :تضع القصة نهاية استراتيجية للملك والتمكين الدنيوي عبر ربطه بالافتقار التام للخالق، ليكون المنتهى الحضاري الحقيقي للإنسان هو الثبات على التوحيد ونقاء السيرة واللحاق بركب الصالحين تاريخياً. (أصله: رَبِّ قد آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ... تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ).

النص القرآني

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة يوسف: الآيات ١٠٢ – ١١١]

التيسير

ذلك من أنباء الغيب (أخبار الماضي الخفية المستورة) نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم (اتفقوا وعزموا بحزم) وهم يمكرون (يحتالون بالشر لإلقاء يوسف في البئر)، وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين، وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر (تذكير وموعظة وشرف) للعالمين، وكأين (وكم الكثير من) من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون، وما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ (يخلطون إيمانهم بشرك خفي كعبادة الأسباب أو الرياء)، أفأمنوا أن تأتيهم غاشية (عذاب عام يغشاهم ويغطيهم بالهلاك) من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة (فجأة دون سابق إنذار) وهم لا يشعرون، قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة (يقين وعلم وبرهان واضح) أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين، وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى (المدن والحواضر لا أهل البادية لرجاحة عقولهم) أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون، حتى

إذا استيأس (بلغوا غاية اليأس بحسابات البشر) الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا (أيقن الرسل أن قومهم كذبوهم تكذيباً لا رجعة فيه، أو ظن الأتباع أن وعد النصر قد تخلف) جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا (عذابنا الشديد وضررنا) عن القوم المجرمين، لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب (أصحاب العقول الراجحة والذكية) ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.

النثر

إن تفاصيل قصة يوسف هي من أخبار الماضي المستورة التي يوحى بها للرسول تبياناً للصدق لكونه لم يحضر وقت عزم الإخوة على مكرهم وإلقاء شقيقهم بالبئر، ومع هذا الصدق المرتبط بالوحي فإن أكثر البشر لا يقبلون الهداية رغماً عن حرص الداعية ومجانية رسالته التي تعد مجرد تذكير للعالمين، حيث يستمر العوام في تجاهل الأدلة الكونية، وإن أقروا بالخالق أشركوا معه الأسباب، غير خائفين من مباغتة العذاب أو القيامة، ولهذا وجب المضي في الدعوة القائمة على البرهان وتنزيه الله مستلهمين تاريخ الرسل الرجال الذين بعثوا من الحواضر ليعتبر السائرون في الأرض بمصائر الهالكين، مدركين أن النصر الإلهي الحاسم ينزل عند انسداد الحيل المادية ليدمر الكيانات الإجرامية، مما يجعل هذا القصص مادة عقلية اعتبارية ومنهاجاً مفصلاً يمنح الرحمة لمن آمن.

المعاني

١ .تفاصيل قصة يوسف دليل قاطع على صدق النبوة لارتباطها بالغيبيات. (أصله: ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ)

٢ .عدم حضور النبي لمؤامرة الإخوة تاريخياً يؤكد المصدر الإلهي للقرآن. (أصله: وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)

٣ .مكر الإخوة وإجماعهم ضد يوسف كان فعلاً مستوراً كشفه الوحي. (أصله: إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ)

٤ .حرص الداعية ورغبته الشديدة لا يضمنان هداية أغلبية المجتمعات. (أصله: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ)

٥ .الهداية توفيق إلهي لا يخضع للحسابات والرغبات الشخصية للأنبياء. (أصله: وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ)

٦ .مجانية الدعوة ونزاهتها المادية شرط لصدق التذكير الحضاري. (أصله: وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ)

٧ .القرآن رسالة عالمية تتجاوز الحدود الجغرافية والقومية. (أصله: إِنْ هوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ)

٨ .بلادة الوعي البشري تؤدي إلى تجاهل المعجزات الكونية الظاهرة. (أصله: يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)

٩ .الشرك الخفي قد يجتمع مع الإيمان بالله في نفوس أكثر البشر. (أصله: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ)

١٠ .الغفلة عن العقاب المفاجئ تسرع من وتيرة السقوط الإنساني. (أصله: أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ)

١١ .المباغتة الزمنية هي طبيعة القيامة والعذاب الاستئصالي للأمم. (أصله: أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً)

١٢ .البصيرة العلمية والبرهان الواضح هما أساس المنهج الحركي للداعية. (أصله: أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ)

١٣ .اتباع المنهج الرسالي يتطلب وعياً تاماً وعميساً كوعي القائد. (أصله: أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)

١٤ .التنزيه المطلق لله (التسبيح) ينفي تماماً مظاهر الشرك والوثنية. (أصله: وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

١٥ .السنّة الإلهية اقتضت إرسال الرسل من الرجال البشريين لا الملائكة. (أصله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا)

١٦ .أهل الحواضر والمدن أكثر استعداداً ذهنياً لحمل الرسالات من أهل البادية. (أصله: مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ)

١٧ .السير الجغرافي واستقراء التاريخ وسيلتان لتعميق الوعي السلوكي. (أصله: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا)

١٨ .عواقب الأمم الغابرة هي شواهد حية على حتمية سقوط الباطل. (أصله: كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)

١٩ .العقل الحقيقي هو الذي يفضل المآل الأخروي الباقي على المتاع الدنيوي الزائل. (أصله: وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)

٢٠ .سنّة النصر الإلهي تتأخر حتى تضيق الدوائر المادية تماماً ويفقد البشر الحيل. (أصله: حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ)

٢١ .العناية الإلهية تتدخل بشكل حاسم عند بلوغ الكرب ذروته لحماية المؤمنين. (أصله: جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ)

٢٢ .بأس الله وعذابه حتمي النفاذ ضد الكيانات الإجرامية ولا عاصم منه. (أصله: وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)

٢٣ .القصص التاريخي في القرآن ليس للترفيه وإنما لبناء العبرة الاستراتيجية. (أصله: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ)

٢٤ .أصحاب العقول الحرة والنيرة هم المستفيدون حصراً من تجارب التاريخ. (أصله: لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)

٢٥ .الوحي القرآني يتنزه عن الاختلاق البشري والأساطير المفتراة وهو هدى ورحمة. (أصله: مَّا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ... وَهُدًى وَرَحْمَةً)

الأحكام

١ .يجب الإيمان القاطع بالوحي الإلهي وبما نقله من أنباء الغيب التاريخية. (دليله: ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ)

٢ .يحرم طلب الأجر المادي أو المكاسب السياسية مقابل تبليغ أحكام الدين وتذكير الناس. (دليله: وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ)

٣ .يحرم الإعراض عن الآيات الكونية والشرعية والدلائل الدالة على توحيد الله. (دليله: يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)

٤ .يحرم الشرك بالله بجميع أنواعه؛ سواء كان جلياً أو خفياً كاعتماد القلوب على الأسباب. (دليله: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ)

٥ .يجب شرعاً بناء الدعوة إلى الله والتحرك الاجتماعي على أساس العلم، واليقين، والبصيرة.

(دليله: قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ)

٦ .يندب السير في الأرض لاستقراء التاريخ والتفكر في مصائر الحضارات الظالمة لأخذ الموعظة. (دليله: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا)

٧ .يجب الإيمان القاطع بالقرآن الكريم وبأنه وحي مفصل مصدق للكتب السابقة وتفصيل لكل شؤون الدين والحياة. (دليله: مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ)

القواعد

١ .صدق النص القرآني حتمية يقينية مستمدة من إيراد تفاصيل الأحداث التاريخية المستورة التي حيكت في الخفاء بعيداً عن عين النبوة. (الدليل: ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ).

٢ .طبيعة المجتمعات البشرية تاريخياً هي مقاومة التغيير وهداية الكثرة لا تخضع لجهد البشر الحريص. (الدليل: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ).

٣ .شيوع الشرك الخفي والاعتماد على الماديات والرياء آفة نفسية تلازم غالبية المجتمعات البشرية رغم إقرارها بالخالق. (الدليل: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ).

٤ .حتمية سقوط الأمم الظالمة تبدأ من شعورها الزائف بالأمان والاستقرار قبل حلول الكارثة المفاجئة. (الدليل: أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً).

٥ .السنّة التاريخية الحاكمة لتطور الفكر البشري تقتضي انطلاق الرسالات الحضارية الكبرى من المراكز المدنية المأهولة (الحواضر) لا من المجتمعات المعزولة. (الدليل: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ).

٦ .قانون النصر الإلهي لا يعمل إلا عند انسداد الحلول المادية وبلوغ الاستضعاف البشري ذروته الحرجة هندسياً ونفسياً. (الدليل: حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا).

٧ .التاريخ الإنساني حلقة متصلة ومخزون استراتيجي من العبر، لا يعي حركته وحتميته إلا أصحاب العقول الحرة والتفكير النقدي. (الدليل: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١ .البُعد الإبستيمولوجي (المعرفي) :تؤسس البداية والنهاية في هذه الكتلة لربط المعرفة الإنسانية الحقة بالوحي الصادق المنزه عن الافتراء، محولة القصص الغيبي والتاريخي إلى مرجعية يقينية قاطعة تدعم الوعي الرسالي وتفصل شؤون الحياة الإنسانية بدقة وعلم. (أصله: ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ... مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ).

٢ .البُعد المنهجي والدعوي :تؤسس الكتلة لمفهوم "الدعوة على بصيرة"، وهو بعد حضاري يرفض الغوغائية والعاطفية الجوفاء في حركية التغيير الاجتماعي، مشترطاً العلم والوعي الشامل كركيزتين أساسيتين لنهضة الإنسان وبناء قناعته الفكرية الحرة. (أصله: قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي).

٣ .البُعد الفلسفي والتاريخي :ترسم الآيات منهجاً استقرائياً لحركة التاريخ عبر حث الإنسان على السير والبحث الجغرافي والمادي لفحص مصائر الحضارات البائدة، مما يجعل التاريخ مادة علمية وسنّة كونية مطردة للاعتبار وبناء مدنيّات عادلة تتجنب أخطاء الماضي. (أصله: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ).

٤ .البُعد السيكولوجي (سيكولوجية الجماهير) :تقدم الآيات تحليلاً دقيقاً لظاهرة "الإعراض الجماعي" والشرك الخفي، مظهرة كيف يمكن للبلادة المعرفية والتعود المادي أن يحجبا الإنسان عن رؤية معجزات الكون الباهرة، ومحذرة من فخ "الأمن الزائف" الذي يسبق الانهيارات المفاجئة للدول والمجتمعات. (أصله: وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ).

بإتمام هذه الكتلة نكون قد استوفينا سورة يوسف كاملة وفقاً للبروتوكول الذاتي المعياري المعدل. إذا كنت جاهزاً للانتقال إلى سورة جديدة، تفضل بتزويدي بـ اسم السورة لشرع في نسقها مباشرة.

آيات القوة الكونية والوحي (١–٤)

النص القرآني:

المر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)

(سورة الرعد: ١–٤)

أولاً: مرحلة التيسير

({الر} حروف مقطعة للإعجاز، {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} إشارة لعظمة القرآن، {وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ} الصدق المطلق، {رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} بلا دعائم ظاهرة، {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} علا وارتفع بما يليق بجلاله، {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} ذللهما لمنفعة الخلق، {كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} وقت محدد للنهاية، {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ} يسيس شؤون خلقه، {يُفَصِّلُ الْآيَاتِ} يوضح الأدلة، {مَدَّ الْأَرْضَ} بسطها للسكنى، {رَوَاسِيَ} جبالاً ثابتة، {زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} ذكر وأنثى أو نوعين، {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ} يلبس أحدهما الآخر، {قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ} أراضٍ متقاربة ومختلفة الصفات، {صِنْوَانٌ} نخلات أصلها واحد، {يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ} اتحاد المصدر واختلاف الثمرة، {وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ} تباين الطعوم والجودة).

ثانياً: مرحلة النشر

تفتتح السورة بحروف الإعجاز مشيرة إلى أن هذا الكتاب وما فيه من وحي هو الحق الصرف المنزه عن العبث، رغم غفلة أكثر الناس عن الإيمان به. ويبرز النص قدرة الله في رفع السماوات وبنائها بغير دعائم مرئية، واستوائه العظيم على العرش، وتسييره للشمس والقمر في مدارات منضبطة لمنفعة الوجود حتى حين معلوم، حيث يدبر شؤون الكون ويفصل البراهين لغرس اليقين بالبعث. ثم ينتقل لبيان بسط الأرض وتثبيتها بالجبال وإجراء الأنهار فيها، وخلق الثمار بنظام الزوجية، وتعاقب الليل والنهار في مشهد يستدعي التفكر. كما يلفت النظر إلى عظمة الخلق في التربة؛ حيث توجد بقاع متجاورة تسقى بماء واحد لكنها تخرج ثماراً وجنات من أعناب وزروع ونخيل متباينة في طعمها وجودتها، وهو ما لا يدرك عمقه إلا أصحاب العقول الراجحة.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الربط بين "حقية الوحي" و"إحكام الكون" كدليل على وحدة المصدر.

٢. السماء المرفوعة بغير عمد مرئية تدل على قوانين الجاذبية والنظام الخفي الذي يمسك الوجود.

٣. "التسخير" يعني أن الكون ميسر لخدمة الإنسان وليس معادياً له.

٤. "الأجل المسمى" يزرع في الوعي حتمية النهاية لكل قوة مادية.

٥. "تدبير الأمر" يعني أن الكون ليس متروكاً للمصادفة بل له قيادة حكيمة.

٦. "تفصيل الآيات" منهج تعليمي لتيسير فهم الحقائق المعقدة.

٧. "مد الأرض" يتضمن تهيئة المناخ والتربة للحياة البشرية.

٨. "الرواسي" (الجبال) تعمل كأوتاد لحفظ توازن القشرة الأرضية.

٩. نظام "الزوجية" في الثمار أساس التنوع الحيوي واستمرار الحياة.

١٠. "تداخل الليل والنهار" تعبير عن التغيير المستمر ودورات الزمن.

١١. "القطع المتجاورة" تبرز التنوع البيئي في مساحات جغرافية ضيقة.

١٢. "وحدة المصدر" (ماء واحد) مقابل "تعدد النتائج" (نفضل بعضها على بعض) دليل على الإرادة والتدبير.

١٣. "صنوان وغير صنوان" إشارة إلى وحدة الأصل واختلاف الفروع والسمات.

١٤. الفرق بين "التفكر" (للمشاهد الكونية الواسعة) و"التعقل" (للملاحظات الدقيقة في التربة والزراعة).

١٥. الحقائق الكونية لا تحتاج لبرهان بقدر ما تحتاج لـ"رفع الغشاوة" عن البصيرة.

١٦. التباين في الأكل والثمار دعوة لاحترام التنوع في المواهب والقدرات الإنسانية أيضاً.

١٧. الربط بين المشاهدة الحسية (ترونها) وبين اليقين القلبي (توقنون).

١٨. الإشارة إلى إعجاز الحروف (المر) يتحدى القدرة اللسانية للبشر في صياغة الحق.

١٩. السورة تؤسس لـ "المنطق الاستدلالي" من المحسوس إلى الغيبي.

٢٠. استواء الخالق على العرش هو إعلان عن تمام السيطرة والتدبير المطلق.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بقطعية صدق الوحي القرآني (الدليل: والذي أنزل إليك من ربك الحق).

٢. لزوم التفكر في آيات الله الكونية كفرض عقلي لترسيخ اليقين (الدليل: لعلكم بلقاء ربكم توقنون).

٣. حظر الاعتقاد بأن الكون يسير بالصدفة (الدليل: يدبر الأمر).

٤. استحباب البحث العلمي في أسرار التربة والري والتنوع الزراعي (الدليل: إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون).

٥. وجوب شكر نعمة التسخير الكوني للشمس والقمر والأرض (الدليل: وسخر الشمس والقمر).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة النظام المتقن:** الكون يسير بتقدير وتوقيت لا يتخلف (الأساس: كل يجري لأجل مسمى).

٢. **قاعدة وحدة الأثر واختلاف المظاهر:** المصدر الواحد قد ينتج تنوعاً هائلاً للدلالة على القدرة (الأساس: يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض).

٣. **قاعدة الغائية:** كل تفصيل كوني يهدف لغاية معرفية كبرى (الأساس: لعلكم بلقاء ربكم توقنون).

٤. **قاعدة التوازن:** الثبات (الرواسي) والتحول (يغشي الليل النهار) يعملان معاً لحفظ الحياة.

٥. **قاعدة التمايز**: التفضيل في الجودة (الأكل) سنة كونية تسري على الأشياء والبشر.

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد التأسيس العلمي (المنهج التجريبي)

- **حقيقته**: توجيه النظر البشري نحو الظواهر المادية (الرفع، المد، السقي، النمو) لاستخراج القوانين الحاكمة لها، مما يمهد لعلوم الفيزياء والجيولوجيا والنبات.
- **أصله**: قوله (ترونها) و(يسقى بماء واحد)؛ وهذا يدفع الإنسان نحو "الملاحظة الدقيقة" وتطوير أدوات البحث العلمي لفهم كيف يعمل الكون، مما يؤدي لازدهار التقدم المادي.

٢. بُعد التنمية المستدامة (استثمار الموارد)

- **حقيقته**: إدراك أن الشمس والقمر والأرض "مسخرات"، أي موارد مهيأة للاستثمار البشري الواعي الذي يحافظ على دوراتها الطبيعية.
- **أصله**: قوله (وسخر الشمس والقمر) و(مد الأرض)؛ وهذا يوجه البشرية نحو الاستخدام الأمثل للطاقات المتجددة والمساحات الجغرافية، بما يحقق رفاهية الإنسان دون تدمير التوازن البيئي.

٣. بُعد إدارة التنوع (التعددية المثمرة)

- **حقيقته**: قبول مبدأ "القطع المتجاورة" التي تخرج ثماراً مختلفة رغم وحدة السقي، وهو درس في إدارة التنوع البشري والثقافي.
- **أصله**: قوله (قطع متجاورة.. ونفضل بعضها على بعض)؛ وهذا يفيد في بناء مجتمعات تعترف باختلاف المواهب والقدرات، وتستثمر في تميز كل فئة لتحقيق تكامل حضاري يشبه تكامل "الأعناب والزرع والنخيل".

٤. بُعد الأمن الوجودي (السكينة النفسية)

- **حقيقته:** الشعور بأن الكون "مدبر" وليس "غابة عشوائية"، مما يمنع القلق الوجودي ويحفز على العمل المطمئن.
- **أصله:** قوله (يدبر الأمر يفصل الآيات)؛ وهذا يمنح الإنسان توازناً نفسياً يدعوه للإبداع بدلاً من الانكفاء على الخوف من المستقبل، لعلمه أن هناك نظاماً حكيماً يحكم حركته وحركة الكون.

٥. بُعد المسؤولية المعرفية (إعمال العقل)

- **حقيقته:** الانتقال من مرتبة "المشاهدة السطحية" إلى مرتبة "التعقل والتدبر"، مما يرفع من قيمة الإنسان ككائن مفكر.
- **أصله:** قوله (لقوم يتفكرون) و(لقوم يعقلون)؛ وهذا يحرر البشرية من الخرافة والتقليد الأعمى، ويجعل "الوعي" هو المعيار الأساسي للنهوض الحضاري والارتقاء الإيماني.

هل نستمر في السورة أم ترغب في الوقوف عند هذه النقاط؟

عجز المنكرين وعلم الله المحيط (٥–١٠)

النص القرآني:

۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧) اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠)

(سورة الرعد: ٥–١٠)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَإِن تَعْجَبْ} يا محمد من إنكارهم، {فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ} المستبعد للبعث، {أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا} بعد الموت والبلى، {أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} عودة للحياة مرة أخرى، {الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ} قيود الذل في الدنيا والآخرة، {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ} يطلبون وقوع العذاب استهزاءً، {قَبْلَ الْحَسَنَةِ} قبل طلب العافية أو الإيمان، {خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ} مضت في الأمم السابقة عقوبات منكلة، {لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ} معجزة حسية مقترحة، {إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ} مخصص للتخويف والدعوة لا للإتيان بالخوارق، {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} مرشد يدعوهم إلى الحق، {يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ} محيط بما في الأرحام، {تَغِيضُ الْأَرْحَامُ} ما تنقصه الأرحام من مدة الحمل أو عدد الأجنة، {وَمَا تَزْدَادُ} ما تزيده الأرحام، {بِمِقْدَارٍ} بحد ووقت ونظام لا يتخلف، {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} المطلع على المستور والمشاهد، {الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} العظيم في ذاته الذي علا فوق كل شيء، {أَسَرَّ الْقَوْلَ} أخفاه، {جَهَرَ بِهِ} أعلنه، {مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ} متستر بظلمة الليل، {وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} ظاهر ومتحرك في طرقاته نهاراً).

ثانياً: مرحلة النشر

وإن تعجب يا محمد من إنكارهم للبعث، فأعجبُ من ذلك هو قولهم المستبعد للعودة للحياة مرة أخرى بقولهم: أإذا كنا تراباً بعد الموت والبلى أإنا لفي خلق جديد؟ فأولئك هم الذين كفروا بربهم وستوضع الأغلال وقيود الذل في أعناقهم وهم أصحاب النار الخالدون فيها. وهم يطلبون وقوع العذاب والسيئة استهزاءً قبل طلب العافية والحسنة، رغم أنه قد مضت من قبلهم في الأمم السابقة عقوبات منكلة، وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم رغم أنه شديد العقاب. ويقول الذين كفروا: لولا أنزل عليه معجزة حسية مقترحة من ربه، والرد أنك إنما أنت منذر مخصص للدعوة، ولكل قوم مرشد وهادٍ يدعوهم. والله يعلم ما تحمله كل أنثى ومحيط بما تنقصه الأرحام وما تزيده من مدة أو عدد، وكل شيء عنده بنظام ومقدار لا يتخلف؛ فهو عالم الغيب المستور والشهادة المشاهدة، الكبير المتعال الذي علا فوق كل شيء. ويستوي عنده من أخفى القول

وأسرّه ومن أعلنه وجهر به، ومن هو متستر بظلمة الليل ومن هو ظاهر ومتحرك في طرقات النهار.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. التعجب من إنكار "إعادة الخلق" مع الإقرار بـ "الخلق الأول" دلالة على خلل في التفكير المنطقي.

٢. الأغلال في الأعناق دلالة باطنية على أسر النفس للأفكار الجاهلية قبل أن تكون قيوداً مادية.

٣. تقديم طلب العذاب (السيئة) على طلب الرحمة يعكس حالة الانغلاق العقلي وفقدان غريزة البقاء الروحي.

٤. "المثلات" دروس تاريخية مجسدة توضح عاقبة الطغيان لمن أراد الاعتبار.

٥. توازن صفات الألوهية بين "سعة المغفرة" و"شدة العقاب" لضبط سلوك الإنسان بين الرجاء والخوف.

٦. حصر وظيفة الرسول في "الإنذار" يحرر العقل من انتظار الخوارق الحسية ويوجهه للآيات العقلية.

٧. "لكل قوم هاد" تؤكد عدالة السماء في إيصال النور لكل الجماعات البشرية عبر العصور.

٨. الإحاطة بما في الأرحام تشمل الجوانب البيولوجية والقدرية والسمات المستقبلية للجنين.

٩. "ما تغيض الأرحام وما تزداد" دلالة دقيقة على التغيرات الرحمية التي لم يكشفها العلم إلا حديثاً.

١٠. "كل شيء بمقدار" قانون كوني يرفض العبثية ويؤكد النظام الصارم في أصغر الذرات وأكبر المجرات.

١١. الجمع بين "الغيب والشهادة" يوسع آفاق المعرفة البشرية لتعترف بما وراء المحسوس.

١٢. "الكبير المتعال" تزرع في النفس شعوراً بصغر كل الجبابرة أمام عظمة الخالق.

١٣. استواء السر والجهر عند الله يسقط فكرة "المساحات الخاصة" التي قد يرتكب فيها الإنسان الظلم.

١٤. "المستخفي بالليل والسارب بالنهار" تعبير عن شمول الرقابة الإلهية لجميع حركات وسكنات البشر.

١٥. الربط بين "المقدار" (الكم) وبين "العلم" (الكيف) كأساس لبناء الوعي بالخلق.

١٦. إنكار البعث ليس مجرد فكرة، بل هو نكران للقدرة الإلهية المطلقة.

١٧. العلم المحيط بالأرحام يسبق وجود الإنسان، مما يعني أن الرعاية الإلهية تسبق الوعي البشري.

١٨. "الخلق الجديد" هو تأكيد على استمرارية الوجود الإنساني وعدم انتهائه بالتحلل المادي.

١٩. التذكير بالمغفرة "على ظلمهم" فتح لباب الأمل الدائم للتصحيح والعودة.

٢٠. استهزاء المنكرين بالعذاب هو نوع من الهروب النفسي من مواجهة الحقيقة.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بالبعث والنشور كجزء أصيل من العقيدة (الدليل: أإنا لفي خلق جديد).

٢. تحريم استعجال البلاء أو طلب الشر والفتنة (الدليل: ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة).

٣. لزوم الاكتفاء بالقرآن كآية ومعجزة عقلية وعدم ارتهان الإيمان بالخوارق (الدليل: إنما أنت منذر).

٤. وجوب مراقبة الله في السر والعلن استناداً لعلمه المحيط (الدليل: سواء منكم من أسر القول ومن جهر به).

٥. حرمة اليأس من روح الله مهما عظم الظلم بفضل سعة مغفرته (الدليل: لذو مغفرة للناس على ظلمهم).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الانضباط الكوني**: لا مجال للصدفة، فكل حدث محكوم بضوابط دقيقة (الأساس: وكل شيء عنده بمقدار).

٢. **قاعدة الشمول الرقابي**: الظلام والضياء سيان أمام العلم الإلهي (الأساس: مستخف بالليل وسارب بالنهار).

٣. **قاعدة التلازم التاريخي**: سنن الله في إهلاك الظالمين ثابتة ولا تتخلف (الأساس: وقد خلت من قبلهم المثلات).

٤. **قاعدة الوظيفة الرسالية**: الهداية وظيفة مستمرة لا تنقطع في تاريخ البشر (الأساس: ولكل قوم هاد).

٥. **قاعدة الأولوية الوجودية**: عظمة الخالق (الكبير المتعال) هي المرجع الذي تتقزم عنده كل القوى المادية.

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الرقابة الذاتية (النزاهة المطلقة)

- **حقيقته**: بناء ضمير إنساني يستشعر الرقابة في أدق الخصوصيات (السر، الاستخفاء بالليل)، مما يؤدي لسيادة الأمانة دون الحاجة لشرطي خارجي.

- **أصله:** قوله (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به)؛ وهذا يطور الإنسان ليكون نزيهاً في خلوته كما هو في علانيته، مما يرفع كفاءة النظم الأخلاقية في المجتمع.

٢. بُعد الدقة والنظام (منهجية المقاييس)

- **حقيقته:** ترسيخ مفهوم أن الوجود يقوم على "المقادير" (الرياضيات والنسب والكميات)، مما يحفز العقل على البحث عن هذه النسب في العلوم.
- **أصله:** قوله (وكل شيء عنده بمقدار)؛ وهذا يوجه البشرية نحو "الدقة" في الصناعة والإدارة والبحث العلمي، ورفض الفوضى والتقديرات العشوائية.

٣. بُعد التوازن النفسي (الرجاء والتحذير)

- **حقيقته:** تقديم منهج نفسي يجمع بين سعة التسامح (المغفرة) وبين الحزم (شديد العقاب)، مما يمنع التحلل الأخلاقي أو القنوط النفسي.
- **أصله:** قوله (لذو مغفرة للناس على ظلمهم.. وإن ربك لشديد العقاب)؛ وهذا يساعد في صياغة قوانين وضعية تجمع بين روح العدالة وإصلاح المجرم، وحماية المجتمع بالردع.

٤. بُعد الوعي بالتنوع الجنيني (الأساس الحيوي)

- **حقيقته:** لفت النظر إلى أدق تفاصيل الخلق البشري في بداياته، مما يمهد للعلوم الطبية المتعلقة بالأجنة والنمو.
- **أصله:** قوله (ما تغيض الأرحام وما تزداد)؛ وهذا يخدم الإنسان في تطوير الرعاية الصحية وتوقير الحياة في مراحلها الأولى، وفهم قوانين الزيادة والنقصان الحيوي.

٥. بُعد الهداية المستمرة (العالمية الثقافية)

- **حقيقته:** الاعتراف بأن كل تجمع بشري لديه مصدر للهداية والنور، مما يعزز فكرة المشترك الإنساني واحترام تجارب الشعوب الروحية.

- **أصله:** قوله (ولكل قوم هاد)؛ وهذا يمنح الإنسان رؤية حضارية منفتحة ترفض احتكار الحقيقة، وتؤمن بأن العدل الإلهي شمل جميع الأمم عبر التاريخ بمرشدين وقادة نحو الحق.

الحفظ الإلهي وسنة التغيير (١١-١٣)

النص القرآني:

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)

(سورة الرعد: ١١-١٣)

أولاً: مرحلة التيسير

({لَهُ مُعَقِّبَاتٌ} ملائكة يتناوبون على الإنسان، {مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} من أمامه ووراءه، {يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} بأمر الله وبإذنه من المكاره، {لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} من حال النعمة أو الشدة، {حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} بتبديل أحوالهم النفسية والعملية، {سُوءًا} عذاباً أو هلاكاً، {فَلَا مَرَدَّ لَهُ} لا رادّ لقضائه، {مِن وَالٍ} ناصر أو متولٍ لأمورهم يمنع عنهم الضر، {الْبَرْقَ خَوْفًا} خشية من الصواعق، {وَطَمَعًا} رجاءً في المطر، {يُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} يخلق الغيوم المحملة بالماء والخير، {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} ينطق الرعد بتنزيه الله والثناء عليه، {مِنْ خِيفَتِهِ} إجلالاً ورهبة، {شَدِيدُ الْمِحَالِ} قوي المكر أو شديد الكيد والقوة).

ثانياً: مرحلة النشر

لله ملائكة معقبات يتناوبون على الإنسان من أمامه ومن ورائه يحفظونه بأمر الله وبإذنه من المكاره، وإن الله لا يغير ما بقوم من حال حتى يبدأوا هم بتغيير ما بأنفسهم بتبديل أحوالهم النفسية والعملية، وإذا أراد الله بقوم عذاباً أو هلاكاً فلا رادّ لقضائه، وما لهم من دون الله من ناصر أو متولٍ لأمورهم يمنع عنهم الضر. وهو الذي يريكم البرق خشية من الصواعق ورجاءً في المطر ويخلق الغيوم المحملة بالماء والخير، وينطق الرعد بتنزيه الله والثناء عليه وتسبح الملائكة إجلالاً ورهبة منه، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يخاصمون ويجادلون في توحيد الله وهو شديد القوة والمكر بمن عصاه.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الرعاية الإلهية تحيط بالإنسان عبر "نظام تأمين" ملائكي غير مرئي (معقبات).

٢. "من أمر الله" تعني أن الحفظ والقدر كلاهما صادر عن مصدر واحد؛ فالقدر يُدفع بالقدر.

٣. التغيير المجتمعي والسياسي والكوني مرهون حصرياً بـ "التغيير النفسي والداخلي".

٤. الإنسان هو المسؤول الأول عن استنزال النعمة أو جلب النقمة بسلوكه (حتى يغيروا).

٥. إرادة الله في "السوء" للقوم هي نتيجة عادلة لرفضهم الإصلاح النفسي.

٦. غياب "الوالي" في الأزمات الكبرى هو انقطاع لأسباب النجاة الدنيوية عند حلول الغضب الإلهي.

٧. "البرق" يحمل ثنائية المشاعر (خوف وطمع)، مما يجسد قانون الاضطراب المحفز للخير.

٨. "السحاب الثقال" تعبير فيزيائي دقيق عن وزن الماء في الغيوم قبل هطوله.

٩. تسبيح الرعد هو انقياد كوني خاضع للقوانين الإلهية؛ فالصوت الكوني ثناء.

١٠. "خيفة الملائكة" إشارة إلى أن القرب من الله يزيد من استشعار هيبته وعظمته.

١١. الصواعق رسائل قدرية حادة تقع بمشيئة دقيقة لتنبيه الغافلين.

١٢. المفارقة الصارخة بين "تسبح الملائكة والرعد" وبين "وهم يجادلون"؛ الكون يسبح والمنكر يخاصم.

١٣. "شديد المحال" إشارة إلى أن المكر البشري يذوب في قوة الكيد الإلهي المحكم.

١٤. الحفظ الملائكي يمنح الإنسان مساحة من "الأمان المؤقت" للقيام بدوره قبل بلوغ الأجل.

١٥. النفس الإنسانية هي "المحرك المركزي" لكل الأحداث التاريخية والاجتماعية.

١٦. ظواهر الطبيعة (رعد وبرق) ليست صماء، بل هي أدوات "اتصال وتواصل" بين الخالق والخلق.

١٧. الربط بين "الحمد" و"الخوف" في تسبيح الكائنات يحقق التوازن الوجدي.

١٨. الإرادة الإلهية لا تُرد بالوسائل المادية إذا حان وقت الحساب (فلا مرد له).

١٩. "المعقبات" دلالة على الدقة الزمنية والتعاقب المنظم في الرقابة والحفظ.

٢٠. الجدال في الله وقت نزول الآيات الكونية (الصواعق) هو ذروة الغفلة والعناد البشري.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بعالم الغيب والملائكة الموكلين بحفظ الإنسان (الدليل: له معقبات).

٢. لزوم العمل النفسي والتربوي كشرط شرعي لتحقيق النهضة الجماعية (الدليل: حتى يغيروا ما بأنفسهم).

٣. حرمة المجادلة بالباطل في ذات الله وآياته عند وضوح البراهين (الدليل: وهم يجادلون في الله).

٤. وجوب استشعار الخوف والطمع عند مشاهدة الظواهر الكونية كنوع من العبادة (الدليل: يريكم البرق خوفاً وطمعاً).

٥. كراهية الغفلة عن التسبيح والذكر في مواطن الرهبة الكونية (الدليل: ويسبح الرعد بحمده).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الأولوية النفسية:** البناء الداخلي يسبق البناء الخارجي (الأساس: حتى يغيروا ما بأنفسهم).

٢. **قاعدة الحفظ الممنوح:** حياة الإنسان محمية بنظام كوني حتى يستوفي غرضه (الأساس: يحفظونه من أمر الله).

٣. **قاعدة حتمية الجزاء:** السلوك الجماعي يحدد المصير الجماعي (الأساس: وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له).

٤. **قاعدة الثنائية في الظواهر:** الضرر والنفع غالباً ما يجتمعان في أصل واحد (الأساس: خوفاً وطمعاً).

٥. **قاعدة الكيد المتفوق:** لا يحيق المكر السيء إلا بأهله أمام مكر الله المحكم (الأساس: وهو شديد المحال).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد المسؤولية الفردية والجماعية (سيكولوجية التغيير)

- **حقيقته:** تحويل بؤرة التغيير من "انتظار المعجزات" أو "إلقاء اللوم على الظروف" إلى "العمل الذاتي"؛ فالإصلاح يبدأ من القناعات والقيم النفسية.
- **أصله:** قوله (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)؛ وهذا يحرر المجتمعات من التواكل واليأس، ويجعل التطور رهيناً بالتعلم والنمو النفسي والأخلاقي.

٢. بُعد الأمن الروحي (نظام الحماية العالمي)

- **حقيقته:** غرس الطمأنينة في قلب الإنسان بأنه ليس وحيداً أو عرضة للمصادفات العابرة، بل هناك "معقبات" تحفظ توازنه الوجودي.

- **أصله:** قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه)؛ وهذا يمنح الإنسان الثقة لممارسة دوره في الأرض والبناء، لعلمه أن حياته مُصانة بأمر علوي إلى حين استيفاء المهمة.

٣. بُعد التفاعل مع البيئة (قراءة الطبيعة)

- **حقيقته:** النظر إلى الظواهر الطبيعية (برق، رعد، سحاب) كأدلة حيوية تستدعي التفكير العلمي والشعور الوجداني، وليس كمجرد حوادث فيزيائية صامتة.

- **أصله:** قوله (يريكم البرق خوفاً وطمعاً)؛ وهذا يطور علاقة "الاحترام" مع الطبيعة، ويحفز الإنسان على دراسة علوم المناخ والبيئة لاستباق المخاطر (الخوف) واستثمار الموارد (الطمع).

٤. بُعد التواضع الكوني (نفي الغطرسة)

- **حقيقته:** إدراك الإنسان لحجمه الحقيقي أمام القوى الكونية المسبحة (الرعد، الصواعق)، مما يكسر حدة "الغرور التكنولوجي" أو "الجدال العقيم".

- **أصله:** قوله (وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال)؛ وهذا يوجه البشرية نحو العقلانية والتواضع أمام القوانين الكونية الكبرى، ويمنع الانزلاق نحو الطغيان المبني على وهم القوة.

٥. بُعد الحتمية القانونية (عدالة القضاء)

- **حقيقته:** الإيمان بأن هناك لحظة تاريخية (إذا أراد الله بقوم سوءاً) لا تنفع فيها الدفاعات المادية إذا انحرف المجتمع عن مسار الفطرة والعدل.

- **أصله:** قوله (فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)؛ وهذا يرسخ في الوعي الحضاري ضرورة الالتزام بالقيم الأخلاقية كـ "درع حماية" أسمى من الترسانات العسكرية، لأن الانهيار القيمي يؤدي حتماً إلى انهيار مادي لا يُرد.

دعوة الحق وعجز الباطل (١٤–١٧)

النص القرآني:

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۖ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ (١٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧)

(سورة الرعد: ١٤–١٧)

أولاً: مرحلة التيسير

({لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} نداء التوحيد الصادق، {لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ} لا يحققون لهم نفعاً، {كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ} كمن يمد يده للماء من بعيد ليشرب، {لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ} لن يصل الماء لفتحة فمه بمجرد الإشارة، {فِي ضَلَالٍ} ضياع بلا فائدة، {طَوْعًا} باختيار ورضا، {وَكَرْهًا} خضوعاً اضطرارياً للقوانين الكونية، {بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} أول النهار وآخره، {أَوْلِيَاءَ} آلهة أو نصراء، {فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ} اختلط عليهم الأمر لظنهم أن شركاءهم يخلقون كخلق الله، {الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} المنفرد بالذات والغالب لكل شيء، {أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} بمقدار سعتها وحجمها، {زَبَدًا رَّابِيًا} رغوة طافية ومنتفخة، {حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ} زينة كذهب أو أدوات كحديد، {جُفَاءً} ضائعاً وهالكاً لا قيمة له، {فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} يبقى ويستقر لنفع الخلق).

ثانياً: مرحلة النشر

لله وحده نداء التوحيد الصادق، والذين يطلبون غيره لا يحققون لهم نفعاً أبداً، وحالهم كمن يمد يده للماء من بعيد ليشرب لن يصل الماء لفتحة فمه بمجرد الإشارة وما دعاء الكافرين إلا في ضياع بلا فائدة. ولله يخضع ويسجد كل من في السماوات والأرض باختيار ورضا أو خضوعاً اضطرارياً للقوانين الكونية، وتسجد ظلالهم تابعة لهم في أول النهار وآخره. قل يا محمد: من مالك السماوات والأرض؟ قل: هو الله، قل: أفاتخذتم من دونه نصراء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً؟ قل: هل يستوي الجاهل والمنكر مع المهتدي، أم هل تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلق الله فاختلط عليهم الأمر؟ قل: الله وحده خالق كل شيء وهو المنفرد بالذات والغالب لكل شيء. هو الذي أنزل من السماء مطراً فجرت مجاري المياه بمقدار سعتها وحجمها فحمل السيل رغوة طافية ومنتفخة فوق الماء، وكذا ما يوقدون عليه في النار من ذهب للزينة أو حديد للأدوات تخرج منه رغوة وشوائب مثلها، كذلك يوضح الله مثال الحق والباطل، فالشوائب تذهب ضائعة وهالكة لا قيمة لها، وأما ما ينفع الناس من الماء والمنفطرات فيبقى ويستقر في الأرض للنفع.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. "دعوة الحق" هي النداء الوحيد المتوافق مع الفطرة والواقع.

٢. التشبيه بـ "باسط كفيه للماء" يصور خيبة المسعى الذي يكتفي بالتمني دون العمل بالأسباب.

٣. "ضلال الدعاء" يعني انعدام الهدف والوجهة في الطلب من غير القادر.

٤. السجود "كرهاً" يمثل انقياد الخلايا والذرات والجسم المادي لقوانين الخالق رغماً عن جحود العقل.

٥. سجود "الظلال" إشارة إلى انقياد الأبعاد المادية والفيزيائية للحقائق الروحية.

٦. "الغدو والآصال" دلالة على استمرارية الخضوع الكوني عبر دورات الزمن.

٧. العجز عن جلب "النفع والضر" للذات هو أكبر برهان على عدم صلاحية المخلوق للألوهية.

٨. "الأعمى والبصير" تقابل معرفي بين من يبصر السنن الكونية ومن يعيش في عماية الجهل.

٩. استحالة تشابه الخلق (فتشابه الخلق عليهم) تنفي وجود أي شريك في الإبداع الكوني.

١٠. "الواحد القهار" تزاوج بين الوحدانية المعرفية والغلبة الوجودية.

١١. "فسالت أودية بقدرها" قانون السعة؛ فكل وعاء بشري أو مادي يأخذ من الحقيقة بمقدار استعداده.

١٢. "الزبد الرابي" يمثل الباطل في انتفاخه، وعلوه، وخفته، وعدم جذوره.

١٣. "ما ينفع الناس" هو المعيار الوحيد للبقاء والخلود في ميزان القيم الإلهية.

١٤. تشبيه الباطل بالشوائب المعدنية (مما يوقدون عليه) يوضح أن الاختبار (النار) هو الذي يميز الجوهر.

١٥. "جفاء الزبد" قانون التلاشي؛ فالباطل قد يعلو لكنه لا يستقر.

١٦. المطر (الوحي) ينزل للجميع، لكن الأودية (العقول) تتباين في استيعابه.

١٧. الربط بين "الحلية" (الجمال) و"المتاع" (المنفعة) كغايات للصناعة البشرية.

١٨. "الاستجابة" مرهونة بالقدرة، ومن لا يملك القدرة لا يملك الإجابة.

١٩. الحق هادئ ومستقر (يمكث)، والباطل صاخب ومضطرب (رابي).

٢٠. ضرب الأمثال وسيلة لتقريب المطلق إلى المقيد، والغيبي إلى المحسوس.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب إخلاص الدعاء والطلب لله وحده (الدليل: له دعوة الحق).

٢. لزوم الأخذ بالأسباب الحسية لنيل المطالب وعدم الاكتفاء بالتمني (الدليل: كباسط كفيه إلى الماء).

٣. وجوب الاعتراف بوحدانية الخالق بناءً على الانفراد بالخلق (الدليل: الله خالق كل شيء).

٤. ندبية التفكر في حركة الظلال وتعاقب الأوقات كفعل تعبدي (الدليل: وظلالهم بالغدو والآصال).

٥. مشروعية الانتفاع بالمعادن والصناعات لتوفير الزينة والمتاع (الدليل: ابتغاء حلية أو متاع).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة البقاء للأصلح**: النفع هو ضابط الاستمرار والخلود (الأساس: وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

٢. **قاعدة حتمية التلاشي**: الباطل مهما علا وانتفخ فمصيره الزوال (الأساس: فأما الزبد فيذهب جفاء).

٣. **قاعدة الاستيعاب المقدر**: الفيوضات واحدة، لكن القوابل تختلف (الأساس: فسالت أودية بقدرها).

٤. **قاعدة الانقياد الكوني**: لا أحد يخرج عن سلطان القوانين الإلهية في الجسد (الأساس: وله يسجد من في السماوات والأرض.. كرهاً).

٥. **قاعدة التمييز بالاختبار**: المحن والفتن (النار/السيل) هي التي تعزل الجوهر عن العرض (الأساس: كذلك يضرب الله الحق والباطل).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد النفعية الأخلاقية (فلسفة البقاء)

- **حقيقته:** ترسيخ معيار "النفع" كأساس لتقييم الأفكار والنظم والمشاريع؛ فالفكرة التي لا تخدم الإنسان ولا تعمر الأرض محكوم عليها بالتلاشي كـ "الزبد".
- **أصله:** قوله (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)؛ وهذا يوجه البشرية نحو الإنتاجية المثمرة والابتكار الذي يحل مشكلات البشر، بدلاً من الانشغال بالفقاعات الإعلامية أو الأيديولوجيات الجوفاء.

٢. بُعد الواقعية في الطلب (العمل لا التمني)

- **حقيقته:** نقد العقلية التي تنتظر النتائج دون سلوك المسارات الموصلة إليها، والتأكيد على أن الإشارة للماء لا تروي الظمأ.
- **أصله:** قوله (كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه)؛ وهذا يحرر المجتمعات من التواكل والوعود الزائفة، ويؤسس لثقافة "المسعى العملي" كطريق وحيد لتحقيق الأهداف.

٣. بُعد إدارة القدرات (الاستيعاب بـ "القدر")

- **حقيقته:** فهم أن المؤسسات والأفراد يختلفون في سعة استيعابهم للموارد والعلوم (الأودية)، مما يستوجب وضع كل مورد في مكانه المناسب لسعته.
- **أصله:** قوله (فسالت أودية بقدرها)؛ وهذا يفيد في الإدارة الحضارية من حيث تخصيص الموارد بناءً على الكفاءة والسعة الاستيعابية، لضمان عدم ضياع الخير أو فيضانه عما لا يحتمل.

٤. بُعد التطور الصناعي والجمالي (الحلية والمتاع)

- **حقيقته:** الإشارة إلى أهمية "التقنية" (الصهر بالنار) لاستخلاص المعادن النافعة وتطوير أدوات الحياة (المتاع) وجمالياتها (الحلية).

- **أصله:** قوله (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع)؛ وهذا يحفز البشرية على البحث العلمي في علوم المواد والتعدين، مع ربط الصناعة بالقيم الجمالية والنفعية معاً.

٥. بُعد التوحيد الكوني (الانسجام مع القوانين)

- **حقيقته:** إدراك أن الإنسان جزء من منظومة كونية ساجدة ومطيعة، مما يقلل من اغتراب الفرد ويجعله منسجماً مع حركة الوجود.

- **أصله:** قوله (ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً)؛ وهذا يمنح الإنسان توازناً نفسياً حين يعلم أن خلاياه وأعضاءه تتبع نظاماً إلهياً حكيماً، مما يدعو عقله ليتصالح مع هذا النظام (طوعاً) لتحقيق السلم الداخلي.

جزاء الاستجابة وعاقبة الإدبار (١٨–٢٤)

النص القرآني:

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨) ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)

(سورة الرعد: ١٨–٢٤)

أولاً: مرحلة التيسير

({الْحُسْنَىٰ} الجنة والمثوبة الفضلى، {لَافْتَدَوْا بِهِ} بذلوه ثمناً للنجاة من العذاب، {سُوءُ الْحِسَابِ} التدقيق والمناقشة في كل صغيرة وكبيرة، {الْمِهَادُ} المستقر والفراش، {أَعْمَىٰ} فاقد البصيرة والوعي، {أُولُو الْأَلْبَابِ} أصحاب العقول الصافية، {يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ} يلتزمون بالأوامر والفرائض، {الْمِيثَاقَ} العهد المؤكد، {يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ} كالأرحام والمودّة، {يَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} يدفعون القبيح بالجميل، {عُقْبَى الدَّارِ} العاقبة المحمودة في الآخرة، {جَنَّاتُ عَدْنٍ} إقامة دائمة، {وَمَن صَلَحَ} من صلح إيمانه وعمله).

ثانياً: مرحلة النشر

للذين استجابوا لربهم المثوبة الفضلى والجنة، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لبذلوه ثمناً للنجاة من العذاب، فأولئك لهم التدقيق والمناقشة في كل صغيرة وكبيرة ومستقرهم جهنم وبئس الفراش. أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك هو الصدق المطلق كمن هو فاقد البصيرة والوعي؟ إنما يتذكر أصحاب العقول الصافية الذين يلتزمون بالأوامر ولا ينقضون العهد المؤكد، والذين يصلون الأرحام والمودة ويخشون ربهم ويخافون سوء المناقشة في الحساب، والذين صبروا طلباً لمرضاة ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا من رزقهم في الخفاء والعلن ويدفعون القبيح بالجميل، أولئك لهم العاقبة المحمودة في الآخرة وهي جنات إقامة دائمة يدخلونها هم ومن صلح إيمانه وعمله من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يسلمون عليهم من كل باب قائلين: سلام عليكم بسبب صبركم فنعم العاقبة المحمودة.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الاستجابة هي الفعل المولد لـ "الحسنى"؛ فلا جزاء بلا تفاعل مع المصدر.

٢. فداء النفس بـ "ضعف ما في الأرض" يصور ضآلة الملك المادي أمام هول الحساب.

٣. "سوء الحساب" هو نتيجة طبيعية لعشوائية السلوك ونقض المواثيق في الدنيا.

٤. المقابلة بين "العلم بالحق" و"العمى" تلغي الحياد في القضايا المصيرية.

٥. "أولو الألباب" هم الفئة القادرة على تحويل الذكرى إلى سلوك عملي.

٦. "الوفاء بالعهد" هو الركيزة الأخلاقية الأولى في بناء الشخصية المؤمنة.

٧. "صلة ما أمر الله به" تشمل الروابط الإنسانية، العلمية، والروحية.

٨. "خشية الرب" تسبق "خوف الحساب"؛ فالإجلال يسبق الحذر من النتيجة.

٩. "الصبر ابتغاء وجه ربهم" يخرج الصبر من كونه اضطراراً إلى كونه فعلاً إرادياً هادفاً.

١٠. "الإنفاق سراً وعلانية" يغطي كافة الاحتياجات الاجتماعية ويحارب الأنانية.

١١. "درء السيئة بالحسنة" قمة الذكاء الاجتماعي والارتقاء النفسي.

١٢. "عقبى الدار" هي الجائزة الكبرى للاستقرار بعد رحلة العناء.

١٣. دخول "الصالحين من الأهل" يبرز قيمة التكافل الأسري الممتد لما بعد الموت.

١٤. استقبال الملائكة "من كل باب" تعبير عن الاحتفاء الكوني بالإنسان الناجح.

١٥. "سلام عليكم بما صبرتم" حصر لسبب الفوز في صفة "الصبر" المحورية.

١٦. الربط بين "إقامة الصلاة" و"الإنفاق" يحقق التوازن بين الحق الإلهي والحق البشري.

١٧. "عدن" تعني الثبات والخلود، وهو ما يفتقده الإنسان في دار الفناء.

١٨. "اللب" هو الجوهر الذي يدرك الحقائق وراء القشور المادية.

١٩. افتداء النفس بكل ما في الأرض دليل على أن القيمة الحقيقية للإنسان ليست فيما يملك.

٢٠. "بئس المهاد" تصوير للراحة المفقودة لمن عاش في قلق الباطل.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الاستجابة لأوامر الله ونواهيه لنيل المثوبة (الدليل: للذين استجابوا لربهم الحسنى).

٢. حرمة نقض المواثيق والعهود سواء مع الله أو مع البشر (الدليل: ولا ينقضون الميثاق).

٣. وجوب صلة الأرحام وكل ما أمر الله بوصله (الدليل: والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل).

٤. ندبية دفع الإساءة بالإحسان لإصلاح المجتمع (الدليل: ويدرءون بالحسنة السيئة).

٥. مشروعية الإنفاق في الخفاء والعلن حسب المصلحة (الدليل: وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الأهلية المعرفية**: الوعي بالحق ثمرة لتشغيل العقل الصافي (الأساس: إنما يتذكر أولو الألباب).

٢. **قاعدة الارتباط الأسري**: الصلاح الفردي يفيض خيراً على الدائرة المقربة (الأساس: ومن صلح من آبائهم وأزواجهم).

٣. **قاعدة الرد الوقائي**: التعامل بالحسنة هو السلاح الأقوى لإبطال أثر السوء (الأساس: ويدرءون بالحسنة السيئة).

٤. **قاعدة المشروطية الجزائية**: السلام النهائي هو ثمن الصبر الدنيوي (الأساس: سلام عليكم بما صبرتم).

٥. **قاعدة التلازم بين الإيمان والعمل**: لا يُكتفى بالعلم بل لا بد من الوفاء والصلة والإقامة (الأساس: الذين يوفون.. ويصلون.. وأقاموا).

---

١. بُعد الموثوقية التعاقدية (أخلاق الميثاق)

- **حقيقته:** بناء مجتمع يقوم على "الوفاء بالعهود"، وهي القيمة التي تضمن استقرار التجارة والقانون والروابط الدولية.
- **أصله:** قوله (يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق)؛ وهذا يمنح الحضارة مصداقية عالية، حيث تصبح الكلمة والعهد هي الضامن لحقوق الأفراد والجماعات.

٢. بُعد التماسك الاجتماعي (شبكة الصلات)

- **حقيقته:** تفعيل منظومة "الوصل" لكل الروابط الإنسانية، مما يقلل من نسب التفكك والعزلة في المجتمعات الحديثة.
- **أصله:** قوله (يصلون ما أمر الله به أن يوصل)؛ وهذا يؤسس لمجتمع "متشابك" يساند فيه القوي الضعيف ويُحفظ فيه حق القرابة، مما يخفف من الأزمات النفسية والاجتماعية.

٣. بُعد السلم المجتمعي (استراتيجية الدفع بالتي هي أحسن)

- **حقيقته:** تبني منهجية "امتصاص الغضب" وتحويل الصراع إلى صلح من خلال مقابلة الإساءة بالإحسان، مما يقطع دابر الانتقام.
- **أصله:** قوله (ويدرءون بالحسنة السيئة)؛ وهذا يقدم حلاً عملياً للصراعات البشرية، ويحول الأعداء إلى أصدقاء، ويقلل من مستويات العنف في البيئات المزدحمة.

٤. بُعد التكافل الاقتصادي الشامل (مرونة الإنفاق)

- **حقيقته:** تشجيع الحركة المالية من الغني إلى الفقير عبر مسارين (السر والعلن)، لضمان تلبية الحاجات النفسية (الكرامة) والحاجات التحفيزية (القدوة).
- **أصله:** قوله (وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية)؛ وهذا يضمن دورة اقتصادية رحيمة تحارب الفقر وتوفر الحماية الاجتماعية للفئات الهشة دون بيروقراطية معطلة.

٥. بُعد الاستمرارية الأسرية (الوحدة العابرة للزمن)

- **حقيقته:** تعزيز مفهوم الأسرة "الممتدة" التي يجمعها الصلاح والنجاح، مما يحفز الآباء على تربية الأبناء ويحفز الأبناء على البر بالآباء طمعاً في اللقاء الدائم.
- **أصله:** قوله (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم)؛ وهذا يعطي معنى أعمق للحياة الأسرية، ويجعل من البيت خلية بناء حضاري تتجاوز الجيل الواحد إلى ديمومة العطاء والسكينة.

نقض العهود ومفاتيح الرزق (٢٥–٢٧)

النص القرآني:

وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧)

(سورة الرعد: ٢٥–٢٧)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ}: أي يخالفون ما التزموا به مع الله من توحيد وطاعة وما عاهدوا عليه الخلق، {مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ}: أي بعد توثيقه وتأكيده بالوعود والأيمان الغليظة أو بالفطرة والعقل، {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ}: أي يقطعون الأرحام، ويفصمون روابط المودة، ويقطعون صلتهم بالمنهج الإلهي، {وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ}: أي بنشر الظلم، والصد عن الحق، وتدمير البيئة والمجتمع بالمعاصي، {أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ}: أي الطرد والإبعاد من رحمة الله في الدنيا والآخرة، {وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}: أي عاقبة الدار السيئة وهي جهنم بما فيها من شقاء، {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ}: أي يوسعه ويجعله كثيراً وفيراً، {لِمَن يَشَاءُ}: وفق حكمته ومشيئته التي قد تبتلي

بالغنى، {وَيَقْدِرُ}: أي يضيق الرزق ويقننه على من يشاء ابتلاءً له بالصبر، {وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا}: أي فرح المفسدون بما نالوه من متاعها فرح فخر وغرور غافلين عن زوالها، {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ}: أي عند مقارنتها بنعيم الآخرة وبقائها، {إِلَّا مَتَاعٌ}: أي شيء قليل، زائل، يتمتع به المسافر ثم يتركه، {لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ}: أي هلا جاء بمعجزة حسية خارقة للعادة نقترحها نحن، {يُضِلُّ مَن يَشَاءُ}: أي يترك من أعرض وعاند في تيهه، {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ}: أي يرشد ويوفق للحق من رجع إليه بقلبه واستسلم لأمره).

ثانياً: مرحلة النشر

والذين يخالفون ما التزموا به مع الله من توحيد وطاعة بعد توثيقه وتأكيده بالأيمان، ويقطعون الأرحام وروابط المودة التي أمر الله بها، وينشرون الظلم والفساد في الأرض، فأولئك مطرودون من رحمة الله ولهم عاقبة الدار السيئة في الآخرة. والله هو الذي يوسع الرزق ويوفر المال لمن يشاء، ويضيقه ويقننه على من يشاء وفق حكمته، وقد فرح هؤلاء المفسدون بمتاع الحياة الدنيا فرح غرور، وما هذه الدنيا عند مقارنتها بالآخرة إلا شيء قليل زائل. ويقول الجاحدون: هلا جاء هذا الرسول بمعجزة حسية خارقة نقترحها نحن، فقل لهم: إن الله يترك من أعرض في تيهه، ويرشد ويوفق للحق من رجع إليه بقلبه وأناب.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. نقض العهد بعد "الميثاق" يمثل أعلى درجات الخيانة المعرفية والأخلاقية.

٢. "القطع" هو السلوك العكسي لـ "الوصل"؛ فبينما يبني المؤمن الجسور، يهدم المفسد الروابط.

٣. الفساد في الأرض هو النتيجة الحتمية لقطع الروابط الإلهية والإنسانية.

٤. "اللعنة" ليست مجرد كلمة، بل هي حالة من "التيه الروحي" وفقدان التوفيق في الحياة.

٥. سعة الرزق (البسط) أو ضيقه (القدر) ليسا معياراً للرضا الإلهي، بل هما "أدوات اختبار".

٦. الفرح بالدنيا الذي يعمي عن الآخرة هو "فرح انحباس" في اللحظة الآنية الزائلة.

٧. وصف الدنيا بـ "المتاع" يحدد قيمتها الوظيفية كـ "وسيلة" لا كـ "غاية".

٨. اقتراح الآيات (المعجزات) هو هروب من مواجهة الحجة العقلية القائمة في القرآن.

٩. "الإنابة" هي المفتاح البشري الوحيد لاستنزال الهداية الإلهية.

١٠. الربط بين "سوء الدار" وبين "الفساد في الأرض" يؤكد عدالة الجزاء من جنس العمل.

١١. مشيئة الله في الإضلال مرتبطة باختيار الإنسان للإعراض (يضل من يشاء).

١٢. العلم بأن الله "يقدر" الرزق يمنع القلق الوجودي ويحارب الجشع.

١٣. الاستغراق في المادة يولد غشاوة تمنع رؤية الحقائق (وفرحوا بالحياة الدنيا).

١٤. "الميثاق" قد يكون فطرياً (العقل) أو تشريعياً (الرسالة)، ونقضه جناية في الحالتين.

١٥. الإفساد في الأرض يبدأ من "النفس" ثم ينتقل إلى "المجتمع" ثم "البيئة".

١٦. المقارنة بين الدنيا والآخرة هي مقارنة بين "النسبي" و"المطلق".

١٧. الإنكار بالرغم من وضوح الآيات هو مرض قلبي وليس نقصاً في الأدلة.

١٨. "الرجوع" (الإنابة) هو اعتراف ضمني بالحاجة إلى التوجيه العلوي.

١٩. الله يدير شؤون الاقتصاد الكوني (الرزق) لضبط التوازنات البشرية.

٢٠. عاقبة "اللعنة" تبدأ في الدنيا بفساد البال وتنتهي في الآخرة بسوء الدار.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. تحريم نقض العهود والمواثيق المؤكدة (الدليل: والذين ينقضون عهد الله).

٢. وجوب صلة الأرحام وحرمة القطيعة (الدليل: ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل).

٣. حرمة السعي بالفساد في الأرض بكافة أشكاله المادية والمعنوية (الدليل: ويفسدون في الأرض).

٤. وجوب الرضا بقدر الله في الرزق سعتاً وضيقاً (الدليل: الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر).

٥. لزوم الإنابة والرجوع لله كشرط لنيل الهداية (الدليل: ويهدي إليه من أناب).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الأمانة التعاقدية:** استقرار المجتمعات مرهون بالوفاء بالمواثيق (الأساس: من بعد ميثاقه).

٢. **قاعدة الابتلاء بالمال:** الغنى والفقر توزيعات إلهية لتمحيص النفوس (الأساس: يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر).

٣. **قاعدة ضآلة المادة:** القيمة الحقيقية للأشياء تظهر عند مقارنتها بالغايات الخالدة (الأساس: وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع).

٤. **قاعدة الاستحقاق الهدائي:** الهداية ثمرة للطلب والتوجه النفسي (الأساس: ويهدي إليه من أناب).

٥. **قاعدة الجزاء الملازم:** من أفسد علاقاته (الوصل) أفسد حياته (الدار) (الأساس: ويقطعون.. ويفسدون.. لهم اللعنة).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الاستقامة البنيوية (تماسك النسيج الاجتماعي)

- **حقيقته:** التحذير من "القطع" و"النقض" كمعاول لهدم المجتمع؛ فالمجتمع الذي لا يفي بمواثيقه ويقطع أرحامه هو مجتمع آيل للسقوط الأخلاقي والمادي.

- **أصله:** قوله (ينقضون عهد الله.. ويقطعون)؛ وهذا يخدم الإنسان في بناء "رأس مال اجتماعي" يقوم على الثقة والترابط، وهو أساس أي نهضة اقتصادية أو سياسية.

٢. بُعد التوازن الاقتصادي (سيكولوجية الوفرة والندرة)

- **حقيقته:** تحرير الإنسان من "عبودية الرزق" ومنحه توازناً نفسياً في حالتي الغنى والفقر، مما يمنع الجريمة الناتجة عن الحاجة، ويمنع الطغيان الناتج عن الوفرة.
- **أصله:** قوله (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر)؛ وهذا يوجه البشرية نحو إدارة الموارد بروح "الاستخلاف" لا بروح "التملك المطلق"، مما يقلل من حدة الصراعات المادية.

٣. بُعد الوعي القيمي (تصحيح معايير النجاح)

- **حقيقته:** إعادة تعريف "السعادة"؛ فالفرح بالدنيا فقط هو فرح منقوص وقصير المدى، بينما النجاح الحقيقي هو الذي يتصل بالغاية الكبرى (الآخرة).
- **أصله:** قوله (وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا.. إلا متاع)؛ وهذا يمنع الإنسان من الانزلاق في مستنقع "المادية المفرطة" التي تستهلك روحه، ويشجعه على الاستمتاع بالحياة كـ "متاع" هادف وليس كـ "سجن" مادي.

٤. بُعد الهداية التفاعلية (المبادرة الفردية)

- **حقيقته:** التأكيد على أن "الحقيقة" ليست شيئاً يُفرض قسراً بالمعجزات، بل هي استجابة لقلب "منيب" باحث عن الحق.
- **أصله:** قوله (يهدي إليه من أناب)؛ وهذا يكرس قيمة "الحرية الفكرية" والمسؤولية الشخصية عن البحث عن اليقين، ويرفض عقلية "الانتظار السلبي" للمعجزات لتغيير القناعات.

٥. بُعد مكافحة الفساد الشامل (الوقاية الحضارية)

- **حقيقته:** الربط الجوهري بين "الفساد في الأرض" وبين "اللعنة" (الإبعاد عن النجاح الحقيقي)، مما يجعل مكافحة الفساد ضرورة وجودية لا مجرد خيار قانوني.

- **أصله:** قوله (ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة)؛ وهذا يرسخ في الوعي الجمعي أن الإفساد (سواء كان بيئياً، إدارياً، أو أخلاقياً) هو طريق مسدود يؤدي لخراب "الدار" الكبرى، مما يحفز على "الإصلاح" كفعل يومي.

طمأنينة القلوب وعظمة القرآن (٢٨–٣١)

النص القرآني:

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩) كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)

(سورة الرعد: ٢٨–٣١)

أولاً: مرحلة التيسير

({الَّذِينَ آمَنُوا}: أي صدقوا بقلوبهم وأقروا بتوحيد ربهم، {وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم}: أي تسكن وتستقر وتزول عنها الحيرة والقلق، {بِذِكْرِ اللَّهِ}: أي بذكر أسمائه وصفاته وتلاوة كتابه واستحضار عظمته، {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}: تنبيه وتأكيد على أن هذا هو الطريق الوحيد والحصري للسكون النفسي الحقيقي، {طُوبَىٰ لَهُمْ}: أي لهم العيش الطيب، والراحة، والجنة، وقيل هي شجرة في الجنة، {وَحُسْنُ مَآبٍ}: أي مرجع ومصير جميل عند الله، {أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ}: أي مضت وانقضت من قبلها جماعات، {لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ}: أي لتقرأ وتبلغهم الوحي، {يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ}: أي يجحدون بصفة الرحمة الواسعة التي شملتهم، {مَتَابِ}: أي مرجعي وتوبتي وإنابتي،

{سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ}: أي زحزحت عن أماكنها بقوته، {قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ}: أي شققت فجعلت أنهاراً أو طويت مسافاتها، {كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ}: أي نطقوا بعد مواتهم من عظمة تأثيره، {أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا}: أي أفلم يعلم ويتبين المؤمنون ويقطعوا طمعهم في إيمان المعاندين، {قَارِعَةٌ}: أي داهية أو مصيبة شديدة تقرعهم وتنبههم أو تهلكهم، {تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ}: أي تنزل المصائب في جيرانهم لعلهم يعتبرون، {وَعْدُ اللَّهِ}: أي النصر الموعود أو يوم القيامة).

ثانياً: مرحلة النشر

الذين صدقوا بقلوبهم وأقروا بتوحيد ربهم تسكن وتستقر نفوسهم وتزول حيرتهم بذكر الله واستحضار عظمته، فبذكر الله وحده تطمئن القلوب. والذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح لهم العيش الطيب والجنة ومصير جميل عند الله. وكما أرسلنا الرسل من قبلك، أرسلناك في أمة مضت قبلها أمم لتقرأ عليهم ما أوحينا إليك من القرآن وهم يجحدون بصفة الرحمة الواسعة، فقل لهم: هو ربي المنفرد بالألوهية، عليه اعتمدت وإليه مرجعي وتوبتي. ولو كان هناك كتاب تزال به الجبال عن أماكنها أو تشق به الأرض أو يحيى به الموتى لكان هذا القرآن لعظمته، لكن الأمر كله لله وحده، أفلم يعلم المؤمنون ويقطعوا طمعهم في إيمان هؤلاء لعلمهم أن الله لو أراد لهدى الناس جميعاً، ولا تزال المصائب الشديدة تنزل بالجاحدين بسبب ما صنعوا أو تنزل قريباً من ديارهم ليعتبروا حتى يأتي نصر الله ووعده الحق، إن الله لا يخلف ميعاده.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الطمأنينة هي أسمى مراتب الصحة النفسية، ومصدرها الاتصال بالمطلق (الذكر).

٢. حصر الطمأنينة في "ذكر الله" دلالة على أن المادة مهما كثرت لا تشبع جوع الروح.

٣. "طوبى" تعبر عن السعادة الشاملة التي تبدأ من الدنيا وتمتد للآخرة.

٤. إقران الإيمان بالعمل الصالح (وعملوا الصالحات) شرط لتحول "المآب" من حال إلى حال أفضل.

٥. "الرحمن" اسم اختاره النص لبيان فداحة الكفر؛ فهم يكفرون بمن يفيض عليهم بالرحمة.

٦. التوكل والإنابة (عليه توكلت وإليه متاب) هما جناحا العبودية الحقة.

٧. القرآن يمتلك "طاقة تغييرية" لو قدرت لغيرت فيزياء الكون (تسيير الجبال).

٨. عجز البشر عن الاستجابة للقرآن ليس لنقص في طاقته، بل لانغلاق في مستقبلاتهم.

.. "يأس المؤمنين" من هداية المعاندين هو وعي بسنة "الاختيار البشري" والمشيئة الإلهية.

١٠. "القوارع" ليست مجرد انتقام، بل هي رسائل تنبيه كونية (بما صنعوا).

١١. نزول المصيبة "قريباً من الدار" فرصة تربوية للاعتبار بغيرنا قبل أن تحل بنا.

١٢. ذكر الله يشمل الذكر اللساني، والتدبري، واستشعار الرقابة في كل فعل.

١٣. "حسن مآب" توحي بالرجوع إلى الموطن الأصلي للإنسان بسلام وكرامة.

١٤. الرسالة المحمدية ليست بدعاً من الأمر، بل هي حلقة في سلسلة أمم "قد خلت".

١٥. "بل لله الأمر جميعاً" قاعدة لكسر حدة التطلع للمعجزات المادية؛ فالقرار إلهي بامتياز.

١٦. الثبات على التوحيد في وجه الجحود يتطلب إعلاناً صريحاً للقناعة (قل هو ربي).

١٧. الربط بين "الصناعة البشري" (بما صنعوا) وبين "النتيجة القدرية" (قارعة).

١٨. الإيمان بالله يمنح الإنسان "مرونة نفسية" أمام تقلبات الحياة.

١٩. الله لا يحتاج لمعجزات قسرية لهداية الناس؛ فالهداية الحقيقية تنبع من الاقتناع.

٢٠. اليقين بـ "وعد الله" هو الذي يثبت المؤمنين وقت نزول القوارع بغيرهم.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب تعاهد القلب بذكر الله لتحقيق السكينة النفسية (الدليل: ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

٢. لزوم الجمع بين الاعتقاد القلبي والجهد البدني لنيل رغد العيش (الدليل: آمنوا وعملوا الصالحات).

٣. وجوب التوكل على الله وحده في مواجهة تكذيب المعارضين (الدليل: عليه توكلت).

٤. تحريم اليأس من عدالة الله وتصديق ميعاده مهما تأخر النصر (الدليل: إن الله لا يخلف الميعاد).

٥. مشروعية الاعتبار بما يحل بالآخرين من أزمات لتصحيح المسار الخاص (الدليل: أو تحل قريباً من دارهم).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الأثر النفسي للوحي**: القرآن هو المهدئ الأكبر للاضطرابات الروحية (الأساس: تطمئن قلوبهم).

٢. **قاعدة المشيئة والحكمة**: الهداية فعل إرادي بشري وتوفيق إلهي لا يُفرض قسراً (الأساس: لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً).

٣. **قاعدة السببية في البلاء**: المصائب العامة لها جذور في سلوكيات الأفراد والأمم (الأساس: تصيبهم بما صنعوا).

٤. **قاعدة الثبات على المبدأ**: الداعية يواجه الجحود بمزيد من الإقرار بالربوبية (الأساس: قل هو ربي لا إله إلا هو).

٥. **قاعدة العظمة الذاتية للنص:** قوة القرآن نابعة من ذاته لا من استجابة الناس له (الأساس: ولو أن قرآناً سيرت به الجبال).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الاستقرار النفسي (الأمن الروحي)

- **حقيقته:** تقديم علاج جذري للقلق المعاصر (Anxiety) من خلال "الذكر"؛ فربط المحدود (الإنسان) بالمطلق (الله) يمنحه سكوناً لا تزعزعه عوارض الدنيا.
- **أصله:** قوله (تطمئن قلوبهم بذكر الله)؛ وهذا يخدم الإنسان في بناء "صلابة نفسية" تجعله منتجاً ومبدعاً حتى في ظل الأزمات، لأن قلبه موصول بمصدر القوة والسكينة.

٢. بُعد الجودة الحياتية (مفهوم طوبى)

- **حقيقته:** التأكيد على أن الحياة "الطيبة" (الرفاه الحقيقي) هي ثمرة لثنائية "الإيمان والعمل"؛ فالنمو المادي بلا إيمان هو رفاه منقوص، والإيمان بلا عمل هو تنظير معطل.
- **أصله:** قوله (آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم)؛ وهذا يوجه البشرية نحو "التنمية الشاملة" التي تزاوج بين القيم الروحية والرفاه المادي لتحقيق السعادة القصوى.

٣. بُعد الوعي التاريخي والاجتماعي (الاعتبار بالغير)

- **حقيقته:** ترسيخ مبدأ المراقبة والتحليل لما يحدث في "المجتمعات المجاورة" لاستنتاج القوانين التي تؤدي للانهيار أو النهوض.
- **أصله:** قوله (أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله)؛ وهذا يطور في الإنسان "الحس التاريخي" والوقائي، فيجعل من أزمات الآخرين "دروساً تعليمية" (Lessons Learned) تمنعه من تكرار ذات الأخطاء الصانعة للانهيار.

٤. بُعد القوة التأثيرية للفكر (سلطة الكلمة)

- **حقيقته:** بيان أن "الكلمة والحق" يمتلكان طاقة تفوق طاقة الطبيعة (تسيير الجبال)، مما يعلي من شأن الثقافة والوحي في بناء الحضارة.
- **أصله:** قوله (ولو أن قرآناً سيرت به الجبال)؛ وهذا يحفز البشرية على استمداد قوتها من "الأفكار والمبادئ" السامية، واعتبارها المحرك الحقيقي لتغيير الواقع الجغرافي والبشري.

٥. بُعد المسؤولية عن الأفعال (قانون القارعة)

- **حقيقته:** ربط الكوارث بـ "الصناعة البشرية" (بما صنعوا)، وهو ما يتفق مع المنطق العلمي الحديث في أن سوء إدارة الموارد والظلم يؤدي لانهيارات بيئية واجتماعية.
- **أصله:** قوله (تصيبهم بما صنعوا قارعة)؛ وهذا يرسخ مبدأ "المسؤولية الأخلاقية" في ممارسة السلطة والعلم، ويحذر من أن العبث بالسنن الكونية والاجتماعية سيؤدي حتماً إلى قوارع تصيب الاستقرار الحضاري.

الاستهزاء بالرسل وعاقبة المكر (٣٢–٣٥)

النص القرآني:

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤) ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)

(سورة الرعد: ٣٢–٣٥)

أولاً: مرحلة التيسير

({اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ}: السخرية، {فَأَمْلَيْتُ}: أمهلتُ وأطلتُ لهم المدة، {أَخَذْتُهُمْ}: عاقبتُهم، {عِقَابِ}: نكالي وعذابي، {قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ}: حفيظٌ ورقيبٌ ومدبرٌ، {بِمَا كَسَبَتْ}: ما عملتْ وفعلتْ، {سَمُّوهُمْ}: اذكروا أسماءهم وصفتهم، {تُنَبِّئُونَهُ}: تخبرونه، {بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ}: قولٌ باطل بلا حقيقة، {زُيِّنَ}: حُسِّنَ في أعينهم، {مَكْرُهُمْ}: كيدهم وخداعهم، {صُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ}: مُنعوا وصُرفوا عن الطريق، {هَادٍ}: مرشد وموفق، {أَشَقُّ}: أشد وأصعب، {وَاقٍ}: دافع أو مانع يحميهم، {الْمُتَّقُونَ}: الذين اتقوا العذاب والشرك، {أُكُلُهَا دَائِمٌ}: ثمارها لا تنقطع، {عُقْبَى}: عاقبة ومصير).

ثانياً: مرحلة النثر

ولقد حدثت السخرية برسل من قبلك فأمهلتُ وأطلتُ المدة للذين كفروا ثم عاقبتُهم فكيف كان نكالي وعذابي؟ أفمن هو حفيظ ورقيب ومدبر لكل نفس بما عملت وفعلت كغيره؟ وقد جعلوا لله شركاء فقل لهم اذكروا أسماءهم وصفتهم، أم تخبرونه بما لا يعلم في الأرض أم تقولون قولاً باطلاً بلا حقيقة، بل حُسِّنَ في أعين الذين كفروا كيدهم وخداعهم وصُرفوا عن الطريق، ومن يضلله الله فما له من مرشد وموفق. لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأصعب وما لهم من الله من دافع أو مانع يحميهم. وصورة الجنة التي وُعد بها الذين اتقوا العذاب والشرك تجري من تحتها الأنهار ثمارها لا تنقطع وظلها باقٍ، تلك عاقبة ومصير الذين اتقوا وعاقبة الكافرين النار.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الاستهزاء بالمنهج الحق ظاهرة تاريخية متكررة لا تضعف من قيمة النص.

٢. "الإملاء" (الإمهال) استدراج قد يظنه الظالم تمكيناً وهو مقدمة للأخذ.

٣. "القيومية" تعني الإحاطة الكاملة بالفعل البشري (بما كسبت) والجزاء عليه.

٤. عجز المشركين عن "التسمية" الواصفة لشركائهم برهان على عدم وجود حقيقة لمعبوداتهم.

٥. "ظاهر القول" هو الحديث السطحي الذي لا يستند إلى برهان أو حقيقة موضوعية.

٦. تزيين المكر هو أخطر مراحل الضلال؛ حيث يرى المخطئ خطأه كمالاً.

٧. "الصد عن السبيل" نتيجة حتمية للانغماس في التزيين الباطل.

٨. عذاب الدنيا (القلق، الهزيمة، الشقاء) هو نموذج مصغر لعذاب الآخرة "الأشق".

٩. "الوقاية" من الله مستحيلة إذا وجب الحساب؛ فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

١٠. صفة "الدوام" في أكل الجنة وظلها تميزها عن لذات الدنيا المنقطعة.

١١. الربط بين "التقوى" و"الأكل الدائم والظل" يوضح التناسب بين كبح الشهوات والنعيم.

١٢. "الأخذ" الإلهي يتناسب في شدته مع فترة "الإملاء" الممنوحة.

١٣. التساؤل عن "كيف كان عقاب" دعوة لاستقراء التاريخ والاعتبار بالمصائر.

١٤. نفي العلم الإلهي بوجود شركاء (بما لا يعلم) هو نفي لوجودهم أصلاً.

١٥. الضلال هنا عقوبة على المكر المزين، وليس فعلاً ابتدائياً من الخالق.

١٦. المشقة في الآخرة روحية وجسدية (أشق) تتجاوز قدرة الاحتمال البشري.

١٧. "ظل الجنة" يرمز للسكينة والحماية من هجير العناء الوجودي.

١٨. "تلك عقبى" إشارة للنتيجة النهائية التي تغلق ملفات الصراع الدنيوي.

١٩. الجنة ليست مجرد مكان، بل هي "وعد" لمن اتقى، ومسؤولية قائمة على العمل.

٢٠. استواء الرقابة على "كل نفس" يحقق العدالة المطلقة التي لا يغيب عنها كسب واحد.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. حرمة الاستهزاء بالرسل والشرائع والمصلحين (الدليل: ولقد استهزئ برسل).

٢. وجوب الحذر من الاغترار بإمهال الله للظالمين (الدليل: فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم).

٣. لزوم إقامة الحجة العقلية والبرهان على صحة الأفكار والاعتقادات (الدليل: قل سموهم).

٤. وجوب التقوى كسبيل وحيد للنجاة من النار ونيل النعيم المقيم (الدليل: تلك عقبى الذين اتقوا).

٥. تحريم المكر والكيد بالحق واعتباره سبباً في الصد عن سبيل الله (الدليل: زين للذين كفروا مكرهم).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الاستدراج الزماني:** التأخير في العقوبة ليس إهمالاً بل إمهالاً (الأساس: فأمليت.. ثم أخذت).

٢. **قاعدة بطلان ما لا حقيقة له:** كل ادعاء يفتقر للتسمية والوصف الموضوعي هو باطل (الأساس: قل سموهم).

٣. **قاعدة الانعكاس النفسي:** المفسد يرى إفساده إصلاحاً بسبب التزيين الداخلي (الأساس: زين للذين كفروا مكرهم).

٤. **قاعدة الاستمرارية الجزائية:** نعيم الحق دائم لا انقطاع فيه (الأساس: أكلها دائم وظلها).

٥. **قاعدة المسؤولية الفردية:** الجزاء مرتبط بمقدار الكسب الفردي (الأساس: قائم على كل نفس بما كسبت).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الرقابة الوجودية (الشفافية المطلقة)

- **حقيقته:** ترسيخ فكرة أن كل كسب بشري (اقتصادي، سياسي، أخلاقي) مرصود بدقة، مما ينمي النزاهة في غياب الرقابة البشرية.
- **أصله:** قوله (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت)؛ وهذا يمنح الحضارة أفراداً يراقبون أنفسهم ذاتياً، مما يقلل من تكلفة الضبط القانوني ويزيد من جودة المخرجات الإنسانية.

٢. بُعد الأمن الفكري (محاربة الزيف)

- **حقيقته:** نقد الأفكار القائمة على "ظاهر القول" دون جوهر حقيقي، ومطالبة الخصوم بتعريف مصطلحاتهم وكياناتهم بوضوح.
- **أصله:** قوله (قل سموهم.. أم بظاهر من القول)؛ وهذا يؤسس لنهضة فكرية تقوم على "البرهان" و"المصداقية"، ويرفض التضليل الإعلامي أو السياسي الذي يعتمد على الشعارات الجوفاء.

٣. بُعد الاستقرار النفسي (مفهوم الدوام)

- **حقيقته:** توجيه الطموح البشري نحو الغايات "الدائمة" وليس "الزائلة"، مما يقلل من القلق المرتبط بفقدان المكتسبات المادية في الدنيا.
- **أصله:** قوله (أكلها دائم وظلها)؛ وهذا يمنح الإنسان توازناً في التعامل مع موارد الأرض، فلا يستميت عليها بظلم، لعلمه أن النعيم الحقيقي هو الذي يتصف بالديمومة والاستقرار.

٤. بُعد العدالة التاريخية (الاعتبار بالمصائر)

- **حقيقته:** النظر في مآلات الأمم السابقة التي استهزأت بالقيم الكبرى، لإدراك أن القوة المادية لا تمنع سقوط الحضارات إذا فقدت روحها الأخلاقية.
- **أصله:** قوله (فكيف كان عقاب)؛ وهذا يزود القادة والمفكرين بـ "رؤية استراتيجية" تحذر من الغرور بالقوة الممنوحة (الإملاء)، وتدعو للالتزام بالحق كضمانة للبقاء.

٥. بُعد الوقاية المجتمعية (منهج التقوى)

- **حقيقته:** جعل "التقوى" (وهي الكبح الواعي للنزوات والشرور) معياراً للعاقبة المحمودة للمجتمع، مما يضمن استمرارية "الظل" الحضاري الوارف.
- **أصله:** قوله (تلك عقبى الذين اتقوا)؛ وهذا يحول التقوى من مفهوم فردي إلى "مشروع مجتمعي" يهدف لحماية الإنسان من "النار" الاجتماعية (النزاعات والانهيارات) وإيصاله إلى "جنة" الاستقرار والرخاء.

الاستمساك بالوحي ومواجهة الأحزاب (٣٦–٣٩)

النص القرآني:

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)

(سورة الرعد: ٣٦–٣٩)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ}: المنصفون من أهل الكتب السابقة يبتهجون بالقرآن لموافقته ما عندهم، {وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ}: وطوائف المعاندين يجحدون أجزاءً

منه، {قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ}: مأمور بالتوحيد الخالص ونبذ الشركاء، {إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ}: ندائي لله وحده ومرجعي إليه، {وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا}: أنزلناه شريعة ومنهاجاً بلسان عربي مبين، {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ}: لو ملت لميولهم بعد يقين الوحي، {مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ}: لن تجد ناصراً أو حامياً من الله، {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً}: الرسل بشر لهم عائلات وليسوا ملائكة، {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}: المعجزات بمشيئة الخالق لا بمقترح البشر، {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}: لكل وقت حدث مكتوب وقضاء مقدر، {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ}: ينسخ الأحكام أو الأقدار ويقرر ما يريد، {وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}: أصل العلم واللوح المحفوظ الذي لا يتبدل).

ثانياً: مرحلة النشر

والذين أعطيناهم الكتب السابقة يبتهجون بما أُنزل إليك لموافقته للحق، ومن طوائف المعاندين من يجحدون بعض ما في القرآن، فقل لهم: إنما كُلفت بتوحيد الله وعدم الإشراك به، فإليه وحده أوجه دعوتي وإليه مرجعي. وكما أرسلنا قبلك أرسلنا هذا القرآن شريعة ومنهاجاً بلسان عربي مبين، ولو ملت لميول هؤلاء وأهوائهم بعد ما وصلك من العلم اليقيني، فلن تجد لك من الله ناصراً ينصرك أو حامياً يحميك. ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً من البشر وجعلنا لهم زوجات وأبناء، وما كان لأي رسول أن يأتي بمعجزة من تلقاء نفسه بل بإذن الله وحده، فلكل وقت زمانه ولكل حدث حكمه المكتوب. يبدل الله ما يشاء من أحكام وأقدار ويقر ما يشاء، وعنده وحده أصل العلم والكتاب الثابت الذي لا يتبدل.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الفرح بالوحي علامة على سلامة الفطرة والارتباط بالأصل المعرفي الواحد للرسالات.

٢. "الأحزاب" يمثلون العقلية الجمعية المنغلقة التي تعادي الحق دفاعاً عن مصالحها.

٣. حصر المهمة في "العبادة وترك الشرك" يقطع الطريق على الجدال الفرعي العقيم.

٤. وصف القرآن بـ "الحكم" يشير إلى وظيفته السيادية والتنظيمية في حياة البشر.

٥. استخدام "العربي" للبيان يبرز أهمية اللغة كوعاء للأفكار والتشريعات.

٦. "العلم" هو الحصن الذي يحمي القادة والمفكرين من الانزلاق خلف "الأهواء" الشعبوية.

٧. تجريد الرسل من صفات الألوهية (أزواجاً وذرية) يرسخ مفهوم "البشرية الملهمة".

٨. ارتهان الآية (المعجزة) بالإذن الإلهي يحرر الرسالة من مطالب التحدي المادي المستمر.

٩. "لكل أجل كتاب" قانون ينظم التوقعات البشرية؛ فلكل تغير زمانه الخاص.

١٠. "المحو والإثبات" يمثل مرونة التشريع والقدر الإلهي في مقابل ثبات "أم الكتاب".

١١. التحذير من اتباع الأهواء موجه للأمة في شخص نبيها، تعظيماً للمسؤولية.

١٢. "المآب" الفردي هو الدافع الأكبر للثبات على المبدأ (إليه أدعو وإليه مآب).

١٣. القرآن ليس نصاً أدبياً فحسب، بل هو "مرجع قانوني" (حكماً).

١٤. اعتراف أهل الكتاب بالقرآن هو "شهادة تاريخية" على وحدة المصدر.

١٥. لا "ولاية" ولا "وقاية" لمن يفرط في العلم اليقيني اتباعاً للمصالح العابرة.

١٦. الزوجة والذرية للرسل تأكيد على أن الدين لا يصادم الفطرة الاجتماعية.

١٧. العلم المحيط (أم الكتاب) هو المرجع النهائي الذي تنتهي عنده كل التغيرات.

١٨. الإيمان بـ "القدر المكتوب" يطفئ نار الاستعجال في تحقيق النتائج.

١٩. إنكار "البعض" من الوحي هو مدخل لنقض "الكل" في الفكر المنحرف.

٢٠. التوحيد الخالص هو "الجوهر" الذي لا يقبل المساومة مهما كانت الضغوط.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب التمسك بالعلم اليقيني وحرمة اتباع الأهواء المخالفة للحق (الدليل: ولئن اتبعت أهواءهم).

٢. لزوم إخلاص العبادة لله وحده ونبذ كافة أشكال الشرك (الدليل: أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به).

٣. وجوب الإيمان ببشرية الرسل وعدم إخراجهم عن حدود الطبيعة البشرية (الدليل: جعلنا لهم أزواجاً وذرية).

٤. مشروعية نسخ الأحكام أو تبديل الأقدار حسب المشيئة الإلهية (الدليل: يمحو الله ما يشاء ويثبت).

٥. لزوم الرجوع إلى القرآن كمرجع في الحكم والتشريع (الدليل: أنزلناه حكماً عربياً).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة المرجعية العلمية**: العلم هو الضابط للسلوك، والأهواء هي المفسدة له (الأساس: بعد ما جاءك من العلم).

٢. **قاعدة الوظيفة الاجتماعية للدين**: التدين لا يقتضي الانقطاع عن الحياة الأسرية (الأساس: وجعلنا لهم أزواجاً وذرية).

٣. **قاعدة التوقيت القدري**: الأحداث مرتبطة بأزمانها المقدرة لا برغبات البشر (الأساس: لكل أجل كتاب).

٤. **قاعدة الثبات والتحول**: في الوجود متغيرات محكومة بمشيئة الله وثوابت محفوظة عنده (الأساس: يمحو الله ما يشاء ويثبت).

٥. **قاعدة الولاية المشروطة**: نصرة الله وحمايته مرهونة بالاستقامة على منهجه (الأساس: ما لك من الله من ولي ولا واق).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد السيادة التشريعية (الحكم العربي)

- تقديم القرآن كمنظومة "حكم" قادرة على فض النزاعات وتنظيم شؤون الحياة بلغة واضحة، مما يؤسس لمفهوم "دولة القانون" المبني على الوحي.

٢. بُعد التوازن الفطري (قدوة البشرية)

- نزع صفة الأساطير عن القادة الروحيين وتصويرهم في سياقهم الإنساني الطبيعي (أزواج وذرية)، مما يسهل عملية الاقتداء والانسجام الاجتماعي.

٣. بُعد الحماية من الضغط الجمعي (مقاومة الأهواء)

- تحصين المصلحين والمفكرين من الخضوع لضغوط "الأحزاب" أو التيارات الغوغائية إذا كانت تخالف العلم الثابت والحق اليقيني.

٤. بُعد المرونة والاستقرار (فلسفة المحو والإثبات)

- الاعتراف بأن الحياة تتطلب تغييراً في الوسائل والتشريعات الظرفية (المحو والإثبات) مع الاستناد المرجعي الدائم إلى قيم ثابتة (أم الكتاب).

٥. بُعد الانفتاح المعرفي (الفرح بلقاء الحق)

- تشجيع روح الإنصاف والاعتراف بالحق لدى الآخر، واعتبار التوافق المعرفي بين الوحي والعلم والكتب السابقة سبباً للبهجة والتعاون الإنساني.

وعيد المكذبين وشهادة الله (٤٠-٤٣)

النص القرآني:

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)

(سورة الرعد: ٤٠-٤٣)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ}: إن أظهرنا لك في حياتك ما توعدناهم به من عقاب، {أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ}: أو قبضنا روحك قبل رؤية ذلك، {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ}: فمهمتك تنتهي عند إيصال الرسالة، {وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}: وجزاؤهم موكول إلينا وحدنا، {نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا}: نفتح البلاد للمؤمنين ونقلل مساحة سيطرة الكفر أو نُهلك الأمم من جوانبها، {لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ}: لا رادّ لقضائه ولا مبطل لأمره، {سَرِيعُ الْحِسَابِ}: محصي الأعمال ومجازٍ عليها بلا تأخير، {فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا}: له التدبير الغالب والمحيط الذي يبطل كيدهم، {يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ}: محيط بما تعمله القلوب والجوارح، {لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ}: من الذي سينال الفوز والقرار الأخير، {كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا}: حسبنا الله شاهداً على صدقي، {وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}: والمنصفون العالمين بالكتب السابقة يشهدون بحقيقة نبوتي).

ثانياً: مرحلة النشر

سواء أريناك في حياتك بعض ما نعد هؤلاء المعاندين من العذاب، أو قبضنا روحك قبل ذلك، فما أنت إلا مبلغ للرسالة، وعلينا نحن وحدنا حسابهم. أولم يشاهدوا عظيم قدرتنا في أننا نفتح الأرض للمؤمنين وننقصها من أطراف الكافرين بهلاكهم وغلبة الحق عليهم، والله وحده هو الذي يحكم بين خلقه، فلا رادّ لقضائه ولا مبطل لأمره، وهو سريع الإحصاء والمجازاة. ولقد دبر الذين من قبلهم المكائد، ولكن لله وحده التدبير الغالب والمحيط بكل كيد، وهو يعلم ما تعمله كل نفس من خير أو شر، وسيعلم هؤلاء الجاحدون قريباً من الذي له العاقبة المحمودة والقرار الأخير. ويقول الذين جحدوا: لست مبعوثاً من الله، فقل لهم: كفى بالله شاهداً على صدقي وبلاغي، وكذا من عنده علم بالكتب السابقة يشهد بأن ما جئت به هو الحق.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الفصل التام بين "الوظيفة البشرية" (البلاغ) و"النتيجة الإلهية" (الحساب) يحرر الداعية من القلق النتائجي.

٢. بقاء المنهج واستمراره لا يرتهن بحياة صاحبه؛ فالحساب قائم سواء شهد الرسول العقاب أو توفي قبله.

٣. "نقص الأرض من أطرافها" سنة كونية وتاريخية توضح انحسار الباطل أمام تمدد الحق.

٤. سيادة الحكم الإلهي (لا معقب لحكمه) تلغي فكرة الحصانة المادية أمام القدر.

٥. "سرعة الحساب" تدل على الإحاطة الرقمية والزمنية الدقيقة بكل فعل بشري.

٦. المكر البشري جزئي وضعيف، بينما المكر الإلهي (التدبير) شامل ومهيمن.

٧. "كسب النفس" هو المادة الخام التي يُبنى عليها "علم الله" ومجازاته.

٨. "عقبى الدار" هي المعيار الحقيقي للنجاح، وليست المكاسب الدنيوية العابرة.

٩. شهادة الله هي "التوثيق الوجودي" الأسمى الذي لا يحتاج بعده المؤمن لشهادة أحد.

١٠. "من عنده علم الكتاب" إشارة إلى وحدة المصدر المعرفي للنبوات كشاهد تاريخي.

١١. الخطاب في "سيعلم الكفار" يحمل نبرة وعيد شديدة تزلزل ثقة الظالم بمركزه.

١٢. الله يتدخل في الجغرافيا السياسية (نقص الأطراف) نصرةً للحق وتأديباً للمكذبين.

١٣. الحق لا يحتاج لإقناع المعاندين بقدر حاجته لإقامة الحجة عليهم (البلاغ).

١٤. "علم الكتاب" رتبة معرفية تجعل صاحبها أهلاً لشهادة الحق وتصديق الوحي.

١٥. الربط بين "المكر" و"علم ما تكسب كل نفس" يوضح أن التدبير الإلهي يقوم على كشف النوايا.

١٦. اليقين بـ "الشهيد الإلهي" يمنح المؤمن صلابة في مواجهة التكذيب الجماعي.

١٧. انتهاء السورة بـ "علم الكتاب" هو رد للعجز البشري إلى العلم المطلق.

١٨. "الشهادة" هنا فعل حضاري يربط بين السماء (الله) وبين العقل المستنير (عالم الكتاب).

١٩. التحدي في "قل كفى بالله" هو ذروة الاستغناء بالله عن الخلق.

٢٠. الدار الآخرة هي "المنزل الحقيقي" الذي تنكشف فيه حقائق الفوز والخسران.

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. لزوم الثبات على البلاغ والدعوة دون اشتراط رؤية النتائج (الدليل: فإنما عليك البلاغ).

٢. وجوب الرضا المطلق بحكم الله وقضائه لليقين بعدم وجود رادّ له (الدليل: لا معقب لحكمه).

٣. تحريم المكر والكيد مع اليقين بأن مكر الله محيط بكل تدبير (الدليل: فلله المكر جميعاً).

٤. مشروعية الاستشهاد بشهادة الله وبالعلماء والمنصفين لإثبات الحق (الدليل: كفى بالله شهيداً ومن عنده علم الكتاب).

٥. وجوب الاستعداد لسرعة الحساب الإلهي بمراقبة ما تكسبه النفس (الدليل: وهو سريع الحساب).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة حتمية الانحسار:** الباطل يتآكل من أطرافه حتى يتلاشى في المركز (الأساس: ننقصها من أطرافها).

٢. **قاعدة الانفراد بالحساب:** الحساب وظيفة إلهية محضة لا يشارك فيها البشر (الأساس: وعلينا الحساب).

٣. **قاعدة الهيمنة التدبيرية:** لا ينفذ من مكر الخلق شيء إلا ما أراد الله إنفاذه (الأساس: فلله المكر جميعاً).

٤. **قاعدة الاستغناء بالشهادة العليا:** شهادة الحق تكتسب قيمتها من مصدرها لا من كثرة المصدقين (الأساس: كفى بالله شهيداً).

٥. **قاعدة السيادة القدرية:** القضاء الإلهي باتٌّ ونهائي ولا يقبل المراجعة البشرية (الأساس: لا معقب لحكمه).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد التحرر من النتائج (إخلاص المهمة)

- **حقيقته:** توجيه الإنسان للتركيز على "جودة العمل" (البلاغ) وترك "النتائج" (الحساب) للخالق، مما يقلل من الاحتراق النفسي والإحباط عند تأخر النجاح.

- **أصله:** قوله (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)؛ وهذا يحرر الطاقات البشرية للعمل الخالص دون ارتهان بمظاهر النصر المادية، مما يضمن استمرارية المشاريع الحضارية عبر الأجيال.

٢. بُعد التغيير الجيو–حضاري (سنة النقصان)

- **حقيقته:** إدراك أن القوة والمكانة ليستا ثابتتين، بل هما في حالة حركة دائمة (نقص وزيادة) بناءً على معايير الحق والعدل.
- **أصله:** قوله (نأتي الأرض ننقصها من أطرافها)؛ وهذا يحفز الأمم على المراجعة الدائمة لمواطن ضعفها وقوتها، وعدم الركون للامتداد الجغرافي إذا فقدت مقومات البقاء الأخلاقي.

٣. بُعد الشفافية والمسؤولية (علم الكسب)

- **حقيقته:** بناء وعي جمعي بأن كل حركة وتدبير (مكر) مكشوفة تماماً للنظام الرقابي الإلهي، مما يؤسس لمجتمع "النزاهة الباطنية".
- **أصله:** قوله (يعلم ما تكسب كل نفس)؛ وهذا يمنع التستر وراء القوانين الوضعية لارتكاب المظالم، ويجعل المسؤولية الفردية هي الضمانة الأولى لاستقامة النظام العام.

٤. بُعد المرجعية العلمية (شهادة أهل الكتاب)

- **حقيقته:** تقدير قيمة "العلم" والعلماء (من عنده علم الكتاب) كشهود على الحقائق الكبرى، وربط الدين بالمعرفة التراكمية للبشرية.
- **أصله:** قوله (ومن عنده علم الكتاب)؛ وهذا يرسخ احترام التخصص والمعرفة، ويجعل "البرهان العلمي" ركيزة أساسية في تصديق الدعوات وبناء القناعات الحضارية.

٥. بُعد اليقين بالعاقبة (طمأنينة المصير)

- **حقيقته:** غرس الشعور بالأمان في قلب صاحب الحق، بأن "عقبى الدار" ستكون له مهما بلغت الضغوط والتكذيب الراهن.
- **أصله:** قوله (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار)؛ وهذا يمنح المجتمعات المؤمنة بالقيم قدرة هائلة على الصمود وتجاوز الأزمات الحادة، لأنها تنظر للغايات البعيدة ولا تنحبس في الصراعات الآنية.

سورة إبراهيم

وظيفة الوحي وطبيعة الضلال (١–٣)

النص القرآني:

الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣)

(سورة إبراهيم: ١–٣)

أولاً: مرحلة التيسير

({الر}: حروف مقطعة للتحدي والإعجاز، {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ}: هذا القرآن وحي من الله إليك يا محمد، {لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}: لتنقلهم من ضلال الكفر لضياء الإيمان، {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ}: بتوفيقه وأمره، {إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}: إلى طريق الله القوي المحمود في كل حال، {اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}: المالك لكل شيء خلقه، {وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ}: هلاك وعذاب للجاحدين، {يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ}: يفضلون الفانية ويختاروها على الباقية، {وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}: يمنعون الناس عن طريق الحق، {وَيَبْغُونَهَا

عِوَجًا}: يطلبون في طريق الله انحرافاً وميلاً لتهواه أنفسهم، {فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}: تيه غائر ومبتعد عن الرشاد).

ثانياً: مرحلة النشر

هذه الحروف المعجزة تنبه إلى عظمة هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك يا محمد، والهدف منه هو نقل البشرية من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الهداية بتوفيق من خالقهم، وإرشادهم إلى طريق الله القوي الذي يُحمد في كل فعل، هو الإله الذي يملك كل ما في هذا الكون، وهلاك وعذاب عظيم ينتظر الجاحدين الذين يفضلون متاع الحياة الدنيا الزائل على نعيم الآخرة، ويحاولون منع الناس عن منهج الله ويطمعون أن يجدوا في هذا الدين انحرافاً وميلاً ليوافق أهواءهم، فأولئك غارقون في تيه شديد ومبتعدون جداً عن الحق.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. القرآن مشروع تحرير للبشرية من سجون الأوهام إلى فضاء اليقين. (**{لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}**)

٢. وحدة الحقيقة (النور) وتشتت سبل الباطل والضياع (الظلمات). (**{مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}**)

٣. دور الرسول هو البلاغ بينما التوفيق للهداية منحة إلهية محضة. (**{بِإِذْنِ رَبِّهِمْ}**)

٤. الله لا يُعبد قسراً بل حباً وثناءً لكمال قوته وجميل فعله. (**{إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}**)

٥. ملكية الله المطلقة للكون هي البرهان العقلي على وجوب اتباع منهجه. (**{اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}**)

٦. تفضيل المتاع العاجل هو المنطلق النفسي لكل انحراف قيمي. ({**يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ**})

٧. الباطل يتجاوز الضلال الذاتي إلى السعي النشط لمنع الآخرين من الوصول للحق. ({**وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**})

٨. محاولة تطويع النص وتغيير معالمه ليوافق الميول والنبات البشرية. ({**وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا**})

٩. الانحراف الفكري يبدأ بسيطاً ثم يتحول إلى تيه عميق يصعب تداركه. ({**أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**})

١٠. الوحي هو الصلة المباشرة بين المالك ومخلوقاته لتنظيم حياتهم. ({**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ**})

١١. اختلال الميزان العقلي باستبدال المحدود (الدنيا) بالمطلق (الآخرة). ({**يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ**})

١٢. الشقاء الشامل هو الثمرة المرة لقرار الإعراض عن ضياء الوحي. ({**وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**})

١٣. القرآن نص حركي غايته التغيير الجذري في الواقع البشري. ({**لِتُخْرِجَ النَّاسَ**})

١٤. كل قدر إلهي هو مسار رحمة يوجب الحمد والثناء. ({**الْحَمِيدِ**})

١٥. العمل على تشويه صورة المنهج الحق هو وسيلة دفاعية لتبرير الجحود. ({**وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا**})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بالقرآن كونه المخرج الحصري من تيه الضلال. ({**لِتُخْرِجَ النَّاسَ**})

٢. حرمة تقديم المصالح المادية الزائلة على المبادئ والقيم الأخروية. ({**يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**})

٣. تحريم محاولة تحريف المنهج أو تمييعه ليوافق الرغبات الفردية أو الجماعية. ({**وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا**})

٤. وجوب تعظيم الخالق من خلال إدراك ملكيته الشاملة للوجود. ({**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**})

٥. لزوم سلوك الطريق الذي يجمع بين هيبة المنهج وحسن عاقبته. ({**صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الوظيفة التنويرية:** الوحي هو الضياء الكاشف، والإعراض عنه هو التخبط في التيه. ({**مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**})

٢. **قاعدة التبعية المالكية:** الحق في التشريع والاتباع مستمد من ملكية الأصول الكونية. ({**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ.. إِلَى صِرَاطِ**})

٣. **قاعدة الخلل القيمي:** ضلال السلوك يبدأ من فساد سلم الأولويات في القلب.
({**يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ**})

٤. **قاعدة حتمية التيه:** كل سعي لاعوجاج المنهج ينتهي بصاحبه في ضياع لا نهاية له.
({**وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا.. فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**})

٥. **قاعدة الارتهان بالتوفيق:** الجهد البشري في التغيير مرتبط بإذن وإرادة المصدر الأعلى.
({**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد التحرر المعرفي:

- نقل الإنسان من أغلال الخرافة والتبعية إلى رحابة البرهان واليقين الفكري. ({**لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**})

٢. بُعد الموازنة الزمنية:

- إدارة الأولويات الحضارية برؤية مستقبلية تتجاوز اللحظة الراهنة لتحقيق الاستدامة القيمية. (**{يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ}**)

٣. بُعد الأصالة والوضوح:

- رفض التلاعب بالقوانين أو تمييع المبادئ لخدمة السلطة أو الهوى، والمطالبة بالاستقامة الأخلاقية. (**{وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا}**)

٤. بُعد التواضع الحضاري:

- استشعار المسؤولية تجاه الموارد الكونية كأمانة مملوكة للخالق، مما يمنع الطغيان المادي. (**{اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}**)

٥. بُعد الشمولية الإنسانية:

- تجاوز العرقية والقطرية نحو آفاق المواطنة العالمية التي تسعى لإنقاذ البشرية كافة. (**{لِتُخْرِجَ النَّاسَ}**)

وحدة الرسالة ولسان البلاغ (٤-٦)

النص القرآني:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)

(سورة إبراهيم: ٤-٦)

أولاً: مرحلة التيسير

({بِلِسَانِ قَوْمِهِ}: بلغة شعبه الذين بُعث فيهم، {لِيُبَيِّنَ لَهُمْ}: ليوضح لهم الحق بلسان يفهمونه، {فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ}: يترك في التيه مَن انصرف عن الحق، {وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ}: ويوفق للإيمان مَن طلب الرشاد، {بِآيَاتِنَا}: بالمعجزات والحجج الدالة على صدقه، {بِأَيَّامِ اللَّهِ}: بوقائع نصره للمؤمنين وعقابه للمكذبين، {صَبَّارٍ}: كثير الصبر عند المحن، {شَكُورٍ}: كثير الثناء والحمد عند النعم، {يَسُومُونَكُمْ}: يذيقونكم ويولونكم، {يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ}: يتركون إناثكم أحياء للخدمة والمهانة، {بَلَاءٌ}: اختبار وامتحان شديد أو نعمة عظيمة بالإنجاء).

ثانياً: مرحلة النشر

وما بعثنا من رسول قبلك إلا بلغة قومه الذين أُرسل إليهم ليوضح لهم شرائع الله ببيان يفهمونه، فيترك الله في ضلاله مَن أعرض عن هذا البيان بمشيئته، ويوفق للهداية مَن أقبل عليها، وهو الغالب الذي يضع الأمور في نصابها. ولقد بعثنا موسى مدعوماً بمعجزاتنا وأمرناه أن يحرر قومه من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان، وأن يذكرهم بوقائع الله في الأمم السابقة وما فيها من عبر، إن في ذلك لعلامات واضحة لكل إنسان كثير الصبر على البلاء كثير الشكر على العطاء. واذكر حين قال موسى لقومه: استشعروا فضل الله عليكم حين خلصكم من بطش فرعون وأتباعه الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب ويقتلون أطفالكم الذكور ويستبقون نساءكم للخدمة والذل، وفي ذلك الإنجاء أو ذلك العذاب امتحان كبير من خالقكم.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. اللغة وسيلة تواصل وظيفية هدفها البيان لا التعجيز. (أصله: {إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ})

٢. الهداية والضلال نتاج تفاعل المشيئة الإلهية مع الاستعداد البشري. (أصله: {فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ})

٣. مهمة الرسل ثابتة عبر العصور وهي تحرير الإنسان من الظلمات. (أصله: {أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ})

٤. التاريخ مخزن للعبر والوقائع التي توضح سنن التغيير. (أصله: {وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ})

٥. الانتفاع بالتاريخ يتطلب توازناً نفسياً بين التحمل والامتنان. (أصله: {لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ})

٦. استذكار النعم هو المنطلق الأول لشكر المنعم والاستقامة على نهجه. (أصله: {اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ})

٧. الطغيان السياسي يصل لذروته بانتهاك حق الحياة والكرامة. (أصله: {يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ})

٨. المحن الشديدة والمنح العظيمة كلاهما أدوات للاختبار الإلهي. (أصله: {وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ})

٩. البيان شرط لإقامة الحجة؛ فلا تكليف بما لا يُفهم معناه. (أصله: {لِيُبَيِّنَ لَهُمْ})

١٠. نجاة المستضعفين آية كبرى تستحق الخلود في الذاكرة الجمعية. (أصله: {إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب مراعاة لغة المخاطب وسياقه الثقافي في الدعوة والتعليم. (دليله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ})

٢. لزوم الصبر على الشدائد والشكر على الرخاء كمنهج حياة. (دليله: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ})

٣. وجوب تذكير الناس بفضل الله عليهم وماضيهم لتثبيت هويتهم. (دليله: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ})

٤. حرمة الطغيان والاعتداء على الأنفس والحرمات. (دليله: {يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ})

٥. وجوب التدبر في التاريخ والاعتبار بمصائر الأمم السابقة. (دليله: {وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة البيان قبل التكليف:** لا يحاسب الله قوماً حتى يوضح لهم المنهج بلسانهم. (دليله: {إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ})

٢. **قاعدة وحدة الرسالات:** الجوهر التحريري للدين واحد مهما اختلف الرسل والشرائع. (دليله: {كَمَا أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ.. أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ})

٣. **قاعدة الذاكرة التاريخية:** استحضار وقائع النصر والهزيمة ركن في بناء الوعي. (دليله: {وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ})

٤. **قاعدة ثنائية الابتلاء:** الإنسان مُختبر بالشر صبراً وبالخير شكراً. (دليله: {لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ})

٥. **قاعدة الربط السببي للضلال:** الضلال نتيجة للإعراض عن البيان الواضح. (دليله: {لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد التواصل الثقافي (احترام اللسان):

- ضرورة مخاطبة الشعوب من خلال هويتها الثقافية ولغتها الوطنية لتحقيق الفهم والاندماج. (أصله: {إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ})

٢. بُعد التحرر من الاستبداد:

- الوحي قوة دافعة لتحرير الإنسان من القيود المادية والسياسية الظالمة. (أصله: {أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ})

٣. بُعد الوعي التاريخي (أيام الله):

- اتخاذ التاريخ مختبراً لفهم السنن الكونية وتجنب عثرات الأمم السابقة. (أصله: {وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ})

٤. بُعد التوازن السلوكي (الصبر والشكر):

- بناء شخصية حضارية صلبة تواجه الأزمات بالثبات (الصبر) وتدير الرخاء بالاعتراف بالفضل (الشكر). (أصله: {لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ})

٥. بُعد حقوق الإنسان (مناهضة التعذيب):

- تجريم ممارسات الإبادة والامتهان وتذكير الأمم بنضالها من أجل الكرامة. (أصله: {يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ})

ميثاق الشكر والوعيد بالجحود (٧–٨)

النص القرآني:

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨)

(سورة إبراهيم: ٧–٨)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ} [أعلم بقسم]: {لَئِن شَكَرْتُمْ} [بالطاعة] {لأَزِيدَنَّكُمْ} [من فضلي]، {وَلَئِن كَفَرْتُمْ} [بالجحود] {إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [مؤلم]. {وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [كلكم] {فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ} [عنكم] {حَمِيدٌ} [مستحق للثناء]).

ثانياً: مرحلة النثر

واذكر حين أعلم ربكم وأقسم بأنكم إن شكرتم نعمه بالطاعة والاعتراف لأزيدنكم من فضلي وعطائي، ولئن جحدتم وكفرتم بها فإن عقابي شديد ومؤلم. وقال موسى لقومه: إن تجحدوا بفضل الله أنتم ومن في الأرض جميعاً، فإن ذلك لا يضره شيئاً؛ لأن الله غني عن خلقه ومستحق للثناء لذاته.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. "تأذن" تفيد الإعلام القاطع المشبع بروح القسم لتأكيد حتمية النتائج. (أصله: {تَأَذَّنَ})

٢. الشكر فعل منتج للنماء، والزيادة هي الأثر الطبيعي والشرعي للامتنان. (أصله: {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ})

٣. الكفر بالنعمة (الجحود) هو استدعاء ذاتي للعقوبة الشديدة. (أصله: {وَلَئِن كَفَرْتُمْ})

٤. لم يذكر جواب "لئن كفرتم" صراحة (مثل: لأسلبنكم)، بل ذكر "شدة العذاب" ليكون أعم وأهول. (أصله: {إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ})

٥. الربط بين الشكر والزيادة هو قانون "تصاعدي"، بينما الربط بين الكفر والعذاب هو قانون "جزائي". (أصله: {لَأَزِيدَنَّكُمْ.. لَشَدِيدٌ})

٦. استغناء الخالق (لغني) يسقط فكرة أن الله يحتاج لشكر العباد لنفسه، بل الشكر لمصلحة العبد. (أصله: {فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ})

٧. وصف "حميد" يعني أنه محمود بذاته وبأفعاله سواء شكره الناس أم لم يشكروه. (أصله: {حَمِيدٌ})

٨. شمولية "من في الأرض جميعاً" تبرز ضآلة الوجود البشري أمام عظمة الذات الإلهية. (أصله: {أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا})

٩. الخطاب الموسوي (وقال موسى) يؤكد أن هذا القانون (الشكر/الزيادة) هو دين الأنبياء جميعاً. (أصله: {وَقَالَ مُوسَىٰ})

١٠. التعبير بـ "ربكم" في سياق الوعد والوعيد يبرز دور المربي الذي يوجه عباده لما فيه صلاحهم. (أصله: {رَبُّكُمْ})

١١. الزيادة (لأزيدنكم) مطلقة؛ تشمل زيادة النعمة ذاتها، أو زيادة البركة فيها، أو زيادة التوفيق لشكرها. (أصله: {لَأَزِيدَنَّكُمْ})

١٢. الجحود الجماعي (جميعاً) لا يهز مكانة الخالق ولا يغير من صفة غناه المطلق. (أصله: {لَغَنِيٌّ})

١٣. تأكيد الجملة بـ "إن" و"اللام" (لأزيدنكم، لشديد) لقطع دابر الشك في وقوع الجزاء. (أصله: {لَأَزِيدَنَّكُمْ.. لَشَدِيدٌ})

١٤. الشكر في الآية هو "السبب" والزيادة هي "المسبب"، وهو وعد لا يتخلف. (أصله: {شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ})

١٥. العذاب وُصف بـ "شديد" ولم يوصف بـ "دائم" هنا، لفتح باب الحذر من فجاءة العقوبة وقوتها. (أصله: {لَشَدِيدٌ})

١٦. غنى الله (لغني) يقابله فقر الخلق المطلق إليه، مما يجعل الكفر حماقة وجودية. (أصله: {إِن تَكْفُرُوا.. فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ})

١٧. "حميد" بعد "غني" تشير إلى أنه مع كمال غناه عنهم، فهو يفيض عليهم بما يحمدونه عليه. (أصله: {لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ})

١٨. ترتيب الآيات يوضح أن "الشكر" هو مصلحة خاصة للعبد، وليس منة على الله. (أصله: {إِن تَكْفُرُوا.. فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ})

١٩. "الزيادة" تعبير عن الكرم الإلهي الذي لا يقف عند حد مكافأة الفعل بل يتجاوزه للفيض. (أصله: {لأَزِيدَنَّكُمْ})

٢٠. التحذير من الكفر بعد ذكر الشكر يبرز ثنائية الاختيار البشري بين الرقي والارتقاء أو السقوط والهلاك. (أصله: {لَئِن شَكَرْتُمْ.. وَلَئِن كَفَرْتُمْ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب شكر الله على نعمه بالقلب واللسان والجوارح. (دليله: {لَئِن شَكَرْتُمْ})

٢. حرمة كفران النعم وجحود فضل المنعم سبحانه. (دليله: {وَلَئِن كَفَرْتُمْ})

٣. لزوم الإيمان بغنى الله المطلق عن عبادة خلقه وشكرهم. (دليله: {فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ})

٤. وجوب تبليغ القوانين الإلهية (السنن) للناس كما فعل الأنبياء. (دليله: {وَقَالَ مُوسَىٰ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة النماء بالشكر**: الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة، وهو شرط الزيادة. (دليله: {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ})

٢. **قاعدة استغناء المنبع**: عدم اعتراف الخلق بالحق لا ينقص من قدر الحق شيئاً. (دليله: {إِن تَكْفُرُوا.. فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ})

٣. **قاعدة المسؤولية الفردية والجماعية**: الكفر جماعياً كان أو فردياً لا تقع تبعاته إلا على الكافرين أنفسهم. (دليله: {أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا})

٤. **قاعدة الوعيد بالحق**: شدة العذاب نتيجة منطقية لمقابلة الإحسان المطلق بالجحود المطلق. (دليله: {وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الاستثمار الإيجابي (الشكر):

- ترسيخ ثقافة الامتنان والاعتراف بالفضل كقيمة أخلاقية واجتماعية تزيد من حيوية المجتمعات وتراكم مكتسباتها. (أصله: {لَأَزِيدَنَّكُمْ})

٢. بُعد التواضع البشري:

- إدراك الإنسان لحجمه الحقيقي؛ فالعالم كله بجحده لا يغير من كمال الخالق، مما يحطم الغرور البشري. (أصله: {إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا})

٣. بُعد التوازن النفسي (الغنى والحميد):

- الاطمئنان إلى أن مصدر النعم غني لا يحتاج لشيء، وحميد يفيض بالخير، مما يدفع الإنسان للثقة بالمنظومة الإلهية. (أصله: {لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ})

٤. بُعد التحذير من "التبديد" الحضاري:

- "كفر النعمة" في المنظور الحضاري يعني سوء استخدام الموارد والطاقات، وهو ما يؤدي حتماً إلى الانهيار (العذاب الشديد). (أصله: {وَلَئِن كَفَرْتُمْ})

حوار الرسل والأمم: صراع اليقين والارتباك (٩–١٢)

النص القرآني:

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)

(سورة إبراهيم: ٩–١٢)

أولاً: مرحلة التيسير

({أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ}: ألم يصلكم خبر وقصص الأمم المكذبة، {لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ}: كثرة كاثرة غابت أخبارهم عن البشر وأحصاها الخالق، {بِالْبَيِّنَاتِ}: بالمعجزات والحجج العقلية الواضحة، {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ}: عضّوا عليها غيظاً أو أشاروا للرسل بالسكوت تكبراً، {شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ}: ريبة شديدة تثير القلق وتمنع الطمأنينة، {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ}: استفهام إنكاري يفيد بداهة وجوده، {فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}: خالقهما وموجدهما على غير مثال سابق، {وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى}: يمهلكم في الدنيا ولا يعاجلكم بالعقوبة حتى يحين الموت، {بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}: بحجة قاهرة أو معجزة مادية لا تقبل الشك، {يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ}: يتفضل بالنبوة والوحي اختياراً منه، {هَدَانَا سُبُلَنَا}: بصرنا بطرق النجاة ووضوح المنهج، {وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا}: توكيد جازم على تحمل الأذى في سبيل تبليغ الحق).

ثانياً: مرحلة النشر

ألم يصلكم يا أهل مكة أخبار الذين سبقوكم من قوم نوح وعاد وثمود وأمم كثيرة لا يحصي عددهم وتاريخهم إلا الله؟ لقد جاءهم رسلهم بالحجج الواضحة، لكنهم قوبلوا بالرفض القاسي والغيظ الشديد، معلنين كفرهم الصريح بالرسالة ووقوعهم في تيه وشك يبعث على الريبة.
فتعجب الرسل من هذا الشك في وجود الله ووحدانيته وهو الذي أبدع السماوات والأرض، وأخبروهم أن دعوته هي محض رحمة ليغفر ذنوبهم ويمد في أعمارهم للتوبة. فاعترضت الأمم بأن الرسل مجرد بشر لا ميزة لهم، وأن غايتهم صرف الناس عن موروث الآباء، وطالبوا بمعجزات مادية قاهرة. فأقر الرسل ببشريتهم لكنهم بينوا أن النبوة فضل إلهي، وأن المعجزات ليست بملكهم بل بإذن الله، معلنين توكلهم المطلق ويقينهم التام بصحة طريقهم، وعزمهم على الصبر الجميل أمام كل أذى يلحق بهم.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. التاريخ البشري أوسع من الإدراك الإنساني المحدود ولا يحيط بتفاصيله إلا علام الغيوب. (أصله: {لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ})

٢. الاستكبار يولد ردود فعل جسدية تعبر عن ضيق الصدر بالحق. (أصله: {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ})

٣. الشك "المريب" هو حالة من فقدان التوازن القلبي تمنع رؤية الحقائق الواضحة. (أصله: {فِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ})

٤. الفطرة السليمة ترفض الشك في الموجد الأصلي للكون لشدة ظهوره. (أصله: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ})

٥. الدعوة الإلهية ليست عقاباً بل هي فرصة للغفران والتطهر. (أصله: {يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ})

٦. العجز عن مواجهة الحجة يؤدي بالخصم للتركيز على الجانب البشري للداعية. (أصله: {إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا})

٧. "موروث الآباء" هو الصخرة التي تتحطم عليها غالباً محاولات التغيير والإصلاح. (أصله: {عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا})

٨. البشرية لا تتنافى مع الاصطفاء الإلهي؛ فالله يختار من يشاء لرسالته. (أصله: {وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ})

٩. التوكل هو السلاح الروحي الذي يواجه به المؤمنون تعنت المعاندين. (أصله: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ})

١٠. هداية السبيل ووضوح الهدف هي الدافع الأكبر للصمود أمام التحديات. (أصله: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا})

١١. الصبر ليس ضعفاً بل هو قرار استراتيجي لمواجهة الأذى المستمر. (أصله: {وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا})

١٢. المعجزات المادية (السلطان) ليست ملكاً للبشر بل هي خاضعة للإرادة الإلهية وحدها. (أصله: {إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ})

١٣. الذنب البشري يزول بالاستجابة للدعوة الإلهية الغفورة. (أصله: {لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ})

١٤. الشك في الخالق هو شك في بديهيات الوجود المبدع. (أصله: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ})

١٥. التقليد الأعمى هو العائق المعرفي الأول أمام العقل النقدي. (أصله: {عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا})

١٦. النبأ التاريخي وسيلة للوعي والحذر من تكرار الأخطاء الكبرى. (أصله: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ})

١٧. الفرق بين الرسل والأمم هو "المنّ" الإلهي بالعلم والوحي. (أصله: {وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ})

١٨. الإمهال (تأخير الأجل) رحمة إلهية تمنح العاصي فرصة للمراجعة. (أصله: {وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى})

١٩. التوكل يتضاعف بزيادة المعرفة بطرق الهداية. (أصله: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا})

٢٠. رد اليد في الفم كناية عن العجز عن الجواب المقنع واللجوء للعناد المادي. (أصله: {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بوجود الله ووحدانيته كأصل فطري لا يقبل الشك. (دليله: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ})

٢. لزوم التوكل على الله في كافة أمور الدين والدنيا خاصة عند مواجهة الأذى. (دليله: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ})

٣. وجوب الصبر على أذى المعاندين في سبيل إبلاغ رسالة الحق. (دليله: {وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا})

٤. حرمة التقليد الأعمى للأجداد إذا صدم الحق والبرهان. (دليله: {عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا})

٥. وجوب الاعتبار بأخبار الأمم السابقة وما حل بها من عقاب. (دليله: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الوضوح الفطري:** وجود الخالق حقيقة بديهية تسبق الاستدلال النظري. (دليله: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ})

٢. **قاعدة بشرية القيادة:** النبوة والإصلاح لا يتطلبان الخروج عن الطبيعة البشرية بل الارتكاب بالمنّ الإلهي. (دليله: {إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ})

٣. **قاعدة اليقين يولد الصمود:** من هداه الله لسبيله وجد القوة النفسية لمواجهة كافة الصعاب. (دليله: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ.. وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا})

٤. **قاعدة الإذن الإلهي للمخوارق:** لا يملك البشر السيطرة على القوانين المادية إلا بإرادة موجدها. (دليله: {وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ})

٥. **قاعدة الغفران بالاستجابة:** المنهج الإلهي مصمم لتجاوز الماضي المظلم وبدء صفحة جديدة. (دليله: {يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد التواضع المعرفي (الغيب التاريخي):

- إقرار العقل البشري بمحدوديته أمام اتساع التاريخ وضياع أخبار الأمم، مما يدعو للبحث المستمر والتواضع أمام الحقيقة المطلقة. (أصله: {لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ})

٢. بُعد التحرر من سطوة الماضي (نقد التقليد):

- مواجهة "تقديس الموروث" الذي يعيق التقدم الحضاري، والمطالبة بتحكيم العقل والبرهان بدلاً من محاكاة الآباء. (أصله: {عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا})

٣. بُعد القيادة الملهمة (بشرية الرسل):

- ترسيخ مفهوم أن القدوة لا بد أن تكون بشرية لضمان إمكانية التطبيق الواقعي للمثل العليا. (أصله: {إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ})

٤. بُعد المرونة النفسية (التوكل والصبر):

- بناء شخصية حضارية لا تنهار أمام الضغوط والأذى، بل تستمد قوتها من اليقين بالمنهج والاتصال بالخالق. (أصله: {وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا})

٥. بُعد الغاية الوجودية (المغفرة والإمهال):

- فهم الوجود كفرصة ممنوحة للإنسان (أجل مسمى) للتطور الأخلاقي والروحي، وليس مجرد صراع مادي عابر. (أصله: {وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى})

وعيد الجبارين ومآل الاستكبار (١٣–١٧)

النص القرآني:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)

(سورة إبراهيم: ١٣–١٧)

أولاً: مرحلة التيسير

({لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا}: وعيد بالتهجير القسري والنفي، {أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا}: أو الرضوخ لمنهجنا الباطل والاندماج فيه، {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ}: نزل التأييد الإلهي والوعد بالخلاص، {لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ}: استئصال شأفة المستكبرين، {لِمَنْ خَافَ مَقَامِي}: لمن هاب وقوفي عليه وحسابي له، {وَخَافَ وَعِيدِ}: وخشي ما أنذرت به من عقاب، {وَاسْتَفْتَحُوا}: طلب الرسل النصر والقضاء بين الطرفين، {خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}: خسر وهلك كل متكبر متمرد على الحق، {مَّاءٍ صَدِيدٍ}: ما يسيل من جلود أهل النار من قيح ودم، {يَتَجَرَّعُهُ}: يحاول شربه بجهد ومرارة، {وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ}: لا يقدر على ابتلاعه لشدة حرارته ونتنه، {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ}: تحيط به أسباب الهلاك من كل جهة، {وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ}: لا يجد الراحة في الموت بل يستمر في العذاب، {عَذَابٌ غَلِيظٌ}: عذاب شديد متراكم القسوة).

ثانياً: مرحلة النشر

وعندما عجز المكذبون عن مواجهة الحجة، لجأوا إلى لغة القوة والتهديد، متوعدين الرسل بالنفي والتهجير من بلادهم أو إجبارهم على التخلي عن دعوتهم والعودة إلى

ضلالهم، فجاء الرد الإلهي القاطع بالوحي للرسل: إن عاقبة هؤلاء الظالمين هي الهلاك والدمار، وسوف يورثكم الله الأرض من بعدهم لتكونوا ولاة أمورها؛ وهذا الجزاء العظيم مدخر لكل من هاب جلال الله وحذر عقابه. ولقد لجأ الرسل إلى الله بطلب النصر والفرقان، فكانت النتيجة هلاك كل متكبر معاند للحق، ينتظره مصير مظلم في جهنم، حيث لا يجد ما يروي ظمأه إلا شراباً من قيح وصديد، يحاول ابتلاعه بصعوبة بالغة لشدة كراهته، وتحيط به آلام تشبه سكرات الموت من كل جانب دون أن يموت ليستريح، بل ينتظره عذاب متزايد الغلظة والشدة.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. لجوء الباطل إلى التهديد بالإقصاء والتهجير هو دليل على إفلاسه المعرفي أمام قوة الحجة. (أصله: {لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا})

٢. الاستبداد يسعى دائماً لقولبة العقول وإجبارها على التوافق مع "الملة" السائدة. (أصله: {أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا})

٣. الوعيد الإلهي بإهلاك الظالمين هو قانون كوني لا يتخلف مهما طال الأمد. (أصله: {لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ})

٤. التمكين في الأرض ليس غاية لذاته، بل هو مكافأة إلهية للتقوى والمسؤولية. (أصله: {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ})

٥. "خوف مقام الله" هو الضابط الأخلاقي الذي يحمي الحاكم والمحكوم من الطغيان. (أصله: {ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي})

٦. الاستفتاح هو سلاح المظلوم باللجوء إلى القوة المطلقة لفض النزاعات التاريخية. (أصله: {وَاسْتَفْتَحُوا})

٧. الجبروت والعناد هما الخصلتان اللتان تؤديان حتماً إلى "الخيبة" والانهيار الحضاري. (أصله: {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ})

٨. الجزاء من جنس العمل؛ فمن أذاق الناس "صديد" الظلم سُقي من "صديد" النار. (أصله: {وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ})

٩. العذاب النفسي الناتج عن "عدم الإساغة" يوازي في شدته الألم المادي. (أصله: {وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ})

١٠. الموت في الآخرة ليس "فناءً" بل هو "حالة" من الألم المستمر الذي لا ينتهي بالراحة. (أصله: {وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ})

١١. الوحي يمثل جدار الحماية النفسي للمصلحين أمام تهديدات القوة الغاشمة. (أصله: {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ})

١٢. الأرض ليست ملكاً للظلمة، بل هي لله يورثها من يحقق قيم العدل والخوف منه. (أصله: {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ})

١٣. "العناد" هو الإصرار على الباطل بعد وضوح الحق، وهو الموجب للهلاك. (أصله: {جَبَّارٍ عَنِيدٍ})

١٤. تراكم الأذى "من كل مكان" يصور الإحاطة الشاملة بالظالم جزاء استكباره الشامل. (أصله: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ})

١٥. وصف العذاب بـ "الغليظ" يشير إلى كثافة الألم وعدم وجود ثغرات للنجاة فيه. (أصله: {عَذَابٌ غَلِيظٌ})

١٦. الإيمان بوعيد الله هو المحرك الفعلي للصمود والتحمل في وجه الضغوط. (أصله: {وَخافَ وَعِيدِ})

١٧. خيبة الجبار هي سنة تاريخية تشاهد في سقوط الإمبراطوريات القائمة على الظلم. (أصله: {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ})

١٨. المحاولة الفاشلة للتجرع تشير إلى رغبة في الخلاص لا تتحقق. (أصله: {يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ})

١٩. الربط بين "المكان" و"الموت" يظهر ضيق الدنيا والآخرة على المستكبر. (أصله: {يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ})

٢٠. التمكين للمؤمنين مشروط بالاستمرار على منهج "خوف المقام". (أصله: {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ.. ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الثبات على المبدأ وحرمة الرضوخ لتهديدات الظالمين بالعودة للباطل. (دليله: {أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ})

٢. لزوم استشعار هيبة الله ومراقبته (خوف المقام) في كل تصرف. (دليله: {ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي})

٣. مشروعية الدعاء بطلب النصر والفرقان عند اشتداد الأزمة مع الباطل. (دليله: {وَاسْتَفْتَحُوا})

٤. وجوب الحذر من صفات الجبروت والعناد لكونهما طريقاً للهلاك. (دليله: {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ})

٥. لزوم الإيمان بالتمكين الإلهي للمستضعفين الصابرين. (دليله: {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الوراثة الكونية:** الأرض تؤول في النهاية لمن يحمل قيم العدل والتقوى لا لمن يملك القوة الغاشمة. (دليله: {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ})

٢. **قاعدة إفلاس القوة:** العنف والتهجير هما الملاذ الأخير للباطل حين يسقط برهانه. (دليله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا.. لَنُخْرِجَنَّكُم})

٣. **قاعدة خيبة الاستعلاء:** كل كيان يقوم على الجبروت والعناد محكوم عليه بالفشل التاريخي. (دليله: {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ})

٤. **قاعدة دوام العذاب:** الظلم في الدنيا ينقلب إلى "حالة موت بلا فناء" في الآخرة. (دليله: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ})

٥. **قاعدة الارتباط بالوعد:** الثبات البشري يستمد طاقته من الوحي والارتباط بالوعيد الإلهي. (دليله: {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ.. وَخَافَ وَعِيدِ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد العدالة التاريخية (نهاية الظلم):

- التفاؤل بحتمية زوال النظم القمعية ووراثة الشعوب الصابرة لأرضها وحقوقها. (أصله: {لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ})

٢. بُعد الرقابة الذاتية (خوف المقام):

- بناء مجتمع قائم على "الضمير اليقظ" الذي يخشى الحساب الإلهي، مما يغني عن الرقابة البوليسية الخارجية. (أصله: {ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي})

٣. بُعد الرفض القيمي للتبعية:

- تأصيل حق الإنسان في حرية المعتقد ورفض الانصهار في قوالب الباطل أو الرضوخ لتهديدات الإقصاء. (أصله: {أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا})

٤. بُعد المآل الأخلاقي للسلوك:

- تصوير بشاعة الجزاء المترتب على امتهان كرامة الإنسان (الجبار)، ليكون رادعاً حضارياً عن الطغيان. (أصله: {مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ})

٥. بُعد الصمود الإستراتيجي (الاستفتاح):

- تعليم المظلومين كيفية تحويل عجزهم المادي إلى قوة روحية تطلب "الفرقان" من العدل المطلق. (أصله: {وَاسْتَفْتَحُوا})

هباء الأعمال وقدرة الخالق (١٨–٢٠)

النص القرآني:

مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)

(سورة إبراهيم: ١٨–٢٠)

أولاً: مرحلة التيسير

({مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ}: حال الجاحدين وصفة شأنهم، {أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ}: ما قدموه من خير أو سعي يشبه الرماد المحترق، {اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ}: ريح قوية في يوم شديد الرياح تفرقه، {لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ}: لا يجدون ثواباً ولا أثراً لأعمالهم عند الحاجة، {ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ}: التيه الشديد والمبتعد عن الرشاد، {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ}: إيجاد الكون بحكمة وعدل وقصد صحيح، {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ}: بمشيئته يفنيكم ويزيلكم، {وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}: ويستبدل بكم غيركم، {وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ}: وليس ذلك بصعب ولا ممتنع على قدرته).

ثانياً: مرحلة النشر

يضرب الله مثلاً لحال الذين جحدوا بلقائه، فكل ما بذلوه من أعمال وسعي في حياتهم لا قيمة له ولا وزن؛ إذ يشبه الرماد الذي تذروه رياح عاتية في يوم عاصف

حتى يتلاشى تماماً، فلا يجدون من كسبهم شيئاً ينفعهم وقت حاجتهم، وهذا هو التيه والضياع الشديد. ثم يوجه الخطاب للعقل البشري ليتدبر في خلق الكون الفسيح الذي قامه الله على الحق والحكمة، ومن كانت هذه قدرته فهو قادر بمشيئته على إفناء جيل من البشر واستبدالهم بخلق آخرين أطوع وأصلح، وليس هذا الإهلاك والتبديل بممتنع أو عسير على القادر الخالق.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. انقطاع الصلة بالخالق يحول الأعمال الضخمة إلى هباء لا قيمة له. (أصله: {أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ})

٢. الباطل هش لا يقوى على الصمود أمام "عواصف" الحقيقة والجزاء. (أصله: {اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ})

٣. العجز عن الانتفاع بالجهد السابق هو أقصى درجات الخسارة البشرية. (أصله: {لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ})

٤. الكون ليس عبثاً ولا صدفة بل هو بناء محكم الغاية. (أصله: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ})

٥. البقاء الإنساني في الأرض مرهون بمشيئة الخالق وليس بحتمية بيولوجية. (أصله: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ})

٦. التجديد البشري سنة إلهية تضمن استمرار مسيرة الحق في الكون. (أصله: {وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ})

٧. قدرة الله مطلقة لا يعجزها إفناء أمة أو إيجاد بديلة لها. (أصله: {وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ})

٨. تشبيه العمل بالرماد يوحي باحتراق جوهره وفقدان نَفعه. (أصله: {كَرَمَادٍ})

٩. الرياح الشديدة في المثل ترمز للعدل الإلهي الذي يكشف زيف الأعمال الباطلة. (أصله: {اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ})

١٠. ضلال المقصد يؤدي حتماً إلى ضياع المجهود (الضلال البعيد). (أصله: {ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ})

١١. إثبات الصانع يكون بالنظر في إحكام المصنوعات الكبرى. (أصله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ})

١٢. استغناء الله عن الخلق يظهر في قدرته على الاستبدال الكلي. (أصله: {يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ})

١٣. كلمة "بالحق" تعني أن العدل هو القانون الذي يحكم حركة الوجود. (أصله: {بِالْحَقِّ})

١٤. الجزاء الأخروي يعتمد على "القيمة" وليس فقط على "الكم". (أصله: {لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ})

١٥. سهولة التغيير الكوني على الله تنفي أي توهم بامتناع البعث أو النشر. (أصله: {وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب إخلاص العمل لله لضمان ثبات أثره وقبوله. (دليله: {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا.. أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ})

٢. لزوم الإيمان بحكمة الله في خلقه للكون وأنه لم يخلقه عبثاً. (دليله: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ})

٣. وجوب الحذر من الاستغناء الإلهي الذي قد يقتضي استبدال الأمم المعرضة. (دليله: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ})

٤. حرمة الاغترار بالجهد البشري إذا كان مبنياً على أسس باطلة. (دليله: {لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ})

٥. لزوم تعظيم القدرة الإلهية التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء. (دليله: {وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة حتمية التلاشي للباطل**: العمل الذي يفتقد لروح الإيمان يذروه الرياح ولا يبقى له أثر. (دليله: {أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ})

٢. **قاعدة الحقية الكونية**: الوجود مبرمج وفق قوانين العدل والحق، والباطل طارئ سيزول. (دليله: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ})

٣. **قاعدة الاستبدال الحضاري**: الأمم التي تفشل في تحقيق الغاية من وجودها تُعرض نفسها للاستئصال والتبديل. (دليله: {يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ})

٤. **قاعدة السهولة الإلهية**: أصعب التغييرات الكونية في نظر البشر هي هيّنة وميسرة عند الله. (دليله: {وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ})

٥. **قاعدة ضياع المكسب**: الضلال الفكري يقود بالضرورة إلى إفلاس عملي في النتائج النهائية. (دليله: {لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد القيمة والجدوى (جدوى العمل):

- التنبيه إلى ضرورة بناء المشاريع الحضارية على أسس صلبة وقيم ثابتة تمنع تحولها إلى "رماد" تذروه رياح الأزمات. (أصله: {أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ})

٢. بُعد الغائية الكونية (خلق الحق):

- ترسيخ الوعي بأن الإنسان يعيش في كون منظم ومحكوم بالحكمة، مما يستدعي الانسجام مع "الحق" الأخلاقي والكوني. (أصله: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ})

٣. بُعد التجديد والإصلاح (الخلق الجديد):

- الاعتراف بأن التاريخ لا يقف عند أمة بعينها، وأن باب التغيير مفتوح دائماً لجيل جديد يحقق العدل والحق. (أصله: {وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ})

٤. بُعد التواضع أمام القدرة:

- تحرير الإنسان من طغيان الغرور بمنجزاته المادية، وتذكيره بأن وجوده مرتبط بمدى تحقيقه للأمانة الإلهية. (أصله: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ})

٥. بُعد نقد الضياع (الضلال البعيد):

- دعوة الإنسان لمراجعة مساره الفكري لضمان عدم ضياع عمره وجهده في مسارات تبتعد به عن الرشاد والنفع الحقيقي. (أصله: {ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ})

مشهد البروز وحوار الضعفاء والمستكبرين (٢١)

النص القرآني:

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ (٢١)

(سورة إبراهيم: ٢١)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا}: خرج الخلائق من قبورهم وظهروا أمام الله لا يخفى منهم خافية، {فَقَالَ الضُّعَفَاءُ}: [التابعون المنقادون]، {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا}: [للقادة والمتبوعين الذين أضلوهم]، {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا}: [كنا منقادين لأوامركم في الدنيا]، {فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ

عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ}: [فهل تقدرون اليوم على دفع أو تخفيف أي جزء من العقاب عنا؟]، {قَالُوا}: [أجاب المستكبرون عاجزين]، {لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ}: [لو وفقنا الله للرشاد لدللناكم عليه، ولكننا ضللنا فأضللناكم]، {سَوَاءٌ عَلَيْنَا}: [يستوي ويعدل عندنا]، {أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا}: [أظهرنا التوجع والاضطراب أم تجلدنا على الألم]، {مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ}: [ليس لنا مهرب ولا ملجأ ولا مفر من هذا العذاب]).

ثانياً: مرحلة النشر

لقد خرج الخلائق كلهم من قبورهم وظهروا أمام الله جميعاً لا يخفى منهم أحد، ففي ذلك الموقف العصيب قال التابعون المنقادون لقادتهم الذين أضلوهم واستكبروا في الدنيا: إننا كنا لكم أتباعاً نأتمر بأمركم، فهل أنتم اليوم قادرون على دفع أو تخفيف أي جزء من عذاب الله عنا؟ فأجاب المستكبرون وهم في غاية العجز: لو أن الله وفقنا لطريق الرشاد لدللناكم عليه، ولكننا ضللنا فأضللناكم، والآن يستوي عندنا وبجد سواء أظهرنا الجزع والتوجع أم تجلدنا وصبرنا، فليس لنا في هذا اليوم مهرب ولا مفر ولا ملجأ من عذاب الله.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. البروز لله يوم القيامة كاشف للحقائق ومسقط لكل ستر كان في الدنيا. (أصله: {وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا})

٢. التبعية العمياء للقادة المستكبرين تنتهي بالندم والمواجهة الخاسرة. (أصله: {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا})

٣. العجز المادي والروحي للمستكبرين يظهر جلياً حين يطالبهم أتباعهم بالحماية. (أصله: {فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا})

٤. التبرير بسلب الهداية "لو هدانا الله" هو اعتراف متأخر بضلال المنهج. (أصله: {لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ})

٥. المساواة في العذاب بين القائد والتابع تعكس المساواة في الجرم الفكري. (أصله: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا})

٦. فقدان المهرب (المحيص) يصور الإحاطة الشاملة بالظالمين وأتباعهم. (أصله: {مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ})

٧. الجزع والصبر في الآخرة يفقدان وظيفتهما الدنيوية لغياب أمل الفرج. (أصله: {أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا})

٨. اعتراف الضعفاء بتبعيتهم هو إقرار بالمسؤولية الشخصية عن ضلالهم. (أصله: {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا})

٩. الخطاب المباشر بين الضحايا والجناة يبرز العدالة الإلهية في المواجهة. (أصله: {فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا})

١٠. التنكير في "شيء" يظهر يأس الضعفاء ورغبتهم في أدنى درجات التخفيف. (أصله: {مِن شَيْءٍ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب تحمل المسؤولية الفردية عن العقيدة والسلوك وحرمة التذرع بتبعية القادة. (دليله: {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا})

٢. لزوم الإيمان بالبعث والبروز التام أمام الله للحساب. (دليله: {وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا})

٣. تحريم الاستكبار في الأرض وصرف الناس عن سبيل الله. (دليله: {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا})

٤. وجوب الحذر من ضلال المتبوعين لعدم نفعهم عند وقوع العذاب. (دليله: {فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الانكشاف الكوني:** يوم القيامة هو يوم البروز المطلق حيث تسقط كل الأقنعة. (دليله: {وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا})

٢. **قاعدة تلازم المصير:** القادة والأتباع في الضلال شركاء في الجزاء والعجز. (دليله: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا})

٣. **قاعدة المسؤولية الشخصية:** الانقياد للغير لا يعفي من مغبة الانحراف عن الحق. (دليله: {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا})

٤. **قاعدة انغلاق سبل النجاة:** من فرط في هداية الدنيا لم يجد في الآخرة مهرباً من النتائج. (دليله: {مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الحرية الفكرية (ضد التبعية):

- دعوة الإنسان لاستقلال عقله وعدم تسليم إرادته للمستكبرين، لأن الثمن سيكون دفع ضريبة الضلال منفرداً. (أصله: {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا})

٢. بُعد نقد النخبوية الزائفة (عجز المستكبرين):

- كشف زيف القوى المسيطرة التي تدعي الحماية والقدرة في الدنيا، بينما هي في الحقيقة أعجز من أن تنقذ نفسها. (أصله: {فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا})

٣. بُعد الحقيقة العارية (البروز):

- ترسيخ مفهوم الشفافية المطلقة أمام العدل الإلهي، حيث لا تنفع الوجاهة ولا المناصب في تغيير موازين الحق. (أصله: {وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا})

٤. بُعد النفسية المأزومة (الجزع والصبر):

- تصوير حالة الإفلاس الروحي حين يفقد الصبر قيمته ويصبح الجزع بلا جدوى، مما يحفز الإنسان على بناء "صبر" مجدٍ في الدنيا بالاستقامة. (أصله: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا})

خطاب الشيطان وانكشاف الخديعة (٢٢)

النص القرآني:

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)

(سورة إبراهيم: ٢٢)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَقَالَ الشَّيْطَانُ} [لأتباعه في النار]، {لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ} [وحُكم بين الخلائق]: {إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ} [في البعث والجزاء]، {وَوَعَدتُّكُمْ} [بالباطل] {فَأَخْلَفْتُكُمْ} [وعدي]، {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ} [من قوة أو حجة] {إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ} [بالوسوسة] {فَاسْتَجَبْتُمْ لِي} [باختياركم]، {فَلَا تَلُومُونِي} [اليوم] {وَلُومُوا أَنفُسَكُم} [على اتباعي]، {مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ} [بمغيثكم ومنقذكم] {وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ} [بمنقذيّ من عذاب الله]، {إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ} [بجعلكم لي شريكاً في الطاعة في الدنيا]، {إِنَّ الظَّالِمِينَ} [المتجاوزين للحق] {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [موجع]).

ثانياً: مرحلة النشر

لقد قال الشيطان لأتباعه في النار لما قضي الأمر وحكم بين الخلائق: إن الله وعدكم وعد الحق في البعث والجزاء فصدقكم، ووعدتكم أنا بالباطل فأخلفتكم وعدي، وما كان لي عليكم من سلطان أو قوة أو حجة إلا أن دعوتكم بالوسوسة فاستجبتم لي باختياركم، فلا تلوموني اليوم ولوموا أنفسكم على اتباعي، فما أنا بمغيثكم ومنقذكم وما أنتم بمنقذيّ من عذاب الله، إني كفرت بجعلكم لي شريكاً في الطاعة في الدنيا، وإن الظالمين المتجاوزين للحق لهم عذاب أليم وموجع.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الشيطان يقر بحقيقة الوعد الإلهي وصدقه حين لا ينفع الإقرار. (أصله: {إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ})

٢. الوعود الشيطانية قائمة على الإخلاف والتغرير منذ اللحظة الأولى. (أصله: {وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ})

٣. انعدام السلطة القهرية للشيطان على إرادة الإنسان. (أصله: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ})

٤. المسؤولية تقع على "الاستجابة" البشرية الواعية وليس على مجرد "الدعوة" الشيطانية. (أصله: {دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ})

٥. اللوم الحقيقي يجب أن يوجه للذات التي فرطت في اليقين واتبعت الوهم. (أصله: {فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم})

٦. سقوط روابط التناصر بين قوى الباطل في مواجهة العذاب. (أصله: {مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ})

٧. تبرؤ الشيطان من المشركين هو قمة الخذلان والمهانة للأتباع. (أصله: {إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ})

٨. الاعتراف بالذنب بعد فوات الأوان (قضاء الأمر) لا يغير من المصير شيئاً. (أصله: {لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ})

٩. الطاعة في الباطل هي نوع من أنواع "الإشراك" العملي. (أصله: {بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ})

١٠. الألم هو الثمرة الحتمية للظلم وتجاوز حدود الله. (أصله: {إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الحذر من وعود الشيطان وتحذير الناس من تلبيسه. (دليله: {وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ})

٢. لزوم تحمل المسؤولية الفردية عن القرارات والخيارات الإيمانية. (دليله: {فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم})

٣. حرمة إشراك غير الله في الطاعة المطلقة والانقياد. (دليله: {بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ})

٤. وجوب اليقين بوعد الله الحق والتمسك به أمام المغريات. (دليله: {إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة سقوط السلطان:** لا يملك الباطل سلطة إجبار على العقل والروح؛ فالخيار دائماً للإنسان. (دليله: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ})

٢. **قاعدة الانكشاف المتاخر:** الحقيقة تظهر لكل أحد عند "قضاء الأمر"، لكن التغيير يكون قد استحال. (دليله: {لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ})

٣. **قاعدة الخذلان المتبادل:** كل علاقة قامت على غير الحق تنتهي بالتبرؤ والعداء يوم الجزاء. (دليله: {مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ})

٤. **قاعدة عدالة اللوم:** اللوم يتبع الاختيار؛ فمن استجاب طوعاً فلومه لنفسه أولاً. (دليله: {فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد السيادة الشخصية (الإرادة الحرة):

- تأصيل فكرة أن الإنسان هو سيد قراره، وأن المؤثرات الخارجية (الوسوسة) لا تلغي مسؤولية الفرد عن اختياراته. (أصله: {وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ})

٢. بُعد نقد الوعود الزائفة (الوعي الإعلامي):

- التحذير من القوى التي تبني مجدها على الوعود البراقة الكاذبة (البروباغندا)، وضرورة التمسك بـ "وعد الحق" المستند للبرهان. (أصله: {وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ})

٣. بُعد الشجاعة الأخلاقية (مواجهة الذات):

- دعوة الإنسان لممارسة النقد الذاتي ولوم النفس عند الخطأ بدلاً من إلقاء التبعات على "مشجب" الظروف أو الآخرين. (أصله: {وَلُومُوا أَنفُسَكُم})

٤. بُعد انهيار التحالفات النفعية:

- التبصير بأن التحالفات القائمة على "الظلم" و"المصالح الزائلة" تنهار عند أول اختبار حقيقي، وتتحول إلى تبرؤ وعداء. (أصله: {إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ})

مستقر الأبرار وتحية السلام (٢٣)

النص القرآني:

وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣)

(سورة إبراهيم: ٢٣)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا} [بالله ورسله] {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [وفق شرعه] {جَنَّاتٍ} [بساتين واسعة] {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا} [من تحت قصورها وأشجارها] {الْأَنْهَارُ}، {خَالِدِينَ فِيهَا} [بقاءً أبدياً] {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} [بأمره وتوفيقه]، {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا} [عند لقاء بعضهم ولقاء الملائكة] {سَلَامٌ}).

ثانياً: مرحلة النشر

لقد أُدخل الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الأعمال الصالحات وفق شرعه جنات وبساتين واسعة تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، وهم باقون فيها بقاءً أبدياً بأمر ربهم وتوفيقه، وتحيتهم في تلك الجنات عند لقاء بعضهم بعضاً وعند لقاء الملائكة هي السلام.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الإيمان القلبي لا يكتمل إلا بالبرهان العملي المنتج للصلاح. (أصله: {آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ})

٢. الجزاء الإلهي يتجاوز مجرد النجاة إلى الرفاهية والجمال الكوني. (أصله: {جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ})

٣. الأمان المطلق يتحقق بفكرة "الخلود" التي تنهي هاجس الفناء. (أصله: {خَالِدِينَ فِيهَا})

٤. الفضل في دخول الجنة منسوب دائماً للمشيئة الإلهية لا لمحض العمل البشري. (أصله: {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ})

٥. "السلام" هو الشعار السائد والقيمة العليا في مجتمع الأبرار. (أصله: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ})

٦. الجنة هي المكان الذي تلتقي فيه الطبيعة (الأنهار) مع الروح (السلام). (أصله: {جَنَّاتٍ.. تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} + {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ})

٧. العمل الصالح هو تذكرة العبور إلى دار الإقامة الأبدية. (أصله: {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ})

٨. الربوبية تقتضي التربية في الدنيا والمجازاة بالإحسان في الآخرة. (أصله: {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ})

٩. تحويل "السلام" من مجرد كلمة إلى "تحية" رسمية يشير إلى سيادة الأمن النفسي. (أصله: {سَلَامٌ})

١٠. نظام الجنة نظام مؤسسي مبني على "الإذن" والترتيب الإلهي. (أصله: {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الجمع بين الإيمان والعمل الصالح لنيل رضاء الله ودخول جنته. (دليله: {وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ})

٢. لزوم الإيمان بالخلود الأبدي في الدار الآخرة للمؤمنين. (دليله: {خَالِدِينَ فِيهَا})

٣. سنّية إفشاء السلام كونه تحية أهل الجنة ومنهجهم. (دليله: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ})

٤. وجوب رد الفضل لله في كل توفيق دنيوي أو ثواب أخروي. (دليله: {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة اقتران الصلاح بالفلاح:** لا وصول للنعيم المقيم إلا بمرور الإنسان عبر بوابة العمل الصالح. (دليله: {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ})

٢. **قاعدة الارتهان بالإذن:** الجزاء ليس استحقاقاً ذاتياً بل هو منحة مرتبطة بالأمر الإلهي. (دليله: {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ})

٣. **قاعدة السيادة السلمية:** المجتمع الراقي (الحضارة المثالية) هو الذي يحكمه السلام في المنطق واللقاء. (دليله: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ})

٤. **قاعدة الأبدية الجزائية:** الثواب الإلهي لا ينقطع ولا يعتريه النقص بمرور الزمن. (دليله: {خَالِدِينَ فِيهَا})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الاستقرار الوجودي (الخلود):

- إشباع الرغبة الإنسانية الفطرية في البقاء، وتحرير الإنسان من القلق الوجودي المرتبط بالموت والعدم. (أصله: {خَالِدِينَ فِيهَا})

٢. بُعد الجمال البيئي والرفاه:

- التأكيد على أن السعادة الإنسانية تكتمل بوجود بيئة طبيعية متناغمة (أنهار، جنات)، مما يدعو للعناية بجمال الطبيعة في الدنيا. (أصله: {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ})

٣. بُعد المواطنة العالمية السلمية:

- تقديم "السلام" كتحية عالمية شاملة، وهي الغاية القصوى للتعايش البشري الراقي والمنزه عن الصراعات. (أصله: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ})

٤. بُعد تكامل النظرية والتطبيق:

- ترسيخ قيمة أن "الفكر" (الإيمان) لا ينتج واقعاً حضارياً (جنات) ما لم يتحول إلى "برنامج عمل" (الصالحات). (أصله: {آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ})

مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة (٢٤-٢٧)

النص القرآني:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)

(سورة إبراهيم: ٢٤-٢٧)

أولاً: مرحلة التيسير

({أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً}: [شأن الكلمة الطيبة في حسنها] {كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} [في صفتها] {أَصْلُهَا ثَابِتٌ} [جذرها راسخ] {وَفَرْعُهَا} [أعلاها] {فِي السَّمَاءِ} [في العلو]، {تُؤْتِي أُكُلَهَا} [تعطي ثمارها وما يؤكل منها] {كُلَّ حِينٍ} [في كل وقت] {بِإِذْنِ رَبِّهَا} [بأمره ومشيئته]، {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [ليعتبروا ويتعظوا]، {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ} [شأن الكلمة السيئة] {كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ} [في صفتها] {اجْتُثَّتْ} [اقتلعت] {مِن فَوْقِ الْأَرْضِ} [من مكانها] {مَا لَهَا مِن قَرَارٍ} [ليس لها استقرار ولا ثبات]، {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} [بالكلام الراسخ الحق] {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [في الموطنين]، {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ} [يبعدهم عن الهدى لظلمهم]، {وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [من التثبيت والإضلال بحكمته]).

ثانياً: مرحلة النشر

ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً شأن الكلمة الطيبة في حسنها كشجرة طيبة في صفتها، جذرها راسخ وأعلاها في العلو في السماء، تعطي ثمارها وما يؤكل منها في كل وقت بأمر الله ومشيئته، ويضرب الله هذه الأمثال للناس لعلهم يعتبرون ويتعظون. وفي المقابل فإن شأن الكلمة السيئة كشجرة خبيثة في صفتها اقتلعت من مكانها فوق الأرض فليس لها استقرار ولا ثبات، ويثبت الله الذين آمنوا بالكلام الراسخ الحق في الحياة الدنيا وفي الآخرة في الموطنين، ويبعد الله الظالمين عن الهدى لظلمهم، ويفعل الله ما يشاء من التثبيت والإضلال بحكمته.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني

١. الكلمة الطيبة كائن يجمع بين رسوخ الأساس وعلو الامتداد. (أصله: {أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ})

٢. الاستمرارية في العطاء والنفع صفة جوهرية للطيب من الكلام. (أصله: {تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ})

٣. ثمار الكلمة الطيبة محكومة بتقدير الخالق ومشيئته. (أصله: {بِإِذْنِ رَبِّهَا})

٤. الخبث في الكلمة يؤدي إلى فقدان الجذور ومن ثم فقدان البقاء. (أصله: {اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ})

٥. انعدام القرار والاستقرار هو المآل الحتمي لكل ما هو خبيث. (أصله: {مَا لَهَا مِن قَرَارٍ})

٦. ثبات القول هو منحة إلهية للمؤمنين في رحلتي الدنيا والآخرة. (أصله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا})

٧. الظلم هو العائق الذاتي الذي يحرم صاحبه من التثبيت ويقوده للضلال. (أصله: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ})

٨. التمثيل بالأشياء المحسوسة وسيلة لتقريب الحقائق المعنوية للذكرى. (أصله: {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ})

٩. العلو (في السماء) هو المقابل المباشر لثبات الأصل (في الأرض). (أصله: {أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ})

١٠. الفاعلية الإلهية (يفعل الله ما يشاء) هي المرجعية النهائية لمصائر البشر تثبيتاً وضلالاً. (أصله: {وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب لزوم الكلمة الطيبة لضمان النماء والثبات. (دليله: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً})

٢. تحريم الكلمة الخبيثة لكونها فاقدة للاستقرار والقرار. (دليله: {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ})

٣. لزوم الإيمان بالقدرة الإلهية على التثبيت في مواطن الامتحان. (دليله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا})

٤. وجوب تجنب الظلم لأنه سبب مباشر في الضلال الإلهي. (دليله: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة التلازم بين الطيب والنماء:** كل طيب يثمر نفعاً مستداماً بإذن ربه. (دليله: {كَلِمَةً طَيِّبَةً.. تُؤْتِي أُكُلَهَا})

٢. **قاعدة تهافت الباطل:** الخبث يقتلع نفسه من جذوره فلا يجد له مستقراً. (دليله: {اجْتُثَّتْ.. مَا لَهَا مِن قَرَارٍ})

٣. **قاعدة جزاء التثبيت:** الثبات في الدنيا والآخرة مكافأة مشروطة بالإيمان والقول الحق. (دليله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ})

٤. **قاعدة الفعل المشيئي:** لله مطلق الإرادة في توجيه الخلق وفقاً لاستحقاقهم (ظلم أو إيمان). (دليله: {وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد النوعية والجوهر (الطيب والخبث):

- التركيز على جودة المدخلات (الكلمة) لضمان جودة المخرجات (الأكل/الثمر) في البناء الإنساني. (أصله: {كَلِمَةً طَيِّبَةً})

٢. بُعد الرسوخ والامتداد:

- التوازن الحضاري يتطلب جذوراً فكرية عميقة وطموحاً يتطلع للعلو والسمو. (أصله: {أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ})

٣. بُعد الاستمرارية النفعية:

- قيمة الفكر والعمل تقاس بمدى استمراره في تقديم النفع عبر الزمن (كل حين). (أصله: {تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ})

٤. بُعد الثبات النفسي:

- حاجة الإنسان في لحظات التحول الكبرى (الحياة والآخرة) إلى ركيزة قولية ثابتة تمنحه التوازن. (أصله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا})

جحود النعمة ومصير دار البوار (٢٨–٣٠)

النص القرآني:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)

(سورة إبراهيم: ٢٨–٣٠)

أولاً: مرحلة التيسير

({أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا}: [ألم تنظر إلى شأن الذين استبدلوا شكر ما أنعم الله به عليهم بالجحود]، {وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ}: [وأنزلوا أتباعهم وناسهم دار الهلاك والدمار]، {جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا}: [يدخلونها ويقاسون حرها] {وَبِئْسَ الْقَرَارُ}: [وقبح ذلك المستقر والمكان]، {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا}: [واتخذوا لله شركاء ونظراء في العبادة] {لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ}: [ليبعدوا الناس عن طريق الله]، {قُلْ تَمَتَّعُوا}: [قل لهم استمتعوا بدنياكم قليلاً] {فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ}: [فإن مرجعكم ونهايتكم إلى عذاب الحريق]).

ثانياً: مرحلة النشر

ألم تنظر إلى شأن الذين استبدلوا شكر ما أنعم الله به عليهم بالجحود والكفر، وأنزلوا أتباعهم وناسهم دار الهلاك والدمار، وهي جهنم التي يدخلونها ويقاسون حرها وقبح ذلك المستقر والمكان، ولقد اتخذوا لله شركاء ونظراء في العبادة ليبعدوا الناس عن طريق الله، فقل لهم استمتعوا بدنياكم قليلاً فإن مرجعكم ونهايتكم المحتومة إلى عذاب الحريق.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. التبديل يشير إلى تحويل الوظيفة الوجودية للنعمة من الامتنان إلى الطغيان. (أصله: {بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا})

٢. القيادة الفكرية والسياسية المنحرفة هي المسؤولة عن سوق الجماعات نحو الهلاك. (أصله: {وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ})

٣. "دار البوار" تسمية دقيقة لمكان يتعطل فيه كل نماء بشري ويحل محله الكساد والضياع. (أصله: {دَارَ الْبَوارِ})

٤. الفعل البشري (التبديل) هو العلة المباشرة وراء المصير الكوني (جهنم). (أصله: {بَدَّلُوا.. جَهَنَّمَ})

٥. وصف جهنم بـ "بئس القرار" ينفي عنها صفة الاستقرار الآمن ويؤكد القلق الدائم. (أصله: {وَبِئْسَ الْقَرَارُ})

٦. اتخاذ الأنداد ليس مجرد خلل عقدي، بل هو استراتيجية منظمة للتضليل الاجتماعي. (أصله: {لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ})

٧. "التمتع" في سياق الوعيد هو استدراج زمني يكشف ضحالة اللذة مقابل عمق المصير. (أصله: {تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ})

٨. دلالة "أحلوا" تشير إلى التمكين المكاني في دار الهلاك كما لو كانت منزلاً اختاروه بأنفسهم. (أصله: {وَأَحَلُّوا})

٩. الكفر بالنعمة هو مقدمة منطقية لسقوط المنظومات الاجتماعية والسياسية (القوم). (أصله: {بَدَّلُوا.. وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ})

١٠. السبيل الإلهي واحد، والأنداد (البدائل الباطلة) متعددة ووظيفتها التشتيت عن هذا الواحد. (أصله: {لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ})

١١. لفظ "البوار" يتضمن دلالة الهلاك المادي والعقم المعنوي؛ فلا إنتاج ولا حياة. (أصله: {الْبَوارِ})

١٢. المقارنة الضمنية بين "النعمة" و"النار" تبرز اتساع الفجوة بين ما كان متاحاً وما أصبح واقعاً. (أصله: {نِعْمَتَ اللَّهِ.. إِلَى النَّارِ})

١٣. صلي جهنم (يصلونها) يفيد المباشرة والالتصاق بالعذاب جزاء المباشرة في كفر النعمة. (أصله: {يَصْلَوْنَهَا})

١٤. الأمر بالتمتع (قل تمتعوا) هو إعلان عن انتهاء فرص التغيير وبداية العد التنازلي للنهاية. (أصله: {تَمَتَّعُوا})

١٥. مسؤولية "القوم" تظهر في تبعيتهم لمن بدل نعمة الله، مما أدى لمشاركتهم في "دار البوار". (أصله: {وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ})

١٦. الربط بين "جعل الأنداد" و"الإضلال" يكشف أن الوثنية (القديمة والحديثة) وسيلة سيطرة وتحكم. (أصله: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا})

١٧. استبدال النعمة بالكفر يعكس خللاً في ميزان القيم، حيث يُقابل الإحسان بالإساءة. (أصله: {بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا})

١٨. "القرار" في النار هو استقرار الاضطراب، وهو تضاد معنوي يصور بشاعة العذاب. (أصله: {وَبِئْسَ الْقَرَارُ})

١٩. الخطاب الموجه للنبي (ألم تر) هو دعوة للتحليل التاريخي والواقعي لنماذج السقوط الحضاري. (أصله: {أَلَمْ تَرَ})

٢٠. المصير إلى النار ليس مجرد نهاية، بل هو "المرجع" الذي تؤول إليه كل أعمال الجحود. (أصله: {فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب شكر النعم وحرمة استبدالها بالكفر أو الطغيان. (دليله: {بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا})

٢. حرمة اتخاذ الأنداد والشركاء لله في أي شأن من شؤون الألوهية والتشريع. (دليله: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا})

٣. مسؤولية القادة عن مصائر أتباعهم ووجوب الحذر من الانقياد للمفسدين. (دليله: {وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ})

٤. لزوم الإيمان بجهنم داراً للعقاب وبئس المستقر للظالمين. (دليله: {جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة استبدال النعمة:** من لم يشكر النعمة فقد عرض نفسه وقومه لزوالها ولحلول الهلاك محلها. (دليله: {بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا.. دَارَ الْبَوارِ})

٢. **قاعدة التبعية والهلاك:** الجماعات تشرك قادتها في المصير كما أشركتهم في المسير المنحرف. (دليله: {وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ})

٣. **قاعدة الإضلال الممنهج:** كل ندّ يوضع في مقابل الحق وظيفته الأساسية هي التشتيت عن السبيل المستقيم. (دليله: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا})

٤. **قاعدة حتمية المصير:** التمتع بالباطل قصير ومحدود، والنهاية تؤول دائماً إلى مقتضى العدل الإلهي. (دليله: {تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد المسؤولية الحضارية:

- التحذير من النخب التي تستغل النعم والموارد لتحقيق مآرب ضيقة تؤدي في النهاية إلى "بوار" المجتمع بأكمله. (أصله: {وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ})

٢. بُعد سيكولوجية الجحود:

- دراسة حالة الانقلاب النفسي حيث تتحول النعمة (التي هي سبب السعادة) إلى وسيلة للتمرد والكفر، مما يفكك الروابط الأخلاقية. (أصله: {بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا})

٣. بُعد نقد الرفاهية الزائفة:

- التمييز بين "التمتع" المؤقت الذي يعقبه الدمار، وبين "الاستقرار" الحقيقي القائم على الشكر والعدل. (أصله: {قُلْ تَمَتَّعُوا})

٤. بُعد الأمن المجتمعي والسبيل الواحد:

- التأكيد على أن تشتيت المرجعيات (الأنداد) يؤدي إلى ضياع السبيل الموحد للمجتمع، مما يسبب التيه والانهيار. (أصله: {لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ})

توجيهات للمؤمنين قبل يوم الحساب (٣١)

النص القرآني:

قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١)

(سورة إبراهيم: ٣١)

أولاً: مرحلة التيسير

({قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا} [أمرهم]: {يُقِيمُوا الصَّلَاةَ} [بأركانها]، {وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} [جزءاً] {سِرًّا وَعَلَانِيَةً} [بالخفاء والجهر]، {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ} [القيامة] {لَّا بَيْعٌ فِيهِ} [لا فداء] {وَلَا خِلَالٌ} [لا صداقة]).

ثانياً: مرحلة النشر

قل يا محمد لعبادي الذين آمنوا أمرهم بأن يقيموا الصلاة بأركانها، وينفقوا مما رزقناهم جزءاً في الخفاء والجهر، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا فداء فيه بالأموال ولا تنفع فيه صداقة الخلان.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. إضافة العباد إلى ياء المتكلم (عبادي) تشريف وتلطف يستنهض همم المؤمنين للاستجابة. (أصله: {لِّعِبَادِيَ})

٢. الإيمان يقتضي ترجمة فورية عبر شعيرة بدنية (الصلاة) وشعيرة مالية (الإنفاق). (أصله: {آمَنُوا يُقِيمُوا.. وَيُنفِقُوا})

٣. الصلاة هي الركن الركين الذي يضبط علاقة العبد بخالقه. (أصله: {يُقِيمُوا الصَّلَاةَ})

٤. الإنفاق اختبار لمدى تحرر الإنسان من عبودية المادة لصالح عبودية الله. (أصله: {وَيُنفِقُوا})

٥. "مما رزقناهم" إشارة إلى أن المنفق إنما ينفق من فضل الله عليه لا من كسبه المحض. (أصله: {مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ})

٦. شمولية الإنفاق (سراً وعلانية) تستهدف تطهير النفس من الرياء وتشجيع المجتمع على التكافل. (أصله: {سِرًّا وَعَلَانِيَةً})

٧. استباق الزمن (من قبل أن يأتي) يحث على اغتنام الفرص المتاحة قبل فوات القدرة. (أصله: {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ})

٨. نفي "البيع" يعني انقطاع جدوى المادة والمال في افتداء النفس من الحساب. (أصله: {لَّا بَيْعٌ فِيهِ})

٩. نفي "الخلال" يعني سقوط الرهان على المحسوبيات والروابط الاجتماعية الشخصية. (أصله: {وَلَا خِلَالٌ})

١٠. الآية ترسم ملامح الشخصية المؤمنة المتوازنة بين الحق الإلهي (الصلاة) والحق المجتمعي (الإنفاق). (أصله: {الصَّلَاةَ.. وَيُنفِقُوا})

١١. لفظ "يقيموا" يوحي بوجوب الاستمرارية والإتقان لا مجرد الأداء الصوري. (أصله: {يُقِيمُوا})

١٢. التنكير في "يوم" يضفي نوعاً من التهويل والتعظيم لخطورة ذلك الزمان. (أصله: {يَوْمٌ})

١٣. التقديم في "سراً" قد يشير إلى أفضلية الخفاء لسلامة الإخلاص، وعطف "علانية" لبيان مشروعية الاقتداء. (أصله: {سِرًّا وَعَلَانِيَةً})

١٤. الربط بين الرزق والإنفاق (رزقناهم/ينفقوا) يؤكد أن المال وسيلة اختبار لا غاية بقاء. (أصله: {رَزَقْنَاهُمْ.. يُنفِقُوا})

١٥. الانقطاع التام للوسائل الدنيوية (بيع/خلال) يوجه القلب للتصحيح مع "الوكيل" الأوحد وهو الله. (أصله: {لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ})

١٦. الإيمان هنا هو "المحرك" والعمل هو "الناتج"، ولا قيمة لأحدهما دون الآخر. (أصله: {آمَنُوا يُقِيمُوا})

١٧. "مما" للتبعيض، رحمة بالعباد إذ لم يطلب منهم إنفاق كل ما يملكون. (أصله: {مِمَّا})

١٨. الإشارة إلى "الخلال" (الصداقة) تنبيه إلى أن أوثق الروابط البشرية تتقطع أمام عدالة الحساب. (أصله: {وَلَا خِلَالٌ})

١٩. التوجيه بالقول (قل) يحمل النبي والعلماء مسؤولية التبليغ المستمر لهذه التوجيهات. (أصله: {قُل})

٢٠. الآية تمثل دستوراً وقائياً قبل وقوع "الكارثة الوجودية" يوم القيامة. (أصله: {مِّن قَبْلِ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب إقامة الصلاة كفريضة أساسية على كل من اتصف بالإيمان. (دليله: {يُقِيمُوا الصَّلَاةَ})

٢. وجوب الإنفاق من رزق الله (الزكاة والصدقة) لدعم المحتاجين وتحقيق التكافل. (دليله: {وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ})

٣. استحباب تنويع سبل الإنفاق بين السر والعلن حسب ما تقتضيه المصلحة والإخلاص. (دليله: {سِرًّا وَعَلَانِيَةً})

٤. وجوب الاستعداد ليوم القيامة بالعمل قبل انقطاع وسيلة الافتداء والشفاعة. (دليله: {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة العمل الوقائي**: حقيقة العقل هي العمل في زمن السعة (الدنيا) اتقاءً لزمن الضيق (الآخرة). (دليله: {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ})

٢. **قاعدة سقوط الوساطات**: يوم القيامة هو يوم الفردية المحضة حيث تبطل عقود المعاوضة (البيع) وعلاقات المودة (الخلال). (دليله: {لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ})

٣. **قاعدة تلازم العبادات**: الصلاح البشري يقوم على ساقين: تطهير الروح (الصلاة) وتزكية المال (الإنفاق). (دليله: {يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا})

٤. **قاعدة استحقاق النسبة**: تشريف العباد بالنسب الإلهي (عبادي) مشروط بتحقيق مقتضيات الإيمان عملاً. (دليله: {قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد التكافل الاجتماعي:

- تحويل المال من أداة للاكتناز إلى وسيلة لتدوير النفع العام، مما يقلل الفوارق الطبقية ويحقق السلم المجتمعي. (أصله: {وَيُنفِقُوا})

٢. بُعد الانضباط الروحي:

- دور الصلاة في صياغة شخصية منضبطة ومستقيمة، قادرة على مواجهة ضغوط الحياة عبر الاتصال بالخالق. (أصله: {يُقِيمُوا الصَّلَاةَ})

٣. بُعد إدارة الزمن والفرص:

- غرس ثقافة "الاستباق" و"المبادرة" في الوعي الإنساني، فالحياة فرصة محدودة يجب استغلالها قبل فوات الأوان. (أصله: {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ})

٤. بُعد التجرد من المادية والصداقات الزائفة:

- بناء وعي إنساني يدرك أن القيم المعنوية والعمل الصالح هما الرصيد الوحيد الدائم، بينما الماديات والروابط المصلحية زائلة. (أصله: {لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ})

تسخير الكون ودلائل الربوبية (٣٢–٣٤)

النص القرآني:

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)

(سورة إبراهيم: ٣٢–٣٤)

أولاً: مرحلة التيسير

({اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [أوجدهما]، {وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} [مطراً] {فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ} [قوتاً]، {وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ} [السفن] {لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ}

[بتقديره]، {وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ} [لشربكم وزرعكم]. {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ} [مستمرين في حركتهما]، {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [للسكن والعمل]. {وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ} [حاجاتكم]، {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [لا تطيقوا حصرها]، {إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [كثير الجحود]).

ثانياً: مرحلة النشر

الله هو الذي أوجد السماوات والأرض، وأنزل من السماء مطراً فأخرج به من الثمرات قوتاً لكم، ويسر لكم السفن لتمضي في البحر بتقديره، ويسر لكم الأنهار لشربكم وزرعكم. كما يسر لكم الشمس والقمر مستمرين في حركتهما، ويسر لكم الليل للسكن والنهار للعمل، وأعطاكم من كل حاجاتكم التي سألتموها، وإن تحاولوا حصر نعم الله لا تطيقوا عدها، غير أن الإنسان كثير الظلم لنفسه وكثير الجحود لفضل ربه.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. الخلق الابتداعي (السماوات والأرض) هو البرهان الأكبر على استحقاق الألوهية. (أصله: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ})

٢. الربط بين إنزال الماء وخروج الرزق يشير إلى قانون السببية الذي أودعه الله في الكون. (أصله: {فَأَخْرَجَ بِهِ})

٣. التسخير يعني تطويع القوانين الطبيعية لتكون في خدمة الكائن البشري. (أصله: {وَسَخَّرَ لَكُمُ})

٤. جريان السفن (الفلك) مرتبط بالأمر الإلهي (القوانين الفيزيائية) وليس بمجرد جهد البشر. (أصله: {بِأَمْرِهِ})

٥. "الأنهار" تظهر كعنصر استقرار ونماء محلي مقابل "البحر" كعنصر حركة وتواصل عالمي. (أصله: {الْفُلْكَ.. الْأَنْهَارَ})

٦. دوام الشمس والقمر (دائبين) يضمن استقرار النظم البيئية والزمنية الضرورية للحياة. (أصله: {دَائِبَيْنِ})

٧. تعاقب الليل والنهار تسخير لوظائف حيوية بشرية (الراحة والنشاط). (أصله: {اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ})

٨. العطاء الإلهي (وآتاكم) يشمل الإجابة للمطالب الصريحة والاحتياجات الضمنية. (أصله: {مَا سَأَلْتُمُوهُ})

٩. عجز الإحصاء (لا تحصوها) ناتج عن كثافة النعم وتداخلها في كل تفاصيل الوجود. (أصله: {لَا تُحْصُوهَا})

١٠. الوصف بـ "ظلوم كفار" يشخص حالة الانفصام بين وفرة النعم وبين رد الفعل البشري الجاحد. (أصله: {لَظَلُومٌ كَفَّارٌ})

١١. تقديم "خلق السماوات" على "إنزال الماء" هو تدرج من الكلي المطلق إلى الجزئي الملامس لحاجة الإنسان. (أصله: {خَلَقَ.. وَأَنزَلَ})

١٢. إضافة "لكم" في مواضع التسخير تؤكد أن الإنسان هو "مركز" العناية في هذا التصميم الكوني. (أصله: {وَسَخَّرَ لَكُمُ})

١٣. كلمة "دائبين" تلغي فكرة العبثية في حركة الأجرام، وتثبت فكرة "النظام" الصارم. (أصله: {دَائِبَيْنِ})

١٤. النعمة في الآية جاءت مفردة (نعمة الله) لتشير إلى أن "النوع" الواحد من النعم يندرج تحته ما لا يحصى من الأفراد. (أصله: {نِعْمَتَ اللَّهِ})

١٥. الجمع بين "ظلوم" (في حق النفس والآخرين) و"كفار" (في حق الخالق) يصور السقوط الأخلاقي الشامل. (أصله: {لَظَلُومٌ كَفَّارٌ})

١٦. "سألتموه" تدل على أن الله يستجيب للفطرة واللسان، مما يعمق رابطة الدعاء. (أصله: {سَأَلْتُمُوهُ})

١٧. تسخير الأنهار والبحار يشير إلى تمليك الإنسان لوسائل النقل ومصادر المياه. (أصله: {الْفُلْكَ.. الْأَنْهَارَ})

١٨. الإخراج من الثمرات "رزقاً" يوضح أن الغاية من الإنبات هي استمرارية الحياة البشرية. (أصله: {رِزْقًا لَّكُمْ})

١٩. الآيات تبني تصوراً كونياً يربط بين السماء (المطر والشمس) والأرض (الأنهار والثمرات). (أصله: {السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ})

٢٠. الاعتراف بالعجز عن الإحصاء هو قمة الشكر المعرفي لله. (أصله: {لَا تُحْصُوهَا})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بإنفراد الله بالخلق والتدبير والتسخير. (دليله: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ})

٢. لزوم شكر الله على نعمة تسخير الكائنات والأجرام لخدمة الإنسان. (دليله: {وَسَخَّرَ لَكُمُ})

٣. حرمة جحود النعم (الكفر) ووجوب الاعتراف بالفضل الإلهي. (دليله: {إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ})

٤. استحباب الدعاء والطلب من الله كونه المعطي لكل سؤل. (دليله: {وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة التسخير للعمارة**: الكون مصمم ومهيأ (مسخر) ليديره الإنسان ويستفيد منه، وليس كائناً معادياً له. (دليله: {وَسَخَّرَ لَكُمُ})

٢. **قاعدة عجز الحصر**: نعم الله محيطة بالإنسان لدرجة تجعل الإحاطة بها رياضياً أو ذهنياً أمراً مستحيلاً. (دليله: {لَا تُحْصُوهَا})

٣. **قاعدة الاقتران السببي**: المسببات (الثمرات) مرتبطة بالأسباب (الماء) وبإرادة المسبب (الله). (أصله: {فَأَخْرَجَ بِهِ})

٤. **قاعدة استجابة الغنى**: فضل الله واسع يعطي السائلين من خزائنه التي لا تنفد. (دليله: {وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد التناغم الكوني:

- رؤية الكون كمنظومة متكاملة تعمل بدقة (دائبين) لتوفير بيئة صالحة للحياة، مما يدعو للإعجاب العلمي والخشوع الروحي. (أصله: {الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ})

٢. بُعد التنمية المائية والغذائية:

- التنبيه إلى أهمية الموارد (الأنهار، المطر) والإنتاج (الثمرات) كأعمدة للحضارة البشرية المسخرة. (أصله: {الْأَنْهَارَ.. الثَّمَرَاتِ})

٣. بُعد الملاحة والتواصل:

- الإشارة إلى تسخير البحر (الفلك) كبُعد حضاري يربط الشعوب ويحقق التبادل التجاري والمعرفي. (أصله: {لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ})

٤. بُعد نقد الجحود البشري:

- مواجهة "الأنانية" البشرية التي تستفيد من كل هذه المنظومة ثم تقابلها بالظلم والكفر، ودعوة لتصحيح المسار الأخلاقي. (أصله: {لَظَلُومٌ كَفَّارٌ})

"دعاء ومواقف إبراهيم عليه السلام " (35–41)

النص القرآني:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (36) رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41)﴾ **سورة إبراهيم (35–41)**

أولاً: مرحلة التيسير

(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد) مكة (آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) أي ابعدنا عنها، (رب إنهن) أي الأصنام (أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني) على التوحيد (فإنه مني) أي على ديني (ومن عصاني فإنك غفور رحيم) بفضلك. (ربنا إني أسكنت من ذريتي) إسماعيل وأمه (بوادٍ غير ذي زرع) لا نبات فيه (عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) تحن إليهم (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون). (ربنا إنك تعلم ما نخفي) في قلوبنا (وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء. الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) بعد كبر سني (إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء. رب اجعلني مقيم

الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء. ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أي يوم القيامة.

ثانياً: مرحلة النثر

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم، ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون، ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء، رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء، ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب؛ فإبراهيم الخليل يبتهل لربه بطلب الأمن لبلده والحماية لذريته من ضلال الأوثان التي فتن بها الخلق، معلناً انحيازه لمن اتبع نهجه، ومستودعاً أهله في وادٍ مقفر بجوار البيت المعظم لغرض إقامة الصلاة، سائلاً ربه جلب المودة والرزق لهم، ومعترفاً بإحاطة العلم الإلهي بظواهر الأمور وبواطنها، وحامداً ربه على عطاء الذرية في حال العجز، ومستزيداً من معونة الله على الصلاة، وطالباً المغفرة الشاملة له وللمؤمنين في يوم الحجز الأكبر.

ثالثاً: مرحلة المعاني

1. مركزية الأمن في استقرار المجتمعات وازدهار العبادة. (أصله: رب اجعل هذا البلد آمناً).
2. الخوف من الانحراف العقدي يطال حتى كبار الأنبياء وذرياتهم. (أصله: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام).
3. الفتنة بالأشياء الجامدة (الأصنام) سبب تاريخي لضلال الأمم. (أصله: إنهن أضللن كثيراً من الناس).

4. الولاء الحقيقي يقوم على اتباع المنهج لا على القرابة المجردة. (أصله: فمن تبعني فإنه مني).

5. التفويض المطلق لله في شأن المخالفين مع التماس المغفرة والرحمة. (أصله: ومن عصاني فإنك غفور رحيم).

6. التضحية بالرفاه المادي في سبيل غايات روحية عليا "إقامة الصلاة". (أصله: بوادٍ غير ذي زرع... ليقيموا الصلاة).

7. الحب والمودة بين الناس رزق من الله يُطلب بالدعاء. (أصله: فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم).

8. التكامل بين الغذاء الروحي (الصلاة) والغذاء المادي (الثمرات). (أصله: ليقيموا الصلاة... وارزقهم من الثمرات).

9. إحاطة العلم الإلهي بالمشاعر الدفينة والأعمال الظاهرة والكون الفسيح. (أصله: تعلم ما نخفي وما نعلن...).

10. الشكر على هبات الله الاستثنائية التي تأتي بعد يأس أو كبر. (أصله: وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق).

11. الصلاة ليست مجرد فعل عابر بل مقام يتطلب الثبات والمعونة الإلهية. (أصله: رب اجعلني مقيم الصلاة).

12. شمولية الاستغفار للوالدين ولجماعة المؤمنين في أفق يوم الحساب. (أصله: اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين).

رابعاً: مرحلة الأحكام

1. وجوب دعاء الله لتأمين الأوطان وحماية العقيدة. (دليله: رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني...).

2. استحباب إبعاد الذرية عن مواطن الفتن والضلال. (دليله: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام).

3. مشروعية الهجرة أو الإسكان في بقاع مباركة لغرض العبادة. (دليله: أسكنت من ذريتي... عند بيتك المحرم).

4. وجوب العمل على إقامة الصلاة كأولوية في بناء المجتمع. (دليله: ربنا ليقيموا الصلاة).

5. استحباب الثناء على الله والاعتراف بفضله عند تجدد النعم. (دليله: الحمد لله الذي وهب لي...).

6. وجوب بر الوالدين بالدعاء لهما بالمغفرة. (دليله: ربنا اغفر لي ولوالدي).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

1. قاعدة الأمن العقدي: سلامة الفكر من الأوثان مقدمة على سلامة الأبدان. (الدليل: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام).

2. قاعدة الاستجابة الشاملة: الله سميع للدعاء في كل الأحوال والظروف. (الدليل: إن ربي لسميع الدعاء).

3. قاعدة العلم المطلق: لا حجاب بين الخالق وخلقه في الأرض ولا في السماء. (الدليل: وما يخفى على الله من شيء...).

4. قاعدة الشكر والاستبقاء: الرزق يُستجلب بالصلاة ويُستدام بالشكر. (الدليل: ليقيموا الصلاة... لعلهم يشكرون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

1. الاستقرار والسكينة الحضرية:

تعريف: اعتبار الأمن النفسي والمدني حجر الأساس لأي تجمع بشري ناجح.

(أصله: رب اجعل هذا البلد آمناً).

2. التربية الرسالية عبر الأجيال:

تعريف: اهتمام الإنسان بصلاح نسله وربطهم بمنظومة قيمية صلبة تتجاوز المصالح الآنية.

(أصله: واجنبني وبني... ومن ذريتي).

3. الانفتاح على الآخر المؤمن (العالمية):

تعريف: شعور المؤمن بالرابطة الإنسانية التي تجمعه مع والديه ومع سائر المؤمنين في وحدة مصيرية.

(أصله: ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب).

انذار الكافرين **(42–52)**

النص القرآني:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (43) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (44) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (47) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ

مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (49) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (50) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (51) هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (52)﴾ **سورة إبراهيم (42–52)**

أولاً: مرحلة التيسير

(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) من كفر واعتداء (إنما يؤخرهم) أي يمهلهم (ليوم تشخص فيه الأبصار) من هوله (مهطعين) أي مسرعين (مقنعي رؤوسهم) رافعيها بذلة (لا يرتد إليهم طرفهم) من الخوف (وأفئدتهم هواء) خالية من كل خير. (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل) فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) عن الدنيا. (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) من الأمم السابقة (وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) فيهم. (وقد مكروا مكرهم) السيء (وعند الله مكرهم) أي علمه وجزاؤه (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) لعظمه. (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار. وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد) أي بالسلاسل (سرابيلهم من قطران) ثيابهم منه (وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب. هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب) أي أصحاب العقول.

ثانياً: مرحلة النشر

ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء، وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل، أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم

من زوال، وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال، وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله، إن الله عزيز ذو انتقام، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار، وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد، سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب، هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب؛ فالله ليس غافلاً عن ظلم المعتدين بل هو تأخير لميقات عظيم يذل فيه المتكبرون ويطلبون الرجعة بعد فوات الأوان، وقد غفلوا عن مصائر من سبقهم رغم سكنهم ديارهم ورؤية آثارهم، والكون كله مقبل على تبدل جذري يبرز فيه الخلق للقوي الغالب، لتنال كل نفس جزاء كدحها، في بلاغ كافٍ لمن كان له عقل يذكر به وحدانية الخالق.

ثالثاً: مرحلة المعاني

1. إثبات الرقابة الإلهية المطلقة ونفي الغفلة عن أفعال العباد. (أصله: ولا تحسبن الله غافلاً).
2. الحكمة من إمهال الظالمين هي الاستدراج لميقات الحساب الأكبر. (أصله: إنما يؤخرهم ليوم...).
3. تصوير الانهيار النفسي والجسدي للظالمين عند معاينة الهول. (أصله: تشخص فيه الأبصار... وأفئدتهم هواء).
4. التحذير من لحظة "الندم المتأخر" وطلب العودة المستحيلة. (أصله: ربنا أخرنا إلى أجل قريب).
5. الاعتبار بمصائر الأمم الغابرة وسقوط أوهام الخلود المادي. (أصله: وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم).

6. المكر البشري مهما عظم وقوي فإنه محاط بالقدرة الإلهية. (أصله: وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال).

7. حتمية نصر الله لرسله وتحقق وعده الذي لا يخلف. (أصله: فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله).

8. التغيير الكوني الشامل وتبديل قوانين المادة يوم القيامة. (أصله: يوم تبدل الأرض غير الأرض).

9. البروز العلني والانفراد التام بين الخالق والمخلوق. (أصله: وبرزوا لله الواحد القهار).

10. العدالة المطلقة تقوم على مبدأ الكسب الشخصي والمسؤولية الفردية. (أصله: ليجزي الله كل نفس ما كسبت).

11. الغاية من الوحي هي الإنذار وتحريك العقول نحو التوحيد. (أصله: وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب).

رابعاً: مرحلة الأحكام

1. تحريم الظلم والاعتداء، واليقين بأن الإمهال ليس إهمالاً. (دليله: ولا تحسبن الله غافلاً).

2. وجوب الإنذار بالعواقب الأخروية لمن طغى وبغى. (دليله: وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب).

3. وجوب الاعتبار بآثار السابقين وتجنب أخطائهم العقدية والعملية. (دليله: وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم).

4. وجوب الإيمان بتبدل الدار الدنيا والبعث للحساب. (دليله: يوم تبدل الأرض غير الأرض).

5. استحقاق المجرمين للعقوبة المادية والنفسية جزاء كسبهم. (دليله: مقرنين في الأصفاد... ما كسبت).

6. فرضية تدبر القرآن وإعمال العقل في آيات البلاغ. (دليله: وليذكر أولو الألباب).

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

1. قاعدة الجزاء من جنس العمل: المصير محكوم بما كسبت النفس لا بالأماني. (الدليل: ليجزي الله كل نفس ما كسبت).

2. قاعدة السيادة الإلهية: الكون يؤول في نهايته إلى الواحد القهار بتبدل صورته المادية. (الدليل: وبرزوا لله الواحد القهار).

3. قاعدة الثبات في الوعد: السنن الإلهية في نصر الحق باقية لا تتخلف. (الدليل: فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله).

4. قاعدة البلاغ والبيان: الحجة قائمة على الناس بوضوح الرسالة ووحدانية المعبود. (الدليل: هذا بلاغ للناس).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

1. العدالة الناجزة (إنصاف المظلومين):

تعريف: بث الطمأنينة في نفوس المستضعفين بأن حقوقهم محفوظة في نظام كوني لا يغفل.

(أصله: ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون).

2. الوعي التاريخي (سنن الاستبدال):

تعريف: إدراك أن القوة المادية لا تمنح الخلود، وأن العبرة بخواتيم الأمم التي سكنت الأرض قبلنا.

(أصله: وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم).

3. المسؤولية الفردية الكبرى:

تعريف: تحرير الإنسان من سلطة التبريرات الجماعية وتأكيده كمحاسب عن كسبه الشخصي.

(أصله: ليجزي الله كل نفس ما كسبت).

سورة الحجر

(مفاتيح البيان وحسرة الفوات)[3-1]

النص القرآني:

﴿الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ (1) رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3)﴾ [سورة الحجر: 1-3]

1.مرحلة التيسير

(هذه) الر تلك آيات الكتاب (الكامل) وقرآن مبين (كاشف للحق)، ربما يود الذين كفروا (يوم القيامة) لو كانوا (في الدنيا) مسلمين، ذرهم يأكلوا ويتمتعوا (بشهواتهم) ويلههم الأمل (الطويل) فسوف يعلمون (عاقبة كفرهم).

2.مرحلة النشر

هذه الر تلك آيات الكتاب الكامل وقرآن مبين كاشف للحق، ربما يود الذين كفروا يوم القيامة لو كانوا في الدنيا مسلمين، ذرهم يأكلوا ويتمتعوا بشهواتهم ويلههم الأمل الطويل فسوف يعلمون عاقبة كفرهم.

3.مرحلة المعاني

- المرجعية العليا للكتاب والقرآن في تبيان الحقائق. (أصله: تلك آيات الكتاب وقرآن مبين).

- انكشاف الحقيقة يولد رغبة حارقة في تصحيح المسار الفائت. (أصله: يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين).
- الاستهلاك المادي المحض يعطل حاسة الإدراك الوجودي. (أصله: يأكلوا ويتمتعوا).
- التخدير النفسي بطول الأمل يحجب رؤية المصير. (أصله: ويلههم الأمل).
- حتمية العاقبة المعرفية بعد رحلة الغفلة. (أصله: فسوف يعلمون).

.4مرحلة الأحكام

1. وجوب التمسك ببيان القرآن بصفته المرجع الكاشف. (دليله: وقرآن مبين).
2. تحريم الانغماس في الغريزة الاستهلاكية لدرجة الإلهاء. (دليله: ذرهم يأكلوا ويتمتعوا).
3. وجوب الحذر من طول الأمل الصارف عن الاستعداد. (دليله: ويلههم الأمل).

.5مرحلة القواعد الكلية

- قاعدة: النص الإلهي معيار الوضوح الكوني. (الدليل: وقرآن مبين).
- قاعدة: الاستغراق في المادة يورث غفلة عن المصير. (الدليل: ويلههم الأمل).

.6الأبعاد الإنسانية والحضارية

- **البعد المعرفي** :يتجلى في تحرير العقل من الغموض عبر البيان، فالقرآن يمنح الإنسان رؤية واضحة للكون والحياة. (أصله: وقرآن مبين).
- **البعد النفسي** :تحليل سيكولوجية التمني المتأخر وكيف يصطدم الوعي البشري بالحقيقة عند زوال موانع الغفلة. (أصله: يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) .

(حتمية الأجل وحفظ الذكر الإلهي)[9-4]

النص القرآني:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (4) مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (5) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (6) لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (7) مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ (8) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾ [سورة الحجر: 4-9]

.1مرحلة التيسير (الترميم النصي)

وما أهلكنا من قرية (ظالمة) إلا ولها كتاب (مكتوب وأجل) معلوم، ما تسبق من أمة أجلها (المقدر) وما يستأخرون (عنه)، وقالوا (تهكماً) يا أيها الذي نُزّل عليه الذكر إنك لمجنون، لو ما (هلا) تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين (في دعواك)، ما ننزل الملائكة إلا بالحق (والعذاب) وما كانوا إذاً منظرين (أي مؤخرين)، إنا نحن نزلنا الذكر (القرآن) وإنا له لحافظون (من كل تحريف).

.2مرحلة النثر (السبك الأدبي)

إن سنّة الإهلاك لا تحل بأمة إلا وفق ميقات مدون وأجل مقدر لا يتقدم ولا يتأخر، ورغم هذا الوضوح فقد رمى الجاحدون المتلقي للوحي بالجنون مطالبين بحضور الملائكة كشرط للتصديق، فكان الرد بأن تنزل الملائكة لا يكون إلا بالحق الذي يعقبه الفناء دون إمهال، مع التأكيد المطلق بأن هذا الوحي منزّل بمراد إلهي وهو باقٍ بحفظه الذي لا يطاله تبديل.

.3مرحلة المعاني (الاستنطاق الشمولي)

- حتمية النظام القدري في زوال المجتمعات. (أصله: إلا ولها كتاب معلوم).
- انضباط الزمن التاريخي للأمم وعدم عشوائيته. (أصله: ما تسبق من أمة أجلها).
- مواجهة التنزيل بالاتهام النفسي (الجنون) هروباً من الحجة. (أصله: إنك لمجنون).

- التحدي بطلب الخوارق كالملائكة علامة على العناد. (أصله: لو ما تأتينا بالملائكة).
- الحكمة الإلهية تربط تنزل الغيب باستحقاق العقاب الحاسم. (أصله: ما ننزل الملائكة إلا بالحق).
- انتفاء الإمهال بمجرد ظهور الآيات الكبرى. (أصله: وما كانوا إذاً منظرين).
- المصدرية الإلهية الصرفة للنص القرآني. (أصله: إنا نحن نزلنا الذكر).
- تأبيد النص وحمايته من التلاشي أو التغيير. (أصله: وإنا له لحافظون).

.4مرحلة الأحكام (الاستنباط الإلزامي)

1. وجوب الإيمان بالتوقيت الإلهي للأحداث الكبرى. (دليله: إلا ولها كتاب معلوم).
2. حرمة التطاول على حملة الوحي بالوصف المهين. (دليله: وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون).
3. الكف عن طلب المعجزات الحسية بعد قيام الحجة العقلية. (دليله: لو ما تأتينا بالملائكة).
4. القطع بسلامة القرآن من أي إضافة أو نقصان. (دليله: وإنا له لحافظون).

.5مرحلة القواعد الكلية (التقنين الوجودي)

- قاعدة: الوجود التاريخي محكوم بالأجل المسمى. (الدليل: ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون).
- قاعدة: تجلي الحقيقة المطلقة ينهي زمن الاختيار. (الدليل: وما كانوا إذاً منظرين).
- قاعدة: الحفظ الإلهي للذكر قانون ثابت يتجاوز الزمن. (الدليل: وإنا له لحافظون).

.6الأبعاد الإنسانية والحضارية

- **البعد التاريخي** :فهم حركة الأمم بوصفها صيرورة لها بداية ونهاية وليست فوضى، مما يعين على الاتعاظ الحضاري. (أصله: وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم).

- **البعد النفسي المعرفي** :رصد سلوك "الإنكار الدفاعي" الذي يلجأ إليه الإنسان حين يواجه حقيقة كبرى بطلب المعجزات أو الاتهام بالخبل. (أصله: لو ما تأتينا بالملائكة).

- **البعد الاتصالي** :ضمان أمن الرسالة، حيث يطمئن الإنسان إلى ثبات المرجع المعرفي (الذكر) واستحالته على العبث. (أصله: وإنا له لحافظون) .

(تراتبية التكذيب وعناد الأبصار)[15–10]

النص القرآني:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (10) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (11) كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (12) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (13) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (15)﴾ [سورة الحجر: 10-15]

1.مرحلة التيسير

ولقد أرسلنا من قبلك في شيع (وفرق) الأولين، وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون (سخرية)، كذلك نسلكه (أي الاستهزاء) في قلوب المجرمين، لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين (بالإهلاك)، ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون (صاعدين)، لقالوا إنما سكرت (أُغلقت) أبصارنا بل نحن قوم مسحورون.

2.مرحلة النشر

ولقد أرسلنا من قبلك في شيع وفرق الأولين، وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون سخرية، كذلك نسلكه في قلوب المجرمين، لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين بالإهلاك، ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون صاعدين، لقالوا إنما سكرت أغلقت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون.

.3مرحلة المعاني

- تواصل الإمداد الغيبي للبشرية عبر الجماعات التاريخية المختلفة. (أصله: أرسلنا من قبلك في شيع الأولين).
- السخرية هي الرد الجمعي المتكرر تجاه دعوات التغيير القيمي. (أصله: كانوا به يستهزئون).
- نفاذ حالة الجحود وسريانها في وجدان المنحرفين. (أصله: كذلك نسلكه في قلوب المجرمين).
- الممانعة العقدية تتسق مع السلوك التاريخي للمكذبين. (أصله: لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين).
- العناد البشري يبلغ مداه برفض الشهود الحسي المباشر للملكوت. (أصله: فظلوا فيه يعرجون).
- تأويل الوقائع الإعجازية بوصفها خللاً في الإدراك أو تخييلاً. (أصله: سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون).

.4مرحلة الأحكام

1. وجوب الاتعاظ بمسارات الأمم السابقة وصراعها مع الحق. (دليله: وقد خلت سنة الأولين).
2. تحريم الاستهزاء بالقيم الدينية كونه مسلكاً إجرامياً. (دليله: كذلك نسلكه في قلوب المجرمين).
3. القطع بأن المعاينة الحسية لا تنفع مع وجود القفل القلبي. (دليله: لقالوا إنما سكرت أبصارنا).

.5مرحلة القواعد الكلية

- قاعدة: التكذيب سلوك نمطي عابر للزمان. (الدليل: ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون).
- قاعدة: الجرم الأخلاقي يسد منافذ الإيمان. (الدليل: كذلك نسلكه في قلوب المجرمين).
- قاعدة: العناد المفرط ينسخ حُجّية العيان. (الدليل: لقالوا إنما سكرت أبصارنا).

.6الأبعاد الإنسانية والحضارية

- **البعد السوسيولوجي** :رصد طبيعة "الشيع" وكيف يؤثر الانتماء الفئوي الضيق في مقاومة الرسالات الكونية. (أصله: في شيع الأولين).
- **البعد النفسي** :تحليل حالة "الإنكار الدفاعي" حيث يفضل العقل اتهام الحواس على التسليم بالحقيقة المزعجة. (أصله: سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون).

(البروج الحافظة والأرزاق المقدرة)[20–16]

النص القرآني:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (17) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (18) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20)﴾ [سورة الحجر: 16–20]

1.مرحلة التيسير

ولقد جعلنا في السماء بروجاً (وكواكب) وزيناها للناظرين (إليها)، وحفظناها (بالشهب) من كل شيطان رجيم (مطرود)، إلا من استرق السمع (مختطفاً) فأتبعه شهاب مبين (مضيء)، والأرض مددناها (بسطناها) وألقينا فيها رواسي (جبالاً) وأنبتنا فيها من كل شيء موزون (بمقدار)، وجعلنا لكم فيها معايش (تقتاتون بها) ومن لستم له برازقين (من الخلائق).

2.مرحلة النشر

ولقد جعلنا في السماء بروجاً وكواكب وزيناها للناظرين إليها، وحفظناها بالشهب من كل شيطان رجيم مطرود، إلا من استرق السمع مختطفاً فأتبعه شهاب مبين مضيء، والأرض مددناها وبسطناها وألقينا فيها رواسي جبالاً وأنبتنا فيها من كل شيء موزون بمقدار، وجعلنا لكم فيها معايش تقتاتون بها ومن لستم له برازقين من الخلائق.

3.مرحلة المعاني

- **قصدية التزيين في الإبداع الكوني لإثارة التأمل. (أصله: وزيناها للناظرين).**
- **المنعة السمائية ضد التدخلات الشيطانية. (أصله: وحفظناها من كل شيطان رجيم).**
- **الرصد الحاسم لكل محاولات اختراق الغيب. (أصله: فأتبعه شهاب مبين).**
- **السعة المكانية للأرض كشرط للاستخلاف. (أصله: والأرض مددناها).**
- **التوازن الجيولوجي عبر الجبال الرواسي. (أصله: وألقينا فيها رواسي).**
- **الدقة الحسابية والتقدير الموزون في النبات والوجود. (أصله: من كل شيء موزون).**
- **شمولية الرزق الإلهي للإنسان ولغيره من الكائنات. (أصله: ومن لستم له برازقين).**

.4مرحلة الأحكام

1. **وجوب التفكر في جماليات السماء وعلو بروجها. (دليله: وزيناها للناظرين).**
2. **الإيمان بوقاية الغيب من استراق السمع. (دليله: وحفظناها من كل شيطان رجيم).**
3. **وجوب الحفاظ على التوازن البيئي الموزون. (دليله: وأنبتنا فيها من كل شيء موزون).**
4. **التسليم بأن الرازقية صفة إلهية تتجاوز قدرة البشر. (دليله: ومن لستم له برازقين).**

.5مرحلة القواعد الكلية

- **قاعدة: الجمال مقصود وجودي في التكوين. (الدليل: وزيناها للناظرين).**
- **قاعدة: التدبير الكوني محكوم بميزان دقيق. (الدليل: من كل شيء موزون).**
- **قاعدة: كفالة الرزق عامة لكل مفقور. (الدليل: ومن لستم له برازقين).**

.6الأبعاد الإنسانية والحضارية

- **البعد الجمالي :السماء ليست مجرد سقف، بل هي لوحة إبداعية مبهجة تغذي الروح الإنسانية بالجمال. (أصله: وزيناها للناظرين).**
- **البعد البيئي :مبدأ التوزين في الإنبات يؤسس لمنهج حضاري في التعامل مع موارد الأرض بحكمة. (أصله: من كل شيء موزون).**
- **البعد الاقتصادي :الاعتراف بأن هناك كائنات ومنظومات لا يرزقها الإنسان يحرره من وهم السيطرة المطلقة ويفتح باب التكافل الكوني. (أصله: ومن لستم له برازقين).**

(خزائن الغيب ونواميس الإحياء) [٢١-٢٥]

النص القرآني:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥)﴾ [سورة الحجر: ٢١-٢٥]

مرحلة التيسير

١ .وإن من شيء (في الوجود) إلا عندنا خزائنه (أصوله ومواده) وما ننزله (إلى الخلق) إلا بقدر معلوم (بمقدار محدد)، وأرسلنا الرياح لواقح (تحمل السحاب واللقاح) فأنزلنا من السماء ماءً (طاهراً) فأسقيناكموه (للشرب والزرع) وما أنتم له بخازنين (قادرين على حفظه وأمنه)، وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون (بعد فناء الخلق)، ولقد علمنا المستقدمين منكم (من مضى) ولقد علمنا المستأخرين (من بقي ومن سيأتي)، وإن ربك هو يحشرهم (للجزاء) إنه حكيم (في فعله) عليم (بخلقه).

مرحلة النشر

٢ .وإن من شيء في الوجود إلا عندنا خزائنه أصوله ومواده وما ننزله إلى الخلق إلا بقدر معلوم بمقدار محدد، وأرسلنا الرياح لواقح تحمل السحاب واللقاح فأنزلنا من السماء ماءً طاهراً فأسقيناكموه للشرب والزرع وما أنتم له بخازنين قادرين على حفظه وأمنه، وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون بعد فناء الخلق، ولقد علمنا المستقدمين منكم من مضى ولقد علمنا المستأخرين من بقي ومن سيأتي، وإن ربك هو يحشرهم للجزاء إنه حكيم في فعله عليم بخلقه.

مرحلة المعاني

٣ .شمولية الملكية الإلهية لجميع أصول الموجودات قبل ظهورها. (أصله: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه).

٤ .نفي العشوائية عن العطاء الإلهي وربطه بالحكمة والتقدير. (أصله: إلا بقدر معلوم).

٥ .بيان الوظيفة التوليدية للرياح في المنظومة الكونية. (أصله: وأرسلنا الرياح لواقح).

٦ .التدخل الإلهي المباشر في إنزال الماء وتوفير مصادر الري. (أصله: فأنزلنا من السماء ماءً

فأسقيناكموه).

٧ .ضعف القدرة البشرية عن الإحاطة بمصادر الثروة المائية أو حبسها عن إرادة الله. (أصله: وما أنتم له بخازنين).

٨ .حصر وظيفة الإحياء والإماتة في القوة الإلهية القاهرة. (أصله: وإنا لنحن نحيي ونميت).

٩ .بقاء الذات الإلهية وارثةً لكل ما تملكه الكائنات في زوالها. (أصله: ونحن الوارثون).

١٠ .إحاطة العلم الأزلي بكل التراتيب الزمنية للأجيال البشرية. (أصله: علمنا المستقدمين.. والمستأخرين).

١١ .إثبات البعث والجمع كضرورة وجودية مآلية. (أصله: وإن ربك هو يحشرهم).

١٢ .اتصاف التدبير الإلهي بالإتقان (الحكمة) والإحاطة (العلم). (أصله: إنه حكيم عليم).

١٣ .الاعتماد الوجودي الكلي للمخلوق على الخالق في المدد والبقاء. (أصله: وما ننزله إلا بقدر معلوم).

١٤ .الربط بين الظواهر الطبيعية (الرياح والماء) وبين الغايات الإنسانية (الري). (أصله: وأرسلنا الرياح.. فأسقيناكموه).

مرحلة الأحكام

١٥ .وجوب ردّ كل نعمة إلى مصدرها الغيبي الأول. (دليله: إلا عندنا خزائنه).

١٦ .تحريم التبذير في الموارد المائية انطلاقاً من العجز عن حفظ أصولها. (دليله: وما أنتم له بخازنين).

١٧ .وجوب الإيمان بوراثة الله للأرض ومن عليها. (دليله: ونحن الوارثون).

١٨ .الإقرار بالعدالة الإلهية في الحشر بناءً على علمه بالمتقدمين والمتأخرين. (دليله: ولقد علمنا المستقدمين.. والمستأخرين).

مرحلة القواعد الكلية

١٩ .قاعدة: المقادير قوانين التنزل الوجودي. (الدليل: وما ننزله إلا بقدر معلوم).

٢٠ .قاعدة: الافتقار البشري هو الوجه المقابل للغنى الإلهي. (الدليل: وما أنتم له بخازنين).

٢١ .قاعدة: الوراثة المطلقة للحق تتجاوز الملكيات المؤقتة. (الدليل: ونحن الوارثون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

٢٢ .**البعد البيئي المتكامل** :تقديم رؤية علمية لترابط عناصر الطبيعة (رياح، سحاب، ماء،

نبات) كمنظومة واحدة تخدم الحياة. (أصله: وأرسلنا الرياح لواقح).

٢٣ .**البعد الاقتصادي** :التأصيل لفكرة أن الموارد ثروة عامة من خزائن الله، مما يستوجب التدبير لا الاحتكار. (أصله: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه).

٢٤ .**البعد المعرفي الوجودي** :طمأنة الإنسان بأن موقعه في خط الزمن (تقدماً أو تأخراً) ليس ضياعاً بل هو في عين العلم الإلهي. (أصله: ولقد علمنا المستقدمين.. والمستأخرين).

(أصل الخلقة وصراع الإرادات) [٢٦-٣٣]

النص القرآني:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أجمعون (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣)﴾ [سورة الحجر: ٢٦-٣٣]

مرحلة التيسير

ولقد خلقنا الإنسان من صلصال (طين يابس) من حمإ مسنون (طين أسود متغير)، والجان خلقناه من قبل (خلق الإنسان) من نار السموم (النافذة في المسام)، وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون (متغير)، فإذا سويته (أتممت خلقه) ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (سجود تكريم)، فسجد الملائكة كلهم أجمعون (امتثالاً)، إلا إبليس أبى (وامتنع) أن يكون مع الساجدين (المطيعين)، قال (الله) يا إبليس ما لك (والسبب في) ألا تكون مع الساجدين، قال (إبليس) لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون (مستقذر).

مرحلة النشر

ولقد خلقنا الإنسان من صلصال طين يابس من حمإ مسنون طين أسود متغير، والجان خلقناه من قبل خلق الإنسان من نار السموم النافذة في المسام، وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون متغير، فإذا سويته أتممت خلقه ونفخت فيه من روحي فقعوا له

ساجدين سجود تكريم، فسجد الملائكة كلهم أجمعون امتثالاً، إلا إبليس أبى وامتنع أن يكون مع الساجدين المطيعين، قال الله يا إبليس ما لك والسبب في ألا تكون مع الساجدين، قال إبليس لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون مستقذر.

مرحلة المعاني

١ .تعيين المادة الأولية للجسد البشري بوصفها طيناً يابساً متغيراً. (أصله: من صلصال من حمإ مسنون).

٢ .إثبات التمايز النوعي والمادي بين عالم الإنس وعالم الجان. (أصله: من نار السموم).

٣ .الأسبقية التاريخية للوجود الجاني على الوجود الإنساني في الكون. (أصله: والجان خلقناه من قبل).

٤ .صدور الإرادة الإلهية بخلق الإنسان وإعلام الملائكة بذلك كحدث كوني عظيم. (أصله: وإذ قال ربك للملائكة).

٥ .جعل السجود للمخلوق مشروطاً بتمام التسوية والنفخة الروحية. (أصله: فإذا سويته ونفخت فيه من روحي).

٦ .السجود المطلوب هو فعل تكريم للبشر وعبودية لله المنفذ لأمره. (أصله: فقعوا له ساجدين).

٧ .انضباط العالم الملائكي تحت وحدة الأمر والامتثال المطلق. (أصله: فسجد الملائكة كلهم أجمعون).

٨ .ظهور أول بادرة للمخالفة والإباء في النظام الوجودي عبر إبليس. (أصله: إلا إبليس أبى).

٩ .الاستجواب الإلهي يهدف إلى تجلية الحجة النفسية للعصيان. (أصله: ما لك ألا تكون مع الساجدين).

١٠ .الوقوف عند المظاهر المادية للشيء يحجب إدراك حقيقته الروحية. (أصله: لم أكن لأسجد لبشر).

١١ .الكبر الناتج عن المقارنة بين العناصر (نار مقابل طين) هو أصل الضلال. (أصله: خلقته من صلصال).

١٢ .وصف المادة الطينية بالحمأ المسنون كان مدخلاً للتحقير الإبليسي. (أصله: من حمإ مسنون).

١٣ .رفض الانتماء للجماعة المطيعة (الساجدين) علامة على الانفصال عن الحق. (أصله: أن يكون مع الساجدين).

١٤ .الإصرار على الموقف الشخصي في مقابل النص القطعي الإلهي. (أصله: قال لم أكن لأسجد).

مرحلة الأحكام

١٥ .وجوب اعتراف الإنسان بفقره وتواضع أصل خلقه المادي. (دليله: خلقنا الإنسان من صلصال).

١٦ .وجوب المبادرة بالامتثال الجماعي للأوامر الإلهية دون تردد. (دليله: فسجد الملائكة كلهم أجمعون).

١٧ .حرمة التعالي على الخلق بناءً على العرق أو المادة التكوينية. (دليله: لم أكن لأسجد لبشر).

١٨ .الإيمان بالروح كسرّ إلهي يمنح الإنسان قيمته الحقيقية. (دليله: ونفخت فيه من روحي).

مرحلة القواعد الكلية

١٩ .قاعدة: الروح هي مركز التشريف في الكائن البشري. (الدليل: ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين).

٢٠ .قاعدة: الاستدلال المادي في مقابلة الأمر الإلهي ضلال. (الدليل: لم أكن لأسجد لبشر).

٢١ .قاعدة: الإباء عن الطاعة يورث الطرد من الحضرة. (الدليل: إلا إبليس أبى).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

٢٢ .**البعد الوجودي المتكامل** :تفسير الإنسان كمركب من (طين) أرضي و(روح) سماوية، مما يفرض عليه التوازن بين متطلباتهما. (أصله: صلصال.. ونفخت فيه من روحي).

٢٣ .**البعد السلوكي** :التحذير من مرض "الاستعلاء العنصري" الذي بدأه إبليس وأهلك المجتمعات عبر التاريخ. (أصله: لم أكن لأسجد لبشر).

٢٤ .**البعد الحضاري** :التأكيد على أن الطاعة الواعية للنظام الإلهي هي سر استقرار العوالم النورانية. (أصله: فسجد الملائكة كلهم أجمعون).

طرد إبليس والإنذار الإلهي (٣٤–٤٠)

النص القرآني:

قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)

(سورة الحجر: ٣٤–٤٠)

أولاً: مرحلة التيسير

({قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا} [من الجنة]: {فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} [مطرود مستحق للرجم]، {وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ} [الطرد من الرحمة] {إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ} [يوم الحساب]. {قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي} [أخر موتي] {إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [يوم القيامة]، {قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ} [المؤجلين] {إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} [أجل قدره الله]. {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي} [بسبب ضلالي] {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} [أجمل لهم المعاصي] {وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [أضلهم جميعاً]، {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [الذين استخلصتهم لنفسك]).

ثانياً: مرحلة النشر

قال الله لإبليس فاخرج من الجنة فإنك مطرود ومستحق للرجم، وإن عليك لعنتي وطردي من رحمتي إلى يوم الحساب والجزاء. فقال إبليس: يا رب فأخر موتي وأمهلني إلى يوم يبعث الناس من قبورهم، فأجابه الله بأنه من المؤجلين الممهلين إلى وقت محدد في علمه وقدره. وعندها أقسم إبليس بسبب ضلاله وطرده ليجملنَّ لبني آدم المعاصي والشهوات في الأرض وليضلنهم جميعاً عن صراطك، إلا من استخلصتهم لنفسك من عبادك الصادقين فلا سبيل لي عليهم.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. الخروج من المكان (فاخرج) هو تعبير حسي عن السقوط المعنوي والمنزلي. (أصله: {فَاخْرُجْ مِنْهَا})

٢. صفة "رجيم" تعني المرجوم بالشهب أو المطرود باللعن، وهي مبالغة في النفي والابعاد. (أصله: {رَجِيمٌ})

٣. اللعنة الإلهية هي انقطاع مطلق عن مدد الرحمة، وامتدادها ليوم الدين يعني أبدية الشقاء. (أصله: {عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ})

٤. طلب الإنذار (فأنظرني) يكشف عن رغبة إبليس في البقاء لا للتوبة بل للانتقام والمواجهة. (أصله: {فَأَنظِرْنِي})

٥. الربط بين "يوم يبعثون" و"يوم الوقت المعلوم" يشير إلى فرق بين الطلب الإبليسي والتقدير الإلهي للمدة. (أصله: {الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ})

٦. الإنذار الإلهي ليس تكريماً بل هو استدراج وإقامة للحجة الكبرى وتفعيل لمبدأ الاختبار. (أصله: {فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ})

٧. نسبة الغواية للرب (بما أغويتني) هي قلب للحقائق وهروب من المسؤولية الشخصية عن الكبر. (أصله: {بِمَا أَغْوَيْتَنِي})

٨. "التزيين في الأرض" هو المنهج الإبليسي لتحويل الفاني إلى غاية، والقبيح إلى مظهر جمالي. (أصله: {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ})

٩. استهداف "أجمعين" يكشف عن شمولية العداء الإبليسي للجنس البشري دون استثناء ابتداءً. (أصله: {وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ})

١٠. الاستثناء (إلا عبادك) اعتراف ضمني بضعف كيد الشيطان أمام قوة الإخلاص والصلة بالله. (أصله: {إِلَّا عِبَادَكَ})

١١. صفة "المخلصين" (بالفتح) تدل على أن الله هو الذي اجتباهم وحماهم بصدق توجههم. (أصله: {الْمُخْلَصِينَ})

١٢. إصرار إبليس على ذكر "في الأرض" يحدد ميدان المعركة وصراع القيم المادية مقابل الروحية. (أصله: {فِي الْأَرْضِ})

١٣. قوله "رب" رغم كفره وطرده يدل على اعترافه بربوبية الله وخلقه وتدبيره، مما يعظم من جرم عناده. (أصله: {قَالَ رَبِّ})

١٤. اللعنة المقيدة بـ "يوم الدين" تنبئ أن ما بعد ذلك اليوم هو العذاب المحض الذي لا مجال فيه للعن المتجدد. (أصله: {إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ})

١٥. "المنظرين" بصيغة الجمع تشير إلى وجود كائنات أو آجال أخرى ممهلة، وليس إبليس وحده. (أصله: {مِنَ الْمُنظَرِينَ})

١٦. التزيين هو سلاح "الوهم" الذي يستخدمه الشيطان للتغطية على الحقائق الوجودية. (أصله: {لَأُزَيِّنَنَّ})

١٧. الغواية الإبليسية هي محاولة لتعميم السقوط الشخصي ليصبح سقوطاً جماعياً. (أصله: {وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ})

١٨. الإخلاص هو "الحصن" الذي يسقط عنده كل تدبير شيطاني. (أصله: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ})

١٩. "يوم الوقت المعلوم" تعبير عن سيادة الإرادة الإلهية على الزمن والآجال. (أصله: {الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ})

٢٠. الحوار بمجمله يؤسس لمنطق الصراع الكوني بين الغواية (التزيين) والهداية (الإخلاص). (أصله: {لأُغْوِيَنَّهُمْ.. الْمُخْلَصِينَ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بوجود إبليس كعدو حقيقي ومرجوم ومطرود من الرحمة. (دليله: {فَإِنَّكَ رَجِيمٌ})

٢. لزوم الحذر من "التزيين" الشيطاني للأعمال القبيحة في واقع الحياة الدنيا. (دليله: {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ})

٣. مشروعية طلب الإنذار أو الإمهال (بمعنى الأجل) مع الإقرار بأن الله هو المتحكم فيه. (دليله: {فَأَنظِرْنِي.. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ})

٤. وجوب السعي لتحقيق صفة "الإخلاص" كونه الوسيلة الوحيدة للنجاة من الغواية. (دليله: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة حتمية الطرد للعدوان:** الكبر على أمر الله يؤدي حتماً إلى سقوط المنزلة واللعنة المؤبدة. (دليله: {فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ})

٢. **قاعدة الابتلاء بالإنذار:** إمهال الظالم أو المضل ليس إقراراً لفعله، بل هو إكمال لمنظومة الاختبار الكبرى. (دليله: {فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ})

٣. **قاعدة التزيين المادي:** مدخل الضلال الأكبر هو الانخداع بمظاهر الأرض وزخرفها على حساب الحقائق الباقية. (دليله: {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ})

٤. **قاعدة عصمة الإخلاص:** الشيطان لا يملك سلطاناً ذاتياً على الإنسان، بل يملك "غواية" تنكسر أمام جدار الصدق مع الله. (دليله: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد سيكولوجية الحقد والتعميم:

- دراسة حالة الكائن الذي يفشل في الاختبار فيسعى لتعميم فشله على الآخرين عبر الغواية، بدلاً من الاعتراف بالخطأ. (أصله: {وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ})

٢. بُعد نقد "الاستهلاك" والجمال الزائف:

- التحذير من النظم "التزيينية" التي تجمل القبح الاجتماعي أو الأخلاقي تحت ستار التقدم أو المتعة الأرضية. (أصله: {لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ})

٣. بُعد الحرية والتحصن بالقيم:

- التأكيد على أن الإنسان يمتلك "مفتاح" نجاته عبر ممارسة الإخلاص، وهو فعل إرادي يحرره من التبعية للشيطان. (أصله: {الْمُخْلَصِينَ})

٤. بُعد الزمن والمسؤولية:

- الوعي بأن العمر (الإنذار) هو فرصة للعمل، وأن كل إنذار له "وقت معلوم" سينتهي بالوقوف أمام "يوم الدين". (أصله: {إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.. الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ})

قانون الصراط وأبواب الجحيم (٤١-٤٤)

النص القرآني:

قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)

(سورة الحجر: ٤١-٤٤)

أولاً: مرحلة التيسير

({قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ} [طريق حق نافذ إليّ]، {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [قوة قهر] {إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الضالين باختيارهم]، {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ} [مصيرهم المحتوم]، {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} [مداخل] {لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} [فئة محددة]).

ثانياً: مرحلة النشر

قال الله تعالى: هذا الذي ذكرتَه من الإخلاص هو طريق الحق المستقيم الذي يصل صاحبه إليّ، وإن عبادي الصادقين لا تملك عليهم أي قوة للقهر أو الإجبار، إلا من اختار اتباعك من الضالين والمنحرفين، وإن جهنم هي المصير المحتوم الذي ينتظر هؤلاء المتبعين جميعاً، ولها سبعة مداخل، خصص لكل مدخل منها فئة محددة منهم بحسب درجة ضلالهم وأعمالهم.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. نسبة الصراط إلى الذات الإلهية (عليّ) تفيد الحماية والضمان لوصول السالكين فيه. (أصله: {صِرَاطٌ عَلَيَّ})

٢. استقامة الصراط تعني خلوه من التعقيد والتناقض، فهو الطريق الأقصر والأوضح للهداية. (أصله: {مُسْتَقِيمٌ})

٣. نفي "السلطان" عن الشيطان يؤكد أن الغواية فعل "إغراء" وليست فعل "إكراه". (أصله: {لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ})

٤. الإضافة في "عبادي" تمنح المؤمنين حصانة معنوية وسيادة روحية تحميهم من التسلل الشيطاني. (أصله: {عِبَادِي})

٥. الاتباع (اتبعك) فعل إرادي بشري، وهو العلة التي تجعل للشيطان مدخلاً على الإنسان. (أصله: {مَنِ اتَّبَعَكَ})

٦. وصفهم بـ "الغاوين" يدل على أنهم ضلوا عن علم وقصد، فاستحقوا التبعية للشيطان. (أصله: {الْغَاوِينَ})

٧. "الموعد" (لموعدهم) يشير إلى حتمية اللقاء بالجزاء، فلا مفر ولا تأخير. (أصله: {لَمَوْعِدُهُمْ})

٨. شمولية "أجمعين" تؤكد أن قانون العذاب يطبق على كل من دخل في دائرة الاتباع الإبليسي. (أصله: {أَجْمَعِينَ})

٩. تعدد الأبواب (سبعة أبواب) يشير إلى تنوع أنواع المعاصي ودركات العقوبة. (أصله: {سَبْعَةُ أَبْوابٍ})

١٠. "الجزء المقسوم" يدل على عدالة التوزيع، حيث يوضع كل تابع في الباب الذي يناسب نوع غوايته. (أصله: {جُزْءٌ مَّقْسُومٌ})

١١. الآية تقسم البشرية إلى معسكرين: معسكر العبودية لله (الحصانة)، ومعسكر التبعية للشيطان (الغواية). (أصله: {عِبَادِي.. مَنِ اتَّبَعَكَ})

١٢. السلطان المنفي هو سلطان "الحجة" وسلطان "القهر"، فلا حجة للشيطان ولا قوة له على قلب المؤمن. (أصله: {لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ})

١٣. "الاستقامة" صفة ذاتية للصراط الإلهي، لا تتغير بتقادم الزمن أو تغير المكان. (أصله: {مُسْتَقِيمٌ})

١٤. لفظ "أبواب" يوحي بالتنظيم الصارم لعالم العقاب كما هو الحال في عالم الثواب. (أصله: {أَبْوابٍ})

١٥. الربط بين "الاتباع" وجهنم يوضح أن المصير هو نتيجة حتمية للمسير. (أصله: {اتَّبَعَكَ.. جَهَنَّمَ})

١٦. الغواية تبدأ بقرار فردي، ثم تتحول إلى تبعية ذليلة للشيطان. (أصله: {مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ})

١٧. تخصيص "جزء مقسوم" لكل باب يمنع الفوضى في العذاب، ويؤكد دقة الحساب الإلهي. (أصله: {لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ})

١٨. كلمة "عليّ" تتضمن معنى التعهد الإلهي بحفظ هذا الصراط ومرتاديه. (أصله: {عَلَيَّ})

١٩. جهنم في الآية تظهر كمؤسسة عقابية شاملة تستوعب كل أطياف الضلال. (أصله: {لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ})

٢٠. الآيات تنفي عن الإنسان عذر "الغصب"، وتثبت له "الاختيار" الكامل في الانتماء لأي من الفريقين. (أصله: {لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب لزوم الصراط المستقيم كونه الطريق الوحيد الموصل لرضوان الله. (دليله: {هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ})

٢. الإيمان بأن الشيطان لا يملك قدرة ذاتية على إجبار الناس على الكفر والمعصية. (دليله: {لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ})

٣. حرمة اتباع خطوات الشيطان وكل ما يؤدي إلى الغواية. (دليله: {إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ})

٤. الإيمان بجهنم وتعدد دركاتها وتقسيم أهلها فيها بحسب أعمالهم. (دليله: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الحصانة بالإخلاص**: العبودية الحقة لله هي الدرع الذي يتحطم عليه كل كيد شيطاني. (دليله: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ})

٢. **قاعدة المسؤولية عن الاتباع**: الضلال لا ينسب للشيطان كفعل قسري، بل للإنسان كفعل اختياري بالاتباع. (دليله: {إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ})

٣. **قاعدة التصنيف العقابي**: العقوبة في الآخرة ليست عشوائية، بل هي منظمة ومرتبة بحسب نوع الجرم. (دليله: {لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ})

٤. **قاعدة الاستقامة والوصول**: كل طريق مائل لا يؤدي إلى الله، والوصول مشروط بموافقة الصراط الذي وضعه الخالق. (دليله: {صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد السيادة والحرية الفردية:

- تأصيل فكرة أن الإنسان هو سيد قراره، وأن القوى الخارجية (الشيطان) لا تملك سلطة عليه ما لم يفتح لها هو باب "الاتباع". (أصله: {لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ})

٢. بُعد دقة النظام والعدالة:

- تمثيل جهنم بـ "أبواب" و"أجزاء مقسومة" يعكس رؤية حضارية لمنظومة العدالة التي لا تظلم أحداً وتضع كل شيء في موضعه الصحيح. (أصله: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ})

٣. بُعد المرجعية الثابتة:

- "الصراط المستقيم" يمثل المرجعية القيمية والأخلاقية التي يجب أن يحتكم إليها المجتمع ليضمن سلامة المسير والوصول. (أصله: {صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ})

٤. بُعد التحذير من "الغواية الجماعية":

- التنبيه إلى أن الاتباع الأعمى للنماذج الضالة يؤدي إلى تكتلات بشرية تساق جماعياً نحو مصير مأساوي. (أصله: {لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ})

جزاء المتقين وصفاء دار النعيم (٤٥–٤٨)

النص القرآني:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨)

(سورة الحجر: ٤٥–٤٨)

أولاً: مرحلة التيسير

({إِنَّ الْمُتَّقِينَ} [الخائفين من الله] {فِي جَنَّاتٍ} [بساتين] {وَعُيُونٍ} [جداول مائية]. {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ} [بتحية السلام] {آمِنِينَ} [من كل خوف]. {وَنَزَعْنَا} [أزلنا] {مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ} [من حقد] {إِخْوَانًا} [متحابين] {عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} [وجوهاً لوجوه]. {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ} [تعب] {وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [بباقين أبداً]).

ثانياً: مرحلة النشر

إن الذين اتقوا ربهم بصالح أعمالهم يسكنون الآن في بساتين خضراء وبين جداول مائية متدفقة، يقال لهم تكريماً: ادخلوا هذه الجنات محيين بالسلام ومؤمنين من كل فزع أو كدر. وقد أزلنا من أعماق قلوبهم كل ما كان في الدنيا من ضغينة أو حقد، فصاروا إخواناً متحابين يجلسون على أسرّة فاخرة بوجوه متقابلة يملؤها الود، لا يصيبهم في رحابها أي تعب أو إعياء، وليسوا بمبعدين عنها أبداً بل هم فيها خالدون.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. صفة "المتقين" هي المفتاح الأساسي لاستحقاق هذا النعيم، وهي حالة وقاية قلبية تترجم إلى عمل. (أصله: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ})

٢. الجمع بين "جنات" و"عيون" يرسم لوحة للجمال الحسي المكتمل (الخضرة والماء). (أصله: {جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ})

٣. "بسلام" تفيد السلامة من العيوب، والسلامة من الانقطاع، وتحية الملائكة لهم. (أصله: {بِسَلَامٍ})

٤. الأمن (آمنين) هو قمة النعيم النفسي، إذ لا قيمة للمادة مع الخوف من زوالها أو الموت عنها. (أصله: {آمِنِينَ})

٥. عملية "النزع" (ونزعنا) تشير إلى تدخل إلهي لتطهير النفوس مما علق بها في دار الكبد (الدنيا). (أصله: {وَنَزَعْنَا})

٦. "الغل" هو القيد القلبي الذي يمنع سعادة الاجتماع، وبنزعه تتحقق الأخوة الكاملة. (أصله: {مِّنْ غِلٍّ})

٧. حالة "إخواناً" هي الثمرة الاجتماعية للتطهير القلبي في الجنة. (أصله: {إِخْوَانًا})

٨. الجلوس "متقابلين" يرمز إلى الصدق والمكاشفة وانتفاء الريبة أو الهروب من المواجهة. (أصله: {مُّتَقَابِلِينَ})

٩. نفي "النصب" (التعب) يعني أن النعيم في الجنة لا يحتاج إلى جهد لصيانته أو كدح لاستمراره. (أصله: {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ})

١٠. نفي الإخراج (وما هم منها بمخرجين) هو ضمان الخلود الذي يقطع دابر القلق من المستقبل. (أصله: {بِمُخْرَجِينَ})

١١. تقديم "في جنات" على دخولها يوحي بأنهم صاروا من أهلها استحقاقاً قبل الدخول الحسي. (أصله: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ})

١٢. قوله "لا يمسهم" أبلغ من "لا يصيبهم"، فمجرد الملامسة لشيء من التعب منفية تماماً. (أصله: {لَا يَمَسُّهُمْ})

١٣. السرر المتقابلة توحي بمجتمع "المجالس" الراقية التي يسودها الحوار والأنس والجمال البصري. (أصله: {عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ})

١٤. التعبير بـ "نزعنا" يوحي بأن الغل كان شيئاً غريباً عن طبيعتهم الصافية فاستوجب الإزالة. (أصله: {وَنَزَعْنَا})

١٥. الجمع بين الأمن (نفي الخوف) ونفي التعب (نفي الألم الجسدي) يمثل كمال الراحة الوجودية. (أصله: {آمِنِينَ.. لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ})

١٦. "الجزء المقسوم" في النار يقابله هنا "سرر متقابلة" في الجنة، فرقٌ بين التشتت والاجتماع. (أصله: {مُّتَقَابِلِينَ})

١٧. السلام في الجنة ليس مجرد لفظ، بل هو "جو" عام يغلف المكان والزمان والقلوب. (أصله: {بِسَلَامٍ})

١٨. الإخوة في الجنة هي "أخوة ناتجة" عن التقوى المشتركة لا عن النسب المجرد. (أصله: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ.. إِخْوَانًا})

١٩. الآيات تؤسس لمفهوم "السعادة التفاعلية" (الاجتماع على السرر) وليس النعيم الانفرادي المنعزل. (أصله: {إِخْوَانًا.. مُّتَقَابِلِينَ})

٢٠. ختام الآيات بنفي الإخراج يغلق دائرة الوعد بأمان مطلق وأبدي. (أصله: {وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بالجنة ونعيمها الحسي والمعنوي كجزء من العقيدة. (دليله: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ})

٢. استحباب التخلق بصفات أهل الجنة في الدنيا (السلام، الأمن، سلامة الصدر من الغل). (دليله: {بِسَلَامٍ آمِنِينَ.. وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم})

٣. الإيمان بأن الخلود في الجنة أبدي لا انقطاع له. (دليله: {وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ})

٤. فضيلة التقوى بصفتها العلة الوحيدة المذكورة هنا لنيل هذا الجزاء. (دليله: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الأمان النفسي**: النعيم المادي لا يكتمل إلا بنزع الخوف (الأمن) ونزع الكدر القلبي (الغل). (دليله: {آمِنِينَ.. وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ})

٢. **قاعدة الصفاء الاجتماعي**: الجنة مجتمع "صفاء" لا مكان فيه للنزاع، مما يشير إلى أن الصراعات الدنيوية عارضة وليست أصيلة في الروح المؤمنة. (دليله: {إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ})

٣. **قاعدة الراحة المطلقة:** جزاء الكدح والتقوى في الدنيا هو الراحة الأبدية التي لا يشوبها تعب. (دليله: {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ})

٤. **قاعدة حتمية الاستقرار:** السعادة الحقيقية هي التي لا يهددها هاجس الزوال أو النفي. (دليله: {وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الصحة النفسية والاجتماعية:

- تقديم "سلامة الصدر" (نزع الغل) كأحد أعظم أركان النعيم، مما يبرز أهمية التسامح والمحبة كقيم حضارية عليا. (أصله: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ})

٢. بُعد أدب اللقاء والحوار:

- قيمة "التقابل" (متقابلين) على السرر تعكس أدباً رفيعاً في التواصل البشري القائم على الاحترام والمواجهة الودية. (أصله: {مُّتَقَابِلِينَ})

٣. بُعد نفي العناء البشري:

- التطلع الإنساني نحو عالم "بلا تعب" (نصب)، وهو المحرك الذي يدفع البشر في الدنيا لابتكار سبل الراحة، لكنه لا يكتمل إلا في دار المقامة. (أصله: {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ})

٤. بُعد الاستقرار الوجودي:

- إشباع حاجة الإنسان الفطرية إلى "الأبدية" ورفض "الفناء" أو "التهجير" (بمخرجين)، مما يمنح النفس طمأنينة مطلقة. (أصله: {وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ})

الخبر الإلهي بالتوازن بين الرحمة والعذاب (٤٩–٥٠)

النص القرآني:

۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)

(سورة الحجر: ٤٩–٥٠)

أولاً: مرحلة التيسير

({نَبِّئْ عِبَادِي} [أخبرهم خبرًا هاماً] {أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ} [واسع المغفرة] {الرَّحِيمُ} [كثير الرحمة]، {وَأَنَّ عَذَابِي} [عقابي] {هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [الموجع حقاً]).

ثانياً: مرحلة النثر

أخبر عبادي يا محمد خبراً يقيناً بأني أنا وحدي المتفرد بالمغفرة الواسعة والرحمة الشاملة لمن تاب، وأخبرهم في المقابل بأن عقابي لمن أصر على غيه هو العقاب الذي بلغ منتهى الألم والوجع.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. فعل "نبئ" يوحي بأهمية الخبر وضرورة تداوله كـ "نبأ" عظيم يغير مسار السلوك البشري. (أصله: {نَبِّئْ})

٢. إضافة "عبادي" تدل على ملاطفة إلهية تقرب العبد من ساحة العفو وتفتح باب الأمل. (أصله: {عِبَادِي})

٣. "أنا الغفور الرحيم" جملة اسمية مؤكدة بـ "أن" وضمير الفصل "أنا" والتعريف، لإثبات حصر الكمال في هذه الصفات لله وحده. (أصله: {أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ})

٤. تقديم الرحمة على العذاب يشير إلى غلبة الرحمة الإلهية وكونها الأصل في التعامل مع العباد. (أصله: {أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ})

٥. وصف العذاب بـ "الأليم" هو تنبيه للوجدان الإنساني بضرورة الحذر من مسببات هذا العقاب. (أصله: {الْأَلِيمُ})

٦. الآيتان ترسخان مبدأ "الخوف والرجاء" كجناحي طائر لا يستقيم السير إلى الله إلا بهما. (أصله: {الرَّحِيمُ.. الْأَلِيمُ})

٧. تعريف "العذاب الأليم" بأل التعريف (العذاب) يفيد بأنه هو العذاب الحقيقي الذي لا يقارن به عذاب غيره. (أصله: {هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ})

٨. الخطاب الموجه للنبي (نبئ) يجعله وسيطاً للرحمة ومبشراً بها ونذيراً من نقيضها. (أصله: {نَبِّئْ})

٩. المغفرة (ستر الذنب) والرحمة (الإحسان) هما ثنائي النجاة من الماضي والتطلع للمستقبل. (أصله: {الْغَفُورُ الرَّحِيمُ})

١٠. التوازن في الآيتين يمنع النفس من "القنوط" (بسبب الرحمة) ويمنعها من "الغرور" (بسبب العذاب). (أصله: {الرَّحِيمُ.. الْأَلِيمُ})

١١. "الغفور" صيغة مبالغة تدل على تكرار المغفرة مهما تكرر الذنب من العبد. (أصله: {الْغَفُورُ})

١٢. إسناد العذاب إلى ياء المتكلم (عذابي) يزيد من رهبة الموقف لعظمة من صدر عنه الوعيد. (أصله: {عَذَابِي})

١٣. الآية ٤٩ تخاطب "الروح" والآية ٥٠ تخاطب "العقل" والوجدان لتكتمل منظومة الهداية. (أصله: {نَبِّئْ عِبَادِي})

١٤. لم يقل "أنا المعذب" بل قال "عذابي هو العذاب"، تنزيهاً للذات الإلهية عن أن يكون التعذيب صفة مرادة لذاتها بل هو فعل عدل. (أصله: {عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ})

١٥. كلمة "النبأ" ترتبط عادة بالأخبار الغيبية الكبرى، وهذا الخبر يمثل لب المآل الغيبي للإنسان. (أصله: {نَبِّئْ})

١٦. التكرار في "أنا.. الغفور" يعطي طمأنينة مطلقة للتائبين بصدق. (أصله: {أَنِّي أَنَا})

١٧. العذاب الأليم هو النتيجة المنطقية لمن يرفض الغفران والرحمة المعروضة في الآية السابقة. (أصله: {وَأَنَّ عَذَابِي})

١٨. ترتيب الآيات يضع المنهج التربوي الأمثل: الترغيب أولاً ثم الترهيب لاحقاً. (أصله: {الرَّحِيمُ.. الْأَلِيمُ})

١٩. "عبادي" تشمل الطائع والعاصي، فكلهم مدعوون لسماع خبر المغفرة والرحمة. (أصله: {عِبَادِي})

٢٠. الآية دعوة لليقظة الدائمة ومراجعة الحسابات قبل مواجهة العذاب الحقيقي. (أصله: {الْأَلِيمُ})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بسعة رحمة الله ومغفرته لمن تاب وأناب. (دليله: {أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ})

٢. لزوم الخوف من عذاب الله والحذر من موجباته. (دليله: {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ})

٣. وجوب تبليغ هذه العقيدة المتوازنة للناس لضمان استقرارهم النفسي والروحي. (دليله: {نَبِّئْ عِبَادِي})

٤. فضيلة التوبة كونها المدخل لنيل صفة المغفرة المذكورة. (دليله: {الْغَفُورُ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الثنائية التربوية:** التربية الإلهية تقوم على توازن دقيق بين الوعد والوعيد لتقويم السلوك البشري. (دليله: {الرَّحِيمُ.. الْأَلِيمُ})

٢. **قاعدة الأولوية للرحمة:** الرحمة تسبق الغضب، والمغفرة هي الخبر الأول الذي يُؤمر النبي بتبليغه. (دليله: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ})

٣. **قاعدة المسؤولية عن المصير**: العبد مخير بين التعلق بالرحمة عبر الشروط (العبودية) أو مواجهة العذاب عبر الإعراض. (دليله: {عِبَادِي.. عَذَابِي})

٤. **قاعدة التفرد الإلهي بالجزاء**: الله هو وحده مالك المغفرة ومالك العذاب، فلا يملك أحد غيره صكوك الغفران ولا حق العقاب الأبدي. (دليله: {أَنِّي أَنَا})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد التوازن النفسي (السكينة واليقظة):

- تقديم "الغفور الرحيم" يمنح الإنسان طاقة الأمل والقدرة على النهوض من الفشل (الذنب)، بينما "العذاب الأليم" يمنحه الانضباط والمسؤولية. (أصله: {الرَّحِيمُ.. الْأَلِيمُ})

٢. بُعد الخطاب الإعلامي المسالم:

- مخاطبة الناس بصفة "عبادي" يعكس روحاً حضارية في الدعوة تقوم على الاحتواء واللين قبل التحذير. (أصله: {عِبَادِي})

٣. بُعد نقد القنوط والتسيب:

- الآيات تحارب رذيلتين حضاريتين: "اليأس" الذي يعطل العمل، و"الاستهتار" الذي يدمر القيم، وتضع مكانهما "الخوف الإيجابي والرجاء المنتج". (أصله: {نَبِّئْ عِبَادِي})

٤. بُعد السيادة المطلقة للعدالة:

- توصيف العذاب بـ "الأليم" وربطه بالذات الإلهية يؤكد أن هناك عدالة مطلقة ستنصف المظلومين وتعاقب الظالمين مهما طال الزمن. (أصله: {عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ})

بشرى إبراهيم ببركة الذرية (٥١-٥٦)

النص القرآني:

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)

(سورة الحجر: ٥١-٥٦)

أولاً: مرحلة التيسير

({وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ} [أخبرهم خبر ملائكته]، {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا} [حيوه بالسلام]، {قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ} [خائفون]، {قَالُوا لَا تَوْجَلْ} [لا تخف] {إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [صبي ذي علم]، {قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ} [مع شيخوختي] {فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} [كيف وبأي شيء؟]، {قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ} [بالصدق] {فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ} [اليائسين]، {قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} [التائهون عن الحق]).

ثانياً: مرحلة النشر

وأخبرهم يا محمد قصة ضيوف إبراهيم من الملائكة، حين دخلوا عليه فحيوه بالسلام، فأوجس منهم خيفة وقال: إنا نشعر تجاهكم بالخوف. فطمأنوه قائلين: لا تخف، إنما جئنا لنبشرك بولد ذكر سيكون له شأن وعلم كبير. فتعجب إبراهيم متسائلاً: أتبشرونني بالولد وقد أصابني الكبر وتقدمت بي السن، فبأي شيء تعجبون؟ فأكدوا له قائلين: بشرناك بالخبر

اليقين والصدق الذي لا ريب فيه، فلا تكن من اليائسين من فضل الله. فأجابهم إبراهيم مستنكراً: ومن يمكنه أن ييأس من رحمة ربه وفضله إلا التائهون عن طريق الحق والهدى.

ثالثاً: مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. الانتقال من "نبئ عبادي" إلى "نبئهم عن ضيف إبراهيم" هو تطبيق عملي لصفة الرحمة والمغفرة عبر القصص. (أصله: {وَنَبِّئْهُمْ})

٢. وصف الملائكة بـ "الضيف" يبرز كرم إبراهيم وحسن استقباله للغرباء قبل معرفة حقيقتهم. (أصله: {ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ})

٣. الوجل الإبراهيمي (وجلون) بشري طبيعي يعكس صدق النص في وصف المشاعر الإنسانية أمام المجهول. (أصله: {وَجِلُونَ})

٤. اقتران "الغلام" بصفة "عليم" يشير إلى أن قيمة الذرية تكمن في جوهرها العلمي والعقلي لا في مجرد الوجود العددي. (أصله: {بِغُلَامٍ عَلِيمٍ})

٥. تساؤل إبراهيم (أبشرتموني) ليس إنكاراً لقدرة الله، بل هو استعظام للنعمة في سياق الأسباب المادية المفقودة. (أصله: {مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ})

٦. "بشرناك بالحق" تأكيد على أن الوعود الإلهية لا تخضع لمنطق الاحتمالات البشرية بل لمنطق الحق المطلق. (أصله: {بِالْحَقِّ})

٧. القنوط (اليأس الشديد) يُصنف في الآيات كسمة من سمات الضلال والانقطاع عن معرفة الله. (أصله: {مِّنَ الْقَانِطِينَ})

٨. الربط بين "الرحمة" و"الرب" (رحمة ربه) يبرز دور المربي الذي يفيض على عبده بالفضل رغم عوائق الطبيعة. (أصله: {رَّحْمَةِ رَبِّهِ})

٩. نفي القنوط عن النفس المؤمنة (ومن يقنط) يعزز مفهوم الثقة المطلقة في التغيير والقدرة الإلهية. (أصله: {إِلَّا الضَّالُّونَ})

١٠. استخدام كلمة "مسني" يعطي انطباعاً بأن الكبر أثر خارجي طرأ على الجسد لكنه لا يمنع المد الإلهي. (أصله: {مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ})

١١. السلام كان مفتاح الأمان، لكن غياب الأكل (في روايات أخرى) أدى للوجل، مما يعكس ثقافة الضيافة السائدة. (أصله: {سَلَامًا.. وَجِلُونَ})

١٢. البشرى جاءت بصيغة "إنا نبشرك" لتفيد العظمة والتوكيد والمباشرة في العطاء. (أصله: {إِنَّا نُبَشِّرُكَ})

١٣. وصف إبراهيم لمن يقنط بـ "الضالين" هو رفع لدرجة الأمل لتصبح جزءاً من مقتضيات الهداية. (أصله: {الضَّالُّونَ})

١٤. الحوار بين البشر والملائكة يكسر حواجز العوالم المادية ليؤكد وحدة المصدر والهدف. (أصله: {قَالُوا.. قَالَ})

١٥. "فبم تبشرون" استفسار عن الكيفية، مما يفتح باب التدبر في القوانين الخارقة للعادة. (أصله: {فَبِمَ تُبَشِّرُونَ})

١٦. التكرار في مادة "بشر" (نبشرك، أبشرتموني، فبم تبشرون، بشرناك) يغرق المشهد في جو من الفرح واليقين. (أصله: {نُبَشِّرُكَ})

١٧. العلم الموعود به (عليم) هو أرقى أنواع الرزق الذي يمكن أن يوهب للإنسان. (أصله: {عَلِيمٍ})

١٨. موقف إبراهيم يمثل "العقل المؤمن" الذي يدرك الواقع (الكبر) لكنه لا يستسلم له أمام الوعد الإلهي. (أصله: {مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ})

١٩. التحذير من القنوط هو حماية للنفس البشرية من الانهيار أمام الأزمات أو تقدم السن. (أصله: {فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ})

٢٠. القصة بمجملها هي تجسيد لقوله تعالى "أنا الغفور الرحيم" في أسمى صور العطاء. (أصله: {نَبِّئْ عِبَادِي})

رابعاً: مرحلة استنطاق الأحكام

١. استحباب تحية القادم بالسلام كونه أماناً وتكريماً. (دليله: {فَقَالُوا سَلَامًا})

٢. مشروعية التعبير عن الخوف البشري الطبيعي ولا يقدح ذلك في الإيمان. (دليله: {إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ})

٣. حرمة اليأس والقنوط من رحمة الله مهما كانت الأسباب المادية مانعة. (دليله: {فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ})

٤. فضيلة العلم وتقديمه كصفة مدح في الذرية والتبشير بها. (دليله: {بِغُلَامٍ عَلِيمٍ})

خامساً: مرحلة القواعد الكلية

١. قاعدة نفاذ الحق: الحق الإلهي لا تقف أمامه عوائق السن أو قوانين الطبيعة. (دليله: {بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ})

٢. قاعدة الأمل جزء من الهداية: اليأس ليس مجرد شعور عابر، بل هو خلل في معرفة الله وضلال عن صراطه. (دليله: {وَمَن يَقْنَطُ.. إِلَّا الضَّالُّونَ})

٣. قاعدة الفضل فوق السبب: الرزق الإلهي قد يأتي "على أن مسنا الكبر" لبيان أن المنعم هو الله لا الطبيعة. (أصله: {أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ})

٤ . قاعدة العلم زينة الخلق: أعظم ما يبشر به المرء هو العلم الذي ينفع البشرية ويحقق العبودية. (دليله: {بِغُلَامٍ عَلِيمٍ})

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١ . بُعد التفاؤل الوجودي:

- **رفض اليأس حتى في خريف العمر، مما يربي الإنسان على العطاء والأمل الدائم مهما تقدمت به السن. (أصله: {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ})**

٢ . بُعد رقي التواصل والضيافة:

- **إبقاء باب "الضيف" مفتوحاً وترسيخ ثقافة السلام والأمان كركيزة اجتماعية وحضارية. (أصله: {وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ})**

٣ . بُعد الموازنة بين العقل والقدرة:

- **تقدير الموقف البشري الذي يرى الصعوبات (الكبر) مع الثبات على اليقين الإلهي، مما يخلق توازناً نفسياً قوياً. (أصله: {أَبَشَّرْتُمُونِي.. قَالَ وَمَن يَقْنَطُ})**

٤ . بُعد الاستثمار في الإنسان (العلم):

- **التركيز على أن النهضة الحضارية تبدأ بـ "الغلام العليم"، أي بالاستثمار في التربية القائمة على المعرفة والوعي. (أصله: {بِغُلَامٍ عَلِيمٍ})**

إخبار الملائكة وبشرى الخلاص (٥٧–٦٠)

النص القرآني:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا ۙ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠)﴾

(سورة الحجر: ٥٧–٦٠)

---

١. مرحلة التيسير

قال (إبراهيم للملائكة) فما خطبكم (شأنكم الخطير) أيها المرسلون (من عند الله)، قالوا إنا أرسلنا (بالعذاب) إلى قوم مجرمين (وهم قوم لوط)، إلا آل لوط (أتباعه المؤمنين) إنا لمنجوهم أجمعين (من الهلاك)، إلا امرأته قدرنا (بأمر الله وعلمنا) إنها لمن الغابرين (الباقين في العذاب والهالكين).

---

٢. مرحلة النشر

قال إبراهيم للملائكة مستفهماً: ما هو شأنكم الخطير وما الغرض الذي جئتم لأجله أيها المرسلون من عند الله، فأجابوه: إنا أرسلنا لإنزال العقاب بقوم مجرمين قد تجاوزوا الحد في فجورهم، لكننا سنستثني من هذا الهلاك آل لوط من أتباعه المؤمنين فإنا لمنقذوهم أجمعين، إلا امرأته فقد قدرنا بأمر الله وعلمنا السابق أنها ستكون من الباقين في العذاب والذين سيشملهم الهلاك مع الغابرين.

---

٣. مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. استخدام لفظ "خطبكم" يوحي بأن إبراهيم استشعر أن الأمر يتجاوز مجرد البشرى بالولد إلى أمر جلل يخص مصير أمم. (أصله: {فَمَا خَطْبُكُمْ})

٢. وصف القوم بـ "مجرمين" يحدد العلة المباشرة للعقاب، وهي اقتراف الجرائم التي تقوض فطرة الإنسان والمجتمع. (أصله: {قَوْمٍ مُجْرِمِينَ})

٣. صيغة التأكيد "إنا لمنجوهم أجمعين" بإنّ واللام تؤكد شمولية الرحمة الإلهية لكل من ثبت على الإيمان في بيئة الفساد. (أصله: {لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ})

٤. استثناء "امرأة لوط" يبرز قاعدة الولاء والبراء، حيث لا تغني صلة الزوجية شيئاً إذا فُقدت صلة الإيمان. (أصله: {إِلَّا امْرَأَتَهُ})

٥. لفظ "قدرنا" يظهر الملائكة كمنفذين لمشيئة إلهية محكمة، مبنية على استحقاق سابق وعلم إلهي محيط. (أصله: {قَدَّرْنَا})

٦. "الغابرين" تعني الباقين في العذاب، وهي تصف حال من تخلف عن ركب النجاة برغبته واختياره الفكري. (أصله: {الْغَابِرِينَ})

٧. الجمع بين "الإرسال للعذاب" و"النجاة للمؤمنين" يجسد ثنائية العدل والرحمة في السياق الإلهي الواحد. (أصله: {أُرْسِلْنَا... إِلَّا آلَ لُوطٍ})

٨. النداء بـ "أيها المرسلون" يرفع من مقام المخاطبين ويبرز جدية المأمورية التي كُلفوا بها. (أصله: {أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ})

٩. "أجمعين" تأكيد على أن النجاة لن تترك فرداً واحداً من أهل الصلاح مهما صغر شأنه. (أصله: {أَجْمَعِينَ})

١٠. الآيات تمهد لمشهد التدمير القادم ببيان فرز الفئات (مجرمون، مؤمنون، غابرون) قبل نزول العقاب. (أصله: {إِنَّا أُرْسِلْنَا})

---

٤. مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بالملائكة كرسل ومنفذين لأمر الله في الكون (ثواباً وعقاباً). (دليله: {أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ})

٢. تقرير مبدأ المسؤولية الفردية؛ فلا تنفع الشفاعة أو القرابة من نبوة (زوجة لوط) في دفع العذاب عن مجرم أو منافق. (دليله: {إِلَّا امْرَأَتَهُ})

٣. مشروعية نجاة أهل الحق من العقاب العام الذي ينزل بالظالمين إذا اعتزلوهم فكرياً وعملياً. (دليله: {إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ})

٤. وجوب الحذر من مشابهة "المجرمين" في أفعالهم خشية الدخول في حكمهم عند نزول الأقدار. (دليله: {إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ})

---

٥. مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الفرز الإلهي**: عند نزول العقاب العام، تتم عملية فرز دقيقة تنجي المؤمنين وتستأصل المجرمين بموازين عدل مطلقة. (دليله: {إِلَّا آلَ لُوطٍ})

٢. **قاعدة سقوط الوجاهة المادية**: القرابة والنسب والزواج (أدوات النجاة الدنيوية) تسقط تماماً أمام القدر الإلهي إذا انعدم الإيمان. (دليله: {إِلَّا امْرَأَتَهُ})

٣. **قاعدة التقدير السابق**: العقاب لا ينزل عشوائياً، بل بتقدير (قَدَّرْنَا) يراعي تفاصيل القلوب وأعمال النفوس قبل وقوع الحدث. (دليله: {قَدَّرْنَا ۙ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ})

٤. **قاعدة التخصص في المأمورية**: الملائكة "مرسلون" لمهام محددة؛ مما يدل على نظام كوني دقيق لا عشوائية فيه. (دليله: {إِنَّا أُرْسِلْنَا})

---

٦. الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد العدالة الفردية:

- تأكيد أن الإنسان يُحاسب ككيان مستقل، فليس لزوجة لوط عذر ببيئتها، كما ليس لآل لوط ذنب بجيرانهم المجرمين.

٢. بُعد الأمل في النجاة:

- رسالة طمأنة للأقليات المؤمنة أو المصلحة في البيئات الفاسدة بأن عين الله ترعاهم وستنجيهم عند حتمية الزوال الحضاري للظلم.

٣. بُعد الهلاك المعنوي (الغابرين):

- التنبيه إلى أن "البقاء" مع الباطل هو نوع من الغبرة والاندثار، بينما "الارتحال" نحو الحق هو النجاة الحقيقية.

٤. بُعد الوضوح في التواصل:

- الحوار بين إبراهيم والملائكة يعكس رقي "العقل المؤمن" في محاولة فهم السنن الكونية والمصيرية للأمم.

لوط واللقاء التاريخي وبداية التنفيذ (٦١-٦٦)

النص القرآني:

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦)﴾

(سورة الحجر: ٦١-٦٦)

١. مرحلة التيسير

فلما جاء (الملائكة) آل لوط (المرسلون) بالبشرى والنذارة، قال (لوط لهم) إنكم قوم منكرون (غير معروفين لي وأخاف من شأنكم)، قالوا بل جئناك (بالعذاب) الذي كانوا (قومك) فيه يمترون (يشكون ويكذبون)، وأتيناك بالحق (الثابت واليقين) وإنا لصادقون (في بلاغنا)، فأسرِ (ارحل ليلاً) بأهلك بقطع (جزء متبقٍ) من الليل واتبع أدبارهم (سر خلفهم لحمايتهم) ولا يلتفت منكم أحد (لينظر خلفه) وامضوا حيث تؤمرون (بالذهاب إليه)، وقضينا (أوحينا وأعلمنا) إليه ذلك الأمر (النهائي) أن دابر (آخر) هؤلاء مقطوع (مستأصل بهلاكهم) مصبحين (وقت الصباح).

---

٢. مرحلة النثر

فلما وصل الملائكة المرسلون إلى بيت لوط، بادرهم لوط بالقول: إنكم قوم غير معروفين لديّ وأنا أستنكر هيئتكم وأخشى من غرضكم، فأجابوه مطمئنين له: لا تخف، بل جئناك بوقوع العذاب الذي كان قومك يشكون فيه ويكذبون بوقوعه، وأتيناك بالخبر اليقين والحق الثابت الذي لا ريب فيه وإنا لصادقون فيما أخبرناك به، فخرج بأهلك المؤمنين في جزء متبقٍ من الليل قبل طلوع الفجر، وسِرْ أنت خلفهم لتكون حارساً لهم ورافعاً لمعنوياتهم، ولا ينظر أحد منكم وراءه إلى ما سيحل بالقوم، واستمروا في طريقكم إلى حيث أمركم الله بالوصول، وأوحينا إلى لوط ذلك القرار الإلهي النهائي القاطع بأن هؤلاء المجرمين سيُستأصلون عن آخرهم ويُقطع دابرهم وقت الصباح.

---

٣. مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. التعبير بـ "منكرون" يصور القلق الإنساني لداعية يعيش في بيئة معادية؛ فهو يستغرب الوجوه الحسنة والطارئة خوفاً عليها أو منها. (أصله: {قَوْمٌ مُّنكَرُونَ})

٢. "بما كانوا فيه يمترون" تشير إلى أن العذاب هو الرد الإلهي العملي على "الامتراء" والتشكيك الفكري في صدق النبوة. (أصله: {يَمْتَرُونَ})

٣. اقتران "الحق" بـ "الصدق" (واتيناك بالحق وإنا لصادقون) يغلق منافذ التشكيك ويؤكد أن الحدث القادم ليس عبثاً بل هو مقتضى العدل. (أصله: {بِالْحَقِّ... لَصَادِقُونَ})

٤. "فأسرِ بأهلك" توجيه حركي يوضح أن النجاة تتطلب جهداً (الارتحال) وتوقيتاً (قطع من الليل). (أصله: {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ})

٥. "واتبع أدبارهم" لفتة تربوية في القيادة؛ فالقائد الحقيقي يكون في المؤخرة ليضمن سلامة الجميع ويراقب ثباتهم. (أصله: {وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ})

٦. النهي "ولا يلتفت منكم أحد" يهدف لفك الارتباط النفسي والبصري مع بيئة المعصية، وتركيز النظر نحو المستقبل (النجاة). (أصله: {وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ})

٧. "وامضوا حيث تؤمرون" تجسيد لتمام الطاعة؛ فالمؤمن يسير خلف الأمر الإلهي حتى لو غابت عنه وجهة النهاية في البداية. (أصله: {وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ})

٨. "وقضينا إليه" تعبير عن الحكم المبرم الذي لا يقبل المراجعة؛ فهو قدر إلهي صار نافذاً في عالم الغيب قبل وقوعه في عالم الشهادة. (أصله: {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ})

٩. استعارة "دابر هؤلاء مقطوع" تصور استئصالهم من جذورهم، فلا يبقى لهم أثر ولا خلف يمتد. (أصله: {دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ})

١٠. تحديد "مصبحين" ينسجم مع سياق السورة في تعذيب المجرمين وقت ظهور الضوء، ليكون العذاب مشهوداً وأشد إهانة. (أصله: {مُّصْبِحِينَ})

---

٤. مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الحيطة والحذر من المجهول في بيئات الفتنة، وهو ما تمثل في استنكار لوط للملائكة قبل معرفتهم. (دليله: {إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ})

٢. مشروعية الهجرة والفرار بالدين والأهل من الأرض التي استحقت العذاب بظلمها. (دليله: {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ})

٣. حرمة الالتفات لبيئات الباطل أو الحنين إليها عند المفارقة، وضرورة القطيعة التامة مع مواطن الهلاك. (دليله: {وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ})

٤. وجوب تنفيذ الأوامر الإلهية بدقة متناهية (الزمان، المكان، الهيئة) لضمان النجاة. (دليله: {وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ})

---

٥. مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة حسم الامتراء:** الشك في سنن الله (الامتراء) ينتهي دائماً بمواجهة الحق الواقعي الذي لا مفر منه. (دليله: {بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ... وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ})

٢. **قاعدة حماية الاتباع:** القائد يسير خلف رعيته (واتبع أدبارهم) ليحقق لهم الأمان المعنوي والمادي ويمنع تخلف الضعفاء. (دليله: {وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ})

٣. **قاعدة الاستئصال التام:** الظلم العظيم الذي ينتهك الفطرة يؤدي إلى "قطع الدابر"، أي محو الأثر الوجودي تماماً. (دليله: {دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ})

٤. **قاعدة اليقين بالبلاغ:** الوحي "قضاء" (وقضينا)، ومن أخبره الله بمصير عدوه وجب عليه الطمأنينة وعدم الوهن. (دليله: {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ})

---

٦. الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد سيكولوجية التغيير:

- "عدم الالتفات" يعلم الإنسان أن التغيير الجذري والنجاة من الفشل يتطلب تركيزاً كاملاً على الهدف وقطعاً مع عثرات الماضي.

٢. بُعد القيادة الواعية:

- التوجيه بـ "واتبع أدبارهم" يقدم نموذجاً للقيادة التي لا تطلب الوجاهة (المقدمة) بل تطلب الحماية والرعاية (المؤخرة).

٣. بُعد انتهاء مهلة التكذيب:

- "مصبحين" رسالة بأن للظلم "فجراً" تنكشف فيه عاقبته، وأن الوقت الذي يظنه الظالم أماناً (الصباح) قد يكون هو ذاته وقت زواله.

٤. بُعد حتمية الصدق الإلهي:

- "وإنا لصادقون" تأكيد على أن الوعود والوعيد في القرآن ليست تخويفاً نظرياً، بل هي حقائق واقعية ستحدث في زمانها المقدر.

مراودة القوم وهتك الحرمات (٦٧-٧٢)

النص القرآني:

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢)﴾

(سورة الحجر: ٦٧-٧٢)

---

١. مرحلة التيسير

وجاء أهل المدينة (قوم لوط) يستبشرون (بقدوم الضيوف طمعاً في الفاحشة)، قال (لوط لهم) إن هؤلاء ضيوفي فلا تفضحون (بأذيتهم)، واتقوا الله (خافوا عقابه) ولا تخزون (تذلوني أمام ضيوفي)، قالوا ألم ننهك عن (استضافة) العالمين (من الرجال)، قال هؤلاء بناتي (فتزوجوهن) إن كنتم فاعلين (ما تريدون في الحلال)، لعممرك (قسماً بحياتك يا محمد) إنهم لفي سكرتهم (ضلالهم) يعمهون (يتخبطون).

٢. مرحلة النشر

لقد جاء أهل المدينة من قوم لوط وهم يتبادلون البشارات طمعاً في الفاحشة بقدوم الضيوف، فواجههم لوط مبيناً أن هؤلاء في ضيافته فلا ينبغي لهم الفضيحة بأذيتهم، مناشداً إياهم أن يتقوا الله ويخافوا عقابه ولا يذلوه أمام ضيوفه، فردوا عليه مستنكرين: ألم ننهك سابقاً عن استضافة الرجال من العالمين، فدعاهم إلى البديل الفطري قائلاً إن هؤلاء بناتي فتزوجوهن إن كنتم تريدون الحلال وتفعلونه، وهنا يقسم الله بحياتك يا محمد إن هؤلاء القوم لفي ضلالهم وسكرتهم يتخبطون.

٣. مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. استخدام "يستبشرون" يشير إلى تحول المنكر في وجدان الجماعة إلى مصدر للسرور الجماعي العلني. (أصله: {يَسْتَبْشِرُونَ})

٢. التمسك بوصف "ضيفي" يبرز محاولة لوط استخدام آخر ما تبقى من أعراف إنسانية (حق الضيافة) لصد العدوان. (أصله: {ضَيْفِي})

٣. الجمع بين "لا تفضحون" و"لا تخزون" يوضح أن الضرر الواقع على النبي هو ضرر اجتماعي ونفسي عميق يمس كرامته. (أصله: {فَلَا تَفْضَحُونِ... وَلَا تُخْزُونِ})

٤. تعبير "أولم ننهك عن العالمين" يكشف عن هيمنة اجتماعية فاسدة كانت تسعى لعزل لوط عن ممارسة أي دور إصلاحي أو إنساني. (أصله: {أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ})

٥. عرض "هؤلاء بناتي" يمثل قمة المسؤولية الأبوية والقيادية للداعية الذي يبحث عن مخرج شرعي يحمي الفطرة والكرامة. (أصله: {هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي})

٦. القسم الإلهي "لعممرك" يرفع من شأن النبي محمد ويربط بين سمو حياته وانحطاط سلوك أهل المدينة المذكورين. (أصله: {لَعَمْرُكَ})

٧. استعارة "السكرة" تصف بدقة غياب الوعي والمنطق لدى من تسيطر عليهم الشهوات الشاذة. (أصله: {لَفِي سَكْرَتِهِمْ})

٨. فعل "يعمهون" يصور التخبط البصري والبصيري، حيث يفقد المجرم القدرة على رؤية الحقائق الواضحة. (أصله: {يَعْمَهُونَ})

٩. الخطاب بـ "أيها" أو النداءات الضمنية في السياق تبرز المواجهة المباشرة بين نبل النبوة وسقوط الرعاع. (أصله: {قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي})

١٠. الآيات ترسم مشهد "المدينة" التي انقلبت وظيفتها من السكن والأمان إلى بيئة للتهديد وهتك الحرمات. (أصله: {وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ})

---

٤. مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب حماية الضيف والالتزام بحرمة البيوت ومنع التعدي عليها بأي ذريعة. (دليله: {إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ})

٢. تقرير مشروعية الزواج كبديل وحيد وشرعي لقضاء الشهوات البشرية وفق الفطرة. (دليله: {هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ})

٣. حرمة التواطؤ الجماعي على المنكر وما يسمى بـ "استبشار المعصية". (دليله: {يَسْتَبْشِرُونَ})

٤. جواز القسم بعمر الأنبياء وحياتهم من قبل الله تعالى تعظيماً لمقامهم وتصديقاً لرسالاتهم. (دليله: {لَعَمْرُكَ})

---

٥. مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الأمان الاجتماعي:** كرامة الفرد مرتبطة بكرامة ضيفه، وانتهاك أحدهما هو انتهاك للسلم الأهلي والقيم الإنسانية. (دليله: {فَلَا تَفْضَحُونِ})

٢. **قاعدة العمى الشهواني**: من انغمس في الرذيلة فقد القدرة على المحاكمة العقلية الصحيحة وأصبح في حكم "السكران" معرفياً. (دليله: {لَفِي سَكْرَتِهِمْ})

٣. **قاعدة البديل الإصلاحي**: دور النبي لا يقتصر على المنع، بل يمتد لفتح أبواب الحلال وتسهيل طرقه (عرض البنات للزواج). (دليله: {هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي})

٤. **قاعدة الشهادة الربانية**: الله شاهد ومطلع على أحوال أنبيائه، ويتدخل بالقسم والوحي لنصرتهم وتبيان حقيقة خصومهم. (دليله: {لَعَمْرُكَ})

---

٦. الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد كرامة الإنسان:

- الدفاع عن الضيوف يمثل قيمة "الأمان" التي يجب أن تتوفر في كل مجتمع إنساني يحترم نفسه.

٢. بُعد سيكولوجية الانحراف:

- كيف يمكن للشهوة أن تلغي احترام "الشيخوخة" أو "النبوة" أو "حقوق الجوار"، مما يؤدي إلى تفكك الروابط الحضارية.

٣. بُعد التضحية القيادية:

- لوط عليه السلام يضع مصلحة المجتمع وصيانة الأعراض العامة فوق راحته النفسية وسلامته الشخصية.

٤. بُعد السقوط قبل الزوال:

- وصف القوم بـ "العمه" هو إعلان بموتهم المعنوي؛ فالمجتمع الذي لا يحترم الضيف ولا يفرق بين الحلال والحرام هو مجتمع آيل للسقوط الحتمي.

الخسف الكوني وعبرة التاريخ (٧٣–٧٧)

النص القرآني:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)﴾

(سورة الحجر: ٧٣–٧٧)

---

١. مرحلة التيسير

(فأخذتهم الصيحة) فجاءهم صوت العذاب المهلك (مشرقين) وقت شروق الشمس، (فجعلنا عاليها سافلها) فقلبنا مدينتهم بجعل أعلاها أسفلها (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) وأرسلنا عليهم حجارة من طين متصلب متجرجر، (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) لعلامات ودلائل للناظرين المتفرسين المعتبرين، (وإنها لبسبيل مقيم) وإن آثار هذه المدينة لفي طريق ثابت يمر به الناس، (إن في ذلك لآية للمؤمنين) لعلامة واضحة وموعظة لمن صدق بالله.

---

٢. مرحلة النشر

فجاءهم صوت العذاب المهلك وقت شروق الشمس، فقلبنا مدينتهم بجعل أعلاها أسفلها وأرسلنا عليهم حجارة من طين متصلب متجرجر؛ ليكون في ذلك علامات ودلائل للناظرين المتفرسين المعتبرين، لا سيما وأن آثار هذه المدينة لفي طريق ثابت يمر به الناس، مما يجعله علامة واضحة وموعظة لمن صدق بالله.

---

٣. مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. اقتران "الصيحة" بوقت "الإشراق" يصور الصدمة الوجودية؛ فالوقت الذي ينتظر فيه الناس النور والحياة كان وقت زوالهم التام. (أصله: {الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ})

٢. "جعلنا عاليها سافلها" عقوبة تناسب ذنبهم؛ فكما قلبوا الفطرة بوضع الأمور في غير موضعها، قُلب كيانهم المادي. (أصله: {عَالِيَهَا سَافِلَهَا})

٣. "حجارة من سجيل" تعبير عن السماء التي تحولت من مصدر للمطر والحياة إلى مصدر للقذائف الصلبة المهلكة. (أصله: {حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ})

٤. وصف "المتوسمين" يشيد بالعقل الذي لا يكتفي بالنظر السطحي، بل يغوص في "وسم" الأشياء وعلاماتها ليفهم السنن. (أصله: {لِّلْمُتَوَسِّمِينَ})

٥. "بسبيل مقيم" تؤكد أن التاريخ ليس قصصاً غابرة فحسب، بل هو شواهد مادية مقيمة على الطريق يراها الناس بأعينهم. (أصله: {لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ})

٦. الانتقال من "آيات للمتوسمين" إلى "آية للمؤمنين" يوضح أن الانتفاع بالعبرة يبدأ بالتفكر وينتهي بالإيمان العميق. (أصله: {لَآيَاتٍ... لَآيَةً})

٧. "فأخذتهم" الفاء تفيد السرعة والتعقيب؛ فبعد الغفلة التي كانوا فيها جاء العذاب الخاطف الذي لا مفر منه. (أصله: {فَأَخَذَتْهُمُ})

٨. استخدام صيغة الجمع في "آيات" مع المتوسمين لأنهم يستخرجون من الحادثة الواحدة دروساً متعددة (اجتماعية، أخلاقية، كونية). (أصله: {لَآيَاتٍ})

٩. التنكير في "حجارة" يفيد الكثرة والترعيب، فهي ليست مطراً عادياً بل هي رجم مقدر. (أصله: {حِجَارَةً})

١٠. الآيات تربط بين "المكان" (السبيل المقيم) وبين "الحدث" (الخسف) لإقامة الحجة المادية على المنكرين. (أصله: {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ})

٤. مرحلة استنطاق الأحكام

١. الإيمان بوقوع المعجزات الكونية (القلب، الرجم، الصيحة) كأدوات إلهية لتطهير الأرض من الجرائم الكبرى. (دليله: {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا})

٢. وجوب الاعتبار والاتعاظ بمصارع الأمم السابقة، خاصة عند المرور بآثارهم أو طرقهم. (دليله: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ})

٣. مشروعية استخدام الفراسة والتوسم في استنباط السنن الإلهية من الحوادث التاريخية. (دليله: {لِلْمُتَوَسِّمِينَ})

٤. إثبات أن الحساب الدنيوي قد يسبق الحساب الأخروي ليكون عبرة لمن يعتبر. (دليله: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ})

---

٥. مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة المشاكلة في العقوبة**: من نكس فطرته بقلب المفاهيم، واجه قدراً يقلب عليه موازين الأرض التي يقف عليها. (دليله: {عَالِيَهَا سَافِلَهَا})

٢. **قاعدة شهود الأثر**: الله يترك "سبلاً مقيمة" من آثار الهالكين لئلا يدعي أحد أن القصص هي مجرد أساطير بلا واقع مادي. (دليله: {لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ})

٣. **قاعدة التوسم المعرفي**: التفوق الحضاري يتطلب عقولاً "متوسمة" تدرك العلامات المخفية وراء الأحداث الظاهرة. (دليله: {لِلْمُتَوَسِّمِينَ})

٤. **قاعدة المباغتة**: العذاب يأتي في لحظة الغفلة أو السكون (الإشراق)، ليقطع دابر الظلم في ذروة نشاطه المادي. (دليله: {مُشْرِقِينَ})

---

٦. الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الجغرافيا التاريخية:

- القرآن يربط النص بالواقع الجغرافي (السبيل المقيم)، مما يحول الجغرافيا إلى "كتاب مفتوح" للتربية الأخلاقية.

٢. بُعد التفرس (التوسم):

- دعوة الإنسان لتطوير مهارات "التوسم" وهي قراءة ما وراء النص أو المشهد، لبناء وعي يحمي المجتمعات من تكرار الأخطاء.

٣. بُعد السقوط الشامل:

- "عاليها سافلها" يمثل انهيار البنية التحتية والفوقية للمجتمع الذي يتخلى عن قيمه، فهو انهيار مادي مسبوق بانهيار قيمي.

٤. بُعد طمأنينة المؤمن:

- وجود هذه "الآية للمؤمنين" يعطيهم اليقين بأن الباطل مهما علا فإن مآله السقوط والاندثار.

أصحاب الأيكة وعاقبة التكذيب (٧٨-٧٩)

النص القرآني:

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩)﴾

(سورة الحجر: ٧٨-٧٩)

---

١. مرحلة التيسير

وإن كان أصحاب الأيكة (سكان الغيضة الملتفة الشجر) لظالمين (بأنفسهم وبكفرهم)، فانتقمنا منهم (بالعذاب المدمر) وإنهما (ديار قوم لوط وقوم شعيب) لبإمام مبين (طريق واضح يمر به المسافرون).

---

٢. مرحلة النثر

ولقد كان سكان الغيضة الملتفة الشجر ظالمين لأنفسهم وبكفرهم، فانتقمنا منهم بالعذاب المدمر، وإن ديار قوم لوط وقوم شعيب لواقعتان بمسير طريق واضح يمر به المسافرون فيبصرون آثار الهالكين.

---

٣. مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. الربط بالواو (وإن كان) يشير إلى وحدة السنن التاريخية؛ فما جرى لقوم لوط ينسحب على أصحاب الأيكة. (أصله: {وَإِن كَانَ})

٢. تسمية القوم بـ "أصحاب الأيكة" يحمل دلالة الالتصاق بالنعمة المادية وجمال الطبيعة الذي صار حجاباً عن الحق. (أصله: {أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ})

٣. تأكيد الظلم بـ "إن" و"اللام" (لظالمين) يوضح أن استحقاق العذاب لم يكن إلا بعد تجذر الظلم في نفوسهم. (أصله: {لَظَالِمِينَ})

٤. تعبير "فانتقمنا منهم" يبرز غضب الحق لانتهاك الفطرة والعدل، وهو رد فعل إلهي موازن لفعل الظلم البشري. (أصله: {فَانتَقَمْنَا})

٥. "وإنهما" ضمير التثنية يجمع بين مدينتي لوط وشعيب، ليوحد بين الفساد الأخلاقي والفساد المالي في العاقبة. (أصله: {وَإِنَّهُمَا})

٦. استخدام لفظ "إمام" للطريق يجعله قائداً للبصيرة؛ فالمسافر يأتمّ بآثارهم ليعرف طريق النجاة. (أصله: {لَبِإِمَامٍ})

٧. وصف الطريق بـ "مبين" يقطع أي عذر للغافلين، فالحقائق معروضة في جنبات الأرض لمن ألقى السمع. (أصله: {مُّبِينٍ})

٨. الإيجاز في قصة أصحاب الأيكة هنا يخدم غرض "التحذير الكلي" بعد التفصيل في "التحذير الجزئي" لقصة لوط. (أصله: {فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ})

٩. الظلم وصف شامل، وفي قصص أخرى فُصّل في تطفيفهم للميزان، مما يربط هلاك الأمم بالظلم الاجتماعي. (أصله: {لَظَالِمِينَ})

١٠. الآيات ترسخ فكرة "المكان الشاهد"، فالأرض لا تنسى خطايا الساكنين بل تحفظها في أطلال ناطقة. (أصله: {لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ})

---

٤. مرحلة استنطاق الأحكام

١. تحريم الظلم بكافة صوره، واعتباره السبب المباشر لزوال النعم والهلاك. (دليله: {لَظَالِمِينَ})

٢. وجوب الاعتبار والاتعاظ عند المرور بمواطن الهلاك، لقوله {لبإمام مبين}. (دليله: {لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ})

٣. الإيمان بصفة "الانتقام" لله عز وجل، وهي صفة عدل تُمارس ضد المجرمين المستكبرين. (دليله: {فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ})

٤. مشروعية الربط بين آثار الأمم الغابرة وبين الوعظ المعاصر لتثبيت القلوب. (دليله: {وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ})

---

٥. مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة حتمية الجزاء:** الظلم لا يمر بلا عقاب، والانتقام الإلهي هو مآل كل استكبار بشري. (دليله: {لَظَالِمِينَ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ})

٢. **قاعدة التاريخ المفتوح**: الله جعل آثار الظالمين "إماماً" (دليلاً) ظاهراً ليتمكن كل جيل من قراءة عواقب الانحراف. (دليله: {لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ})

٣. **قاعدة المشاكلة والجمع**: تتعدد أسباب الفساد (شهوة أو مال) وتتوحد النتيجة (هلاك)، لذا جُمع بين القومين في ضمير واحد. (دليله: {وَإِنَّهُمَا})

٤. **قاعدة انتهاء الأمان**: القوة المادية أو الحصانة البيئية (الأيكة) لا تحمي القوم إذا نزل بهم قرار الانتقام. (دليله: {فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ})

---

٦. الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الرقابة الذاتية:

- التذكير بأن الله يراقب "الأصحاب" في خلوات نعمهم (الأيكة)، مما يربي في الإنسان خشية الله في السر والعلن.

٢. بُعد السياحة الاعتبارية:

- تحويل الرحلة الجغرافية إلى رحلة روحية وتاريخية، حيث يصبح الطريق (الإمام) معلماً يغذي العقل بالدروس.

٣. بُعد زوال الحضارات المادية:

- رسالة لكل حضارة مغرورة ببيئتها أو تقدمها، بأن البقاء للعدل والقيم، والظلم هو معاول هدم البنيان.

٤. بُعد الوضوح في الرسالة الإلهية:

- الحق ليس لغزاً، بل هو "مبين" في الآيات المنزلة وفي الآثار القائمة، مما يعزز مسؤولية الإنسان عن اختياراته.

أصحاب الحجر ومواجهة اليقين (٨٠-٨٤)

النص القرآني:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)﴾

(سورة الحجر: ٨٠-٨٤)

---

١. مرحلة التيسير

(ولقد) كذب أصحاب الحجر (وهم قوم صالح سكان وادي القرى) المرسلين (بتكذيبهم لنبيهم صالح)، وآتيناهم آياتنا (المعجزات الدالة على صدقه كالناقة) فكانوا عنها معرضين (تاركين لها غير معتبرين)، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً (ليسكنوها وهم) آمنين (من سقوطها أو من العذاب)، فأخذتهم الصيحة (صوت العذاب المهلك) مصبحين (وقت الصباح)، فما أغنى عنهم (ما دفع عنهم العقاب) ما كانوا يكسبون (من بناء البيوت الحصينة والأموال).

---

٢. مرحلة النشر

ولقد كذب سكان وادي الحجر المرسلين بتكذيبهم لنبيهم صالح، وآتيناهم المعجزات الدالة على صدقه كالناقة فكانوا عنها تاركين لها غير معتبرين، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ليسكنوها وهم آمنون من سقوطها أو من العذاب، فأخذهم صوت العذاب المهلك وقت الصباح، فما دفع عنهم العقاب ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الحصينة والأموال.

---

٣. مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. التعبير بـ "أصحاب الحجر" يشير إلى القوة والمناعة التي استمدوها من طبيعة أرضهم الجبلية الصلبة. (أصله: {أَصْحَابُ الْحِجْرِ})

٢. وصفهم بتكذيب "المرسلين" (بالجمع) رغم أن نبيهم واحد، تأكيد على أن دعوة الأنبياء واحدة ومن كذب بواحد فقد كذب بالجميع. (أصله: {الْمُرْسَلِينَ})

٣. "آتيناهم آياتنا" تفيد أن الحجة قامت عليهم بأدلة ملموسة لم تترك مجالاً للجهل. (أصله: {وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا})

٤. وصف حالهم بـ "الإعراض" (معرضين) يصور التكبر النفسي الذي يمنع الإنسان حتى من مجرد النظر في الدليل. (أصله: {مُعْرِضِينَ})

٥. "ينحتون من الجبال" تصوير للقدرة الهندسية الفائقة والقوة البدنية التي أغرتهم بالخلود. (أصله: {يَنْحِتُونَ})

٦. كلمة "آمنين" تصف شعوراً كاذباً بالأمان استندوا فيه إلى مادتهم (الجبال) ونسوا مسبب الأسباب. (أصله: {آمِنِينَ})

٧. مباغتة الصيحة لهم "مصبحين" ينسجم مع مطلع السورة في عقاب الظالمين وقت الضياء ليكون أنكل بهم. (أصله: {مُصْبِحِينَ})

٨. الاستفهام الإنكاري في "فما أغنى" يسخر من كل قوة مادية تظن أنها قادرة على الوقوف في وجه الإرادة الإلهية. (أصله: {فَمَا أَغْنَىٰ})

٩. "ما كانوا يكسبون" لفظ شامل للبيوت الحصينة، الأموال، والتحصينات التي لم تغنِ عنهم شيئاً أمام "الصوت". (أصله: {مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ})

١٠. الآيات تربط بين اسم السورة (الحجر) وبين مصير قوم ظنوا أن "الحجر" سيحميهم من "قدر" الله. (أصله: {الْحِجْرِ})

---

٤. مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بجميع الرسل، وأن التكذيب بواحد هو خروج عن منهج التوحيد الكلي. (دليله: {كَذَّبَ... الْمُرْسَلِينَ})

٢. حرمة الإعراض عن الآيات الكونية والشرعية، ووجوب التدبر فيها. (دليله: {فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ})

٣. الإيمان بأن القوة المادية (عمرانية أو تقنية) ليست مانعة من عذاب الله إذا حان وقته. (دليله: {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ})

٤. وجوب الاستعداد الدائم للقاء الله، وعدم الاغترار بالأمان الزائف في الدنيا. (دليله: {وَكَانُوا... آمِنِينَ})

---

٥. مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة سقوط الحصون:** الحصانة الحقيقية في "الإيمان" لا في "البنيان"؛ فالحجر الذي نحتوه صار قبوراً لهم. (دليله: {يَنْحِتُونَ... فَمَا أَغْنَىٰ})

٢. **قاعدة وحدة الرسالة:** إنكار جزء من الحق هو إنكار للحق كله، وتكذيب رسول هو تكذيب لكل "المرسلين". (دليله: {كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ})

٣. **قاعدة مباغتة العقاب:** العقاب الإلهي يأتي في أكثر أوقات الاسترخاء (الصباح) لبيان عجز الإنسان المطلق. (دليله: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ})

٤. **قاعدة العجز الكسبي:** ما يكسبه الإنسان من قوة مادية يتلاشى أثره تماماً أمام القوى الكونية المسخرة بأمر الله. (دليله: {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ})

---

٦. الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الغرور التكنولوجي:

- نقد العقلية الحضارية التي تظن أن التحكم في المادة (نحت الجبال) يمنحها حصانة ضد السنن الأخلاقية والكونية.

٢. بُعد الأمان الزائف:

- تحذير النفس البشرية من الاستكانة لظواهر القوة، وضرورة ربط الأمان "المادي" بالأمان "الروحي" والقيمي.

٣. بُعد الهلاك باللطيف (الصوت):

- إهلاك أصحاب القوة الصلبة (الجبال) بصوت (هواء مرتعش) يبرز عظمة الخالق في تسخير ألطف جنوده لهدم أعتى حصون خلقه.

٤. بُعد بقاء الأثر للشاهد:

- وجود بيوتهم المنحوتة إلى اليوم رسالة صامتة تخاطب أجيال "الكسب" المعاصر بأن العاقبة للتقوى.

السبع المثاني والقرآن العظيم (٨٧–٨٨)

النص القرآني:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾

(سورة الحجر: ٨٧–٨٨)

١. مرحلة التيسير

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا(كتابا كاملا) مِّنَ الْمَثَانِي (المكرر) وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾

٢. مرحلة النشر

ولقد أعطيناك يا محمد كتاباً كاملاً من الآيات المكررة، وأعطيناك القرآن العظيم المشتمل على الهدى والنور، فلا تنظر ببصرك بإعجاب وتمنٍّ إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار من لذات الدنيا الزائلة، ولا تحزن على كفرهم وإعراضهم عن دعوتك، وكن ليناً متواضعاً رحيماً لمن اتبعك من المؤمنين.

---

٣. مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. وصف القرآن بالسبع المثاني" يشير إلى تكرار معانيه للتأكيد والبيان: (أصله: {سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي})

٢. عطف "القرآن العظيم" على الكتاب من باب البيان. (أصله: {وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ})

٣. "لا تمدن عينيك" نهي عن التطلع النفسي لزخرف الدنيا، فمن ملك "القرآن" ملك الغنى المطلق الذي لا تُساويه كنوز الأرض. (أصله: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ})

٤. التعبير بـ "أزواجاً منهم" يشير إلى تنوع متاع الدنيا (مال، سلطة، جمال) وتوزعه بين أصناف الكفار، وهو متاع لا يدوم. (أصله: {أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ})

٥. "ولا تحزن عليهم" توجيه للنبي بحفظ طاقته النفسية من الهلاك أسىً على من اختاروا الضلال بمحض إرادتهم. (أصله: {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ})

٦. "واخفض جناحك" صورة بيانية رائعة للتواضع واللين، مشبهةً النبي بالطائر الذي يضم فراخه برفق وحنان. (أصله: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ})

٧. الجمع بين "السبع المثاني" والنهي عن التطلع للمتاع يوضح أن "الغنى القلبي" بالوحي هو الدرع الحقيقي ضد "الفقر المادي". (أصله: {آتَيْنَاكَ... لَا تَمُدَّنَّ})

٨. لفظ "متعنا" يوحي بأن الدنيا ليست إلا "متاعاً" مؤقتاً يُقصد به الاستمتاع العابر، لا الامتلاك الدائم. (أصله: {مَتَّعْنَا})

٩. اختصاص المؤمنين بخفض الجناح يبين أن القوة الحقيقية للقائد تكمن في رحمته باتباعه لا في تعاليه عليهم. (أصله: {لِلْمُؤْمِنِينَ})

١٠. الآية ٨٧ هي مواساة للنبي، فما معه من الوحي أعظم مما معهم من المتاع، والفضل بيد الله وحده. (أصله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ})

---

٤. مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب تعظيم القرآن وانه سبع كامل. (دليله: {آتَيْنَاكَ سَبْعًا})

٢. تحريم تمني ما عند الكفار أو الفجار من زخرف الدنيا على وجه الإعجاب بدينهم أو الركون إليهم. (دليله: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ})

٣. وجوب التواضع للمؤمنين ولين الجانب لهم، خاصة من القادة والمصلحين. (دليله: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ})

٤. كراهة الانشغال الزائد بالحزن على إعراض غير المؤمنين بما يؤثر على أداء الرسالة ونشاط النفس. (دليله: {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ})

---

٥. مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة الكفاية بالوحي**: من أوتي القرآن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة، ولا يجوز له أن يرى أحداً أغنى منه بمتاع زائل. (دليله: {آتَيْنَاكَ... لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ})

٢. **قاعدة التربية بالقدوة:** الداعية الناجح هو من يجمع بين استعلائه بالإيمان عن الدنيا وبين تواضعه الشديد للمؤمنين. (دليله: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ})

٣. **قاعدة الانقطاع عن الفاني:** المتاع الدنيوي "أزواج" وأصناف متفرقة، والوحي "حق" واحد جامع، والاشتغال بالواحد يغني عن المتفرق. (دليله: {مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ})

٤. **قاعدة السلام النفسي للمصلح:** المصلح مسؤول عن التبليغ لا عن النتائج، وحزنُه على الناس يجب ألا يتحول إلى عائق عن العمل. (دليله: {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ})

---

٦. الابعاد الإنسانية

١ .بُعد الغنى الروحي والكمالي

- :تأسيس مفهوم "الاستغناء الذاتي المشبع" بالقيم والوحي، فالإنسان الذي يمتلك منهجاً سماوياً كاملاً تتجدد معانيه وأسراره باستمرار، يُحمى تلقائياً من الشعور بالنقص أو الاستلاب أمام بريق المادة والحضارات المادية الصرفة.
- **أصل البُعد من الآيات** :﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، حيث إن إيتاء الكتاب الكامل المكرر المتجدد هو المصدر المطلق للاكتفاء والكمال الروحي.

٢ .بُعد القيادة والتماسك الاجتماعي

- :صياغة نموذج "القيادة الإنسانية الرحيمة" القائمة على الاحتواء العاطفي والتحصين الداخلي للمجتمع؛ حيث يكون خفض الجناح والرفق بالمؤمنين هو البديل الحضاري عن قيم التسلط المادي، مما يبني مجتمعاً متماسكاً يواجه التحديات الخارجية بنفوس مستقرة.

- **أصل البُعد من الآيات** :﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهو التوجيه المباشر لبناء العلاقات الداخلية بين أفراد المجتمع الإيماني على أساس اللين والتواضع والمحبة.

٣ .بُعد فقه الأولويات والموازين الحضارية

- :إعادة ترتيب موازين القيمة في الفرد والمجتمع، بتركيز العين والعقل على "الوحي الكامل المتجدد" (الخالد والمستمر) بدلاً من "المتاع الزائل" (المؤقت والمتفرق المآل)، مما يحمي البوصلة الحضارية من الانحراف نحو الاستهلاك والمظاهر الفانية.

- **أصل البُعد من الآيات** :المقابلة الربانية بين العطاء الخالد في ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾، والنهي عن الالتفات للمؤقت في ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾.

٤ .بُعد الإدارة والاتزان النفسي

- :توجيه وحماية الطاقة النفسية للإنسان عبر ضبط مشاعر "الحزن" و"الإعجاب"؛ فلا يستهلك الإنسان روحه حزناً على إعراض الماديين وتكذيبهم، ولا ينبهر ببصرِهِ أمام قشرة الحضارة الزائفة، بل يوجه طاقته النفسية والعملية لبناء وحماية مجتمعه.

- **أصل البُعد من الآيات** :﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ لضبط مشاعر الانبهار والإعجاب بالمتاع، و﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لضبط وإدارة مشاعر الأسى والحزن على المعرضين.

النذير المبين وعاقبة المقتسمين (٨٩–٩٣)

النص القرآني:

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾

(سورة الحجر: ٨٩-٩٣)

---

١. مرحلة التيسير

(وقل) وأعلن للناس إني أنا النذير المبين (الموضح لعواقب الكفر)، نذيراً بعذاب (كما) مثل الذي أنزلنا على المقتسمين (الذين اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض)، أولئك الذين جعلوا القرآن عضين (أجزاءً متفرقة فصدقوا ببعض وكذبوا ببعض)، فوربك لنسألنهم أجمعين (سؤال توبيخ وحساب) عما كانوا يعملون (في الدنيا من تكذيب وتجزئة للحق).

---

٢. مرحلة النثر

وأعلن للناس يا محمد جهاراً إني أنا النذير المبين الموضح لعواقب الكفر، نذيراً بعذاب مثل الذي أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا كتبهم المنزلة فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، أولئك الذين جعلوا القرآن أجزاءً متفرقة فصدقوا ببعض وكذبوا ببعض حسب أهوائهم، فوربك لنسألنهم يوم القيامة أجمعين سؤال توبيخ وحساب عما كانوا يعملون في الدنيا من تكذيب وتجزئة للحق واستهزاء به.

---

٣. مرحلة استخراج المعاني (التوسع الدلالي)

١. حصر الوظيفة في "النذير المبين" يبرز أمانة البلاغ ووضوح الحجة التي لا تدع مجالاً للبس أو الغموض. (أصله: {أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ})

٢. وصف "المقتسمين" يشير إلى آفة فكرية وهي تجزئة الحقيقة واختيار ما يوافق الهوى منها وترك الباقي. (أصله: {الْمُقْتَسِمِينَ})

٣. "جعلوا القرآن عضين" تصوير شنيع لمن يتعامل مع الوحي كأعضاء متفرقة (عضة عضة) فيمزق وحدته الموضوعية وهيبته. (أصله: {عِضِينَ})

٤. القسم بـ "فوربك" يضيف مهابة عظيمة للوعيد، ويربط بين مقام الربوبية وبين حتمية الحساب والعدالة. (أصله: {فَوَرَبِّكَ})

٥. "لنسألنهم أجمعين" شمولية المحاكمة الإلهية؛ فلا يشذ عن السؤال أحد ممن تلاعب بالوحي أو كذب به. (أصله: {أَجْمَعِينَ})

٦. السؤال هنا ليس للاستعلام، بل هو "سؤال تقريع" يكشف قبح صنيعهم أمام رؤوس الأشهاد. (أصله: {لَنَسْأَلَنَّهُمْ})

٧. الربط بين "الإنزال" و"الاقتسام" يوضح أن جحود النعمة (الوحي) هو أقصر الطرق لاستحقاق العقوبة. (أصله: {أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ})

٨. "عما كانوا يعملون" تعميم يشمل فعل التجزئة وكل ما تفرع عنه من سلوكيات منحرفة نتجت عن غياب التصديق الكامل. (أصله: {يَعْمَلُونَ})

٩. الآيات تحذر من "الانتقائية" في الدين، وتعتبرها صورة من صور الهلاك التي لحقت بالأمم السابقة. (أصله: {كَمَا أَنزَلْنَا})

١٠. التوجيه بـ "قل" هو أمر بالمواجهة الصريحة وعدم المداهنة في مقام النذارة والتحذير من عاقبة التجزئة. (أصله: {وَقُلْ})

---

٤. مرحلة استنطاق الأحكام

١. وجوب الإيمان بالقرآن ككل لا يتجزأ، وحرمة الانتقائية أو الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه. (دليله: {جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ})

٢. وجوب إعلان النذارة والبلاغ المبين من قِبل الدعاة والمصلحين تأسياً بالنبي الكريم. (دليله: {وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ})

٣. الإيمان بحتمية السؤال والحساب يوم القيامة عن كل عمل، صغيراً كان أو كبيراً. (دليله: {لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ})

٤. مشروعية استخدام القسم لتأكيد الحقائق الإيمانية والوعيد في مواجهة المنكرين. (دليله: {فَوَرَبِّكَ})

---

٥. مرحلة القواعد الكلية

١. **قاعدة وحدة الوحي**: الوحي بنية واحدة متكاملة؛ وتجزئته (عِضين) هي نوع من الهدم الممنهج للدين يستوجب العقاب. (دليله: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ})

٢. **قاعدة الشمولية في المسؤولية**: لا أحد فوق السؤال؛ والعدالة الإلهية تطال الجميع "أجمعين" بناءً على أعمالهم المسجلة. (دليله: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ})

٣. **قاعدة التناسب بين الذنب والعقوبة**: كما اقتسموا الدين وجزأوه، سيواجهون سؤالاً مفصلاً عن كل جزء من أفعالهم. (دليله: {الْمُقْتَسِمِينَ... لَنَسْأَلَنَّهُمْ})

٤. **قاعدة وضوح البلاغ**: النذارة الحقيقية هي التي تتسم بـ "البيان" (المبين)، لتقطع المسافة بين الحق والباطل بوضوح تام. (دليله: {أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ})

---

٦. الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. بُعد الأمانة الفكرية:

- التحذير من العبث بالنصوص أو توظيفها المجتزأ لخدمة أهواء سياسية أو شخصية، وهو ما يُسمى "الاقتسام" المعرفي.

٢. بُعد المسؤولية الفردية والجمعية:

- تأصيل فكرة أن الإنسان سيسأل "عما كان يعمل"، مما يعزز الرقابة الذاتية ويمنع الذوبان في أخطاء الجماعة (أجمعين).

٣. بُعد مواجهة الازدواجية:

- انتقاد الشخصية التي تؤمن بالنص نظرياً وتمزقه عملياً عبر تعطيل أحكامه أو الانتقاء منها، مما يؤدي لخلل حضاري.

٤. بُعد اليقين بالعدالة:

- القسم الإلهي يمنح المظلومين والمصدقين طمأنينة بأن المتلاعبين بالقيم والوحي لن يفلتوا من المحاكمة الكبرى.

سورة النحل

تأسيس التوحيد ودحض الشبهات المادية (١-٤)

)النص القرآني(

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤)﴾ (سورة النحل، الآيات: ١-٤).

)التيسير(

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ (حكمه وعذابه وقضاء الساعة) فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ (بالوحي الذي تحيا به القلوب) مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ (بالحكمة والعدل الثابت) ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ (ماء مهين قليل) فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (شديد الخصومة والجدال بالباطل واضح الجحود) (٤)﴾

)النشر(

أتى أمر الله وقضاؤه وعذابه فلا تستعجلوه تنزيهاً له وتعاظماً عما يشركون، ينزل الملائكة بالوحي الذي تحيا به القلوب من أمره على من يشاء من عباده لإبلاغ الرسالة والتحذير من الشرك وأنه لا إله إلا الله فوجب تقواه، خلق السموات والأرض بالحكمة والعدل الثابت تنزيهاً له وتعاظماً عما يشركون، خلق الإنسان من ماء مهين قليل فإذا هو شديد الخصومة والجدال بالباطل واضح الجحود.

)المعاني(

١ .حتمية وقوع وعد الله وعذابه الموعود وعبر عنه بالماضي لتحققه (أصله: أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ).

٢ .وجوب تنزيه الله عز وجل عما ينسبه إليه المشركون من الشركاء (أصله: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

٣ .الملائكة مأمورون ومسخرون لتنفيذ أوامر الله بإنزال الروح (أصله: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ).

٤ .الوحي يمثل روح الوجود والقلوب التي تمنح الإنسان حياته الحقيقية (أصله: بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ).

٥ .اصطفاء الأنبياء والرسل خاضع للمشيئة الإلهية المطلقة والحكمة الربانية (أصله: عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ).

٦ .الغاية الأساسية والوظيفة الأولى لبعثة الرسل هي الإنذار والتحذير (أصله: أَنْ أَنذِرُوا).

٧ .أصل الدين والتوحيد الخالص يقوم على إفراد الله بالوحدانية المطلقة (أصله: أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا).

٨ .التقوى والخوف من وعيد الله وعذابه ثمرة طبيعية لإدراك التوحيد (أصله: فَاتَّقُونِ).

٩ .خلق الكون الفسيح مبني على الحق والعدل والنظام وليس باطلاً أو عبثاً (أصله: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ).

١٠ .تعالي الذات الإلهية المطلق وتعاظمها عن الشركاء متكرر لتأكيد بطلان الوثنية (أصله: تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

١١ .أصل نشأة الإنسان المادية بدأت من قطرة ماء مهينة ضعيفة لا حول لها (أصله: خَلَقَ الْإِنسانَ مِن نُّطْفَةٍ).

١٢ .تحول الإنسان بعد نموه وقوته إلى المجادلة والخصومة والبيان (أصله: فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ).

١٣ .النهي الصارم عن طلب تعجيل العذاب والجزاء لجهل الإنسان بالعواقب (أصله: فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ).

١٤ .الربط الدائم بين كمال الذات الإلهية وإبطال كل مظاهر الإشراك (أصله: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

١٥ .الأمر الإلهي هو المحرك الأساسي لحركة الملائكة وتنزيل النبوة (أصله: مِنْ أَمْرِهِ).

١٦ .العبودية والامتثال هما الوصفان الملازمان لأهل الاصطفاء والرسالة (أصله: مِنْ عِبَادِهِ).

١٧ .الربط الوثيق بين العقيدة (لا إله إلا أنا) والسلوك الفردي (فاتقون) (أصله: أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ).

١٨ .إبداع السموات والأرض شاهد حي ودليل قاطع على طمس الفكر الشركي (أصله: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

١٩ .التقابل الصارخ بين عظمة الله الخالق وضعف الإنسان المخلوق من مادة دنيا (أصله: خَلَقَ الْإِنسانَ مِن نُّطْفَةٍ).

٢٠ .استخدام الإنسان لنعمة النطق والبيان في المخاصمة والجدال بالباطل ضد خالقه (أصله: فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ).

)الأحكام(

١ .وجوب الإيمان القاطع بحتمية وقوع وعد الله وقضائه دون ريب (الدليل: أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ).

٢ .تحريم استعجال عقاب الله والاعتراض على توقيت الجزاء الإلهي (الدليل: فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ).

٣ .وجوب تنزيه الله وتقديسه باللسان والجنان عن النقائص والشركاء (الدليل: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

٤ .وجوب الامتثال والتسليم للوحي الإلهي باعتباره مادة الحياة الروحية (الدليل: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ).

٥ .وجوب الانقياد لإفراد الله بالوحدانية والعبودية بغير شريك (الدليل: أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا).

٦ .وجوب التزام التقوى في السر والعلن بامتثال الأوامر واجتناب النواهي (الدليل: فَاتَّقُونِ).

٧ .وجوب النظر والتفكر في إتقان خلق السموات والأرض للاستدلال على حكمته (الدليل: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ).

٨ .وجوب تذكر الإنسان لأصله الضعيف المتواضع لكسر كبريائه وغروره (الدليل: خَلَقَ الْإِنسانَ مِن نُّطْفَةٍ).

٩ .تحريم مخاصمة ومجادلة الحق ومواجهة الثوابت اليقينية بالباطل (الدليل: فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ).

١٠ .وجوب البلاغ والإنذار بالتوحيد على ورثة الأنبياء لإقامة الحجة (الدليل: أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا).

)القواعد(

١ .قاعدة "حتمية الجزاء": كل قضاء أو وعيد أخبر الله به فهو واقع لا محالة وإن تراخى زمنه (الدليل: أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ).

٢ .قاعدة "الحياة بالوحي": لا حياة حقيقية ولا نهضة للمجتمعات الإنسانية إلا بالارتباط بروح الوحي (الدليل: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ).

٣ .قاعدة "التلازم بين العِلم والعمل": معرفة التوحيد تستلزم بالضرورة تطبيق سلوك التقوى (الدليل: أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ).

٤ .قاعدة "الحق الكوني": الكون مبني على نظام الحق والعدل والمقاصد والحكمة الصارمة (الدليل: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ).

٥ .قاعدة "الجحود البشري": عقلية الإنسان غير المزكاة تميل للمواجهة والمخاصمة كلما استغنت وقويت (الدليل: خَلَقَ الْإِنسانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ).

)الأبعاد(

١ .بُعد التحرير الفكري والروحي: تحرير العقل الإنساني من الخرافة وعبادة الأوثان والمادة عبر إعلان التنزيه المطلق وتأسيس الرؤية التوحيدية الشاملة (أصله: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

٢ .بُعد البناء الفلسفي والمعرفي للكون: إثبات أن الوجود المادي غائي ومصمم بحكمة بالغة

وقوانين ثابتة ترفض العبثية والصدفة الصرفة (أصله: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ).

٣ .بُعد التوازن والاتزان النفسي: حماية الطاقة البشرية من تدمير الاستعجال والاضطراب عبر الرضا بالحتميات والحياد أمام التوقيت الإلهي للأحداث (أصله: فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ).

٤ .بُعد التربية والتواضع الإنساني: صياغة الشخصية السوية عبر تذكيرها الدائم بأصل خلقها المادي المتواضع لردع الغرور الحضاري والعلمي المتغطرس (أصله: خَلَقَ الْإِنسانَ مِن نُّطْفَةٍ).

٥ .بُعد الحياة والحضارة الروحية: الوحي ليس مجرد نصوص تشريعية بل هو الروح الفاعلة والمحركة التي تبعث النهضة الحضارية المتكاملة في المجتمعات (أصله: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ).

٦ .بُعد الانضباط والمسؤولية السلوكية: ضبط الممارسات الاجتماعية والسياسية والتشريعية من خلال الخوف والتقوى النابعة من مراقبة الإله الواحد العادل (أصله: فَاتَّقُونِ).

٧ .بُعد القيادة والتأهيل بالرسالة: صياغة نماذج القيادة المجتمعية القائمة على حمل هم البلاغ والإنذار بوعي وحكمة واصطفاء أخلاقي رفيع (أصله: عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا).

٨ .بُعد فقه الموازين ومحاربة الجحود: كشف التناقض البشري الذي يستخدم النعم والقدرات البيانية التي وهبها الله له في محاربة الخالق ومخاصمته (أصله: فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ).

٩ .بُعد الثبات والحتمية الوجودية: توجيه الفرد والمجتمع لتركيز الجهود نحو التفاعل مع السنن الحتمية والوعود الإلهية الثابتة بدلاً من الانشغال بالشكوك (أصله: أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ).

١٠ .بُعد العالمية والشهود الحضاري: تأسيس خطاب توحيدي عالمي موجه لكل المجتمعات يتجاوز حدود العرق والطبقية ليقف الجميع أمام الخالق بميزان التقوى (أصله: أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ).

تذليل الأنعام ومظاهر الجمال والدفء الحضاري (٥-٨)

)النص القرآني(

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)﴾ (سورة النحل، الآيات: ٥-٨).

)التيسير(

﴿وَالْأَنْعَامَ (الإبل والبقر والغنم) خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ (ما يُستدفأ به من صوفها وأوبارها وأشعارها) وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ (زينة ومظهر مبهج) حِينَ تُرِيحُونَ (وقت عودتها من المرعى مساءً) وَحِينَ تَسْرَحُونَ (وقت إخراجها للمرعى صباحاً) (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ (أمتعتكم وأحمالكم الثقيلة) إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ (بمشقة شديدة وجهد عظيم للأنفس) ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (من وسائل الركوب والنقل والمخلوقات المستقبلية والمجهولة) (٨)﴾

)النشر(

والأنعامَ خلقها لكم فيها دفءٌ مما تصنعونه من صوفها وأوبارها وأشعارها ومنافعُ شتى ومن لحومها تأكلون، ولكم فيها جمالٌ ومظهرٌ مبهجٌ لصدوركم حين تعود بها الرعاةُ إلى منازلها مساءً وحين تخرجونها إلى المراعي صباحاً، وتُسخّر لحمل أمتعتكم وأحمالكم الثقيلة وتسيير رحلاتكم إلى بلاد بعيدة لم تكونوا لتصلوا إليها إلا بمشقة شديدة وجهد عظيم للأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم بالعباد، وخلق الخيل والبغال والحمير لتستعملوها في ركوبكم وجعلها لكم زينةً بهيجةً ويخلقُ اللهُ ما لا تعلمون من وسائل ومخلوقات.

)المعاني(

١ .خلق الأنعام مسخرة لخدمة الإنسان وتلبية احتياجاته الأساسية (أصله: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا).

٢ .امتن الله على عباده بما في الأنعام من وسائل التدفئة الطبيعية كالجلود والأصواف (أصله: لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ).

٣ .تنوع المنافع المادية واللوجستية المستخرجة من هذه الكائنات الحية (أصله: وَمَنَافِعُ).

٤ .إباحة أكل لحوم الأنعام وجعلها مصدراً أساسياً لغذاء البشرية (أصله: وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ).

٥ .إثبات بُعد الجمال والمتعة البصرية والنفسية في رؤية الثروة الحيوانية (أصله: وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ).

٦ .بهجة مالكي الأنعام عند عودتها ممتلئة الضروع والبطون في المساء (أصله: حِينَ تُرِيحُونَ).

٧ .رونق الحيوية والنشاط عند انطلاق الدواب إلى مرعاها أول النهار (أصله: وَحِينَ تَسْرَحُونَ).

٨ .قيام الدواب بوظيفة النقل الشاق للأحمال المادية الضخمة بين المدن (أصله: وَتَحْمِلُ

أَثْقَالَكُمْ).

٩ .عجز الإنسان وضعفه عن قطع المسافات البعيدة بذاته وبدون وسائل نقل (أصله: إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ).

١٠ .تعليل تسخير وسائل النقل برأفة الله الواسعة ورحمته بضعف خلقه (أصله: إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

١١ .تخصيص الخيل والبغال والحمير بوظيفتي الركوب والانتقال السريع (أصله: وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا).

١٢ .مراعاة الشارع للزينة والمظهر الحضاري اللائق كقيمة إنسانية مقصودة (أصله: وَزِينَةً).

١٣ .إطلاق القدرة الإلهية في خلق وسائل نقل وأحياء مستجدة لا يعلمها جيل النزول (أصله: وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

١٤ .التلازم بين منفعة الغذاء ومنفعة الكساء والوقاية من ظروف المناخ (أصله: لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ... وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ).

١٥ .تعاقب مظاهر الجمال اليومي وحركته المتبدلة بين الرواح والسروح (أصله: حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسرحُونَ).

١٦ .تذليل الدواب القوية للتحكم البشري مظهر لرحمة الخالق لا لقوة الإنسان (أصله: خَلَقَهَا... إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

١٧ .تحديد الغاية التشريعية من خلق فصائل معينة كالحمير والبغال للركوب (أصله: لِتَرْكَبُوهَا).

١٨ .فتح باب البحث العلمي والتطور المستقبلي في الاكتشافات والمخلوقات (أصله: وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

١٩ .رفع الحرج والمشقة البدنية عن المجتمعات البشرية من خلال التسخير (أصله: إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ).

٢٠ .الربط بين صفات كمال الذات كـ (الرأفة والرحمة) وتجليات نعم الحياة اليومية (أصله: إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

)الأحكام(

١ .وجوب شكر النعم الإلهية المتمثلة في تسخير الحيوانات لمصالح البشر (الدليل: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ).

٢ .إباحة الانتفاع بأصواف وأوبار وأشعار الأنعام في التدفئة وصناعة الملابس (الدليل: لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ).

٣ .إباحة ذبح الأنعام المستوفية للشروط الشرعية وأكل لحومها الطيبات (الدليل: وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ).

٤ .مشروعية تملّك وسائل الزينة والتمتع بالمظهر الحسن والجمال البيئي دون كِبر (الدليل: وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ).

٥ .إباحة تحميل الدواب الأثقال والأمتعة في حدود قدرتها وطاقتها الاستيعابية (الدليل: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ).

٦ .وجوب الرفق بالحيوان وعدم تكليفه ما لا يطيق لحمايته من "شق الأنفس" (الدليل: إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

٧ .مشروعية اتخاذ الخيل والبغال والحمير واستعمالها كوسائل نقل شخصية وعامة (الدليل: لِتَرْكَبُوهَا).

٨ .إباحة اقتناء الخيل لغرض المسابقات المشروعة والزينة المباحة والمظهر (الدليل: وَزِينَةً).

٩ .وجوب الإيمان بقدرة الله المطلقة على إحداث وخلق مخترعات وكائنات متجددة في كل عصر (الدليل: وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

١٠ .وجوب استحضار صفة الرأفة والرحمة الإلهية عند تيسير أسفار ومواصلات العباد (الدليل: إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

)القواعد(

١ .قاعدة "التسخير الإلهي": الكون مسخر بأمر الله لخدمة وتسهيل حياة الإنسان المستخلف في الأرض (الدليل: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا).

٢ .قاعدة "المشقة تجلب التيسير": الرأفة الإلهية تتدخل بتشريعات وسنن كونية ترفع العنت والجهد الشاق عن البشر (الدليل: لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

٣ .قاعدة "التطور الكوني والمعرفي": الخلق الإلهي مستمر ومتجدد وغير محصور بمعارف جيل أو

زمن معين (الدليل: وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

٤ .قاعدة "شرعية الجمال والتزيّن": الإسلام لا يحارب حب الجمال بل يجعله غاية فطرية ممتناً بها على عباده (الدليل: وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ... وَزِينَةً).

٥ .قاعدة "العلية والسببية في المنافع": إناطة النعم بوجوه انتفاعها المباشر لتوجيه السلوك البشري نحو استغلال الموارد (الدليل: لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً).

)الأبعاد(

١ .بُعد التوازن البيئي والتنوع الحيوي: إبراز أهمية المنظومة الحيوانية كجزء لا يتجزأ من بيئة الإنسان ومصدر لاستدامة حياته (أصله: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ).

٢ .بُعد الاستثمار الاقتصادي والأمن الغذائي: توجيه المجتمعات نحو الاعتماد على الثروات الطبيعية والحيوانية في الكساء والغذاء كركائز اقتصادية (أصله: وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ).

٣ .بُعد الذوق الفني والجمالي الحضاري: الارتقاء بحس الإنسان البصري ليرى الجمال في حركة الطبيعة اليومية ونظامها، مما ينعكس على استقراره النفسي (أصله: وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ).

٤ .بُعد التطوير اللوجستي ووسائل النقل: تأسيس فكرة تخطي العقبات الجغرافية والمسافات عبر تكنولوجيا وسائل النقل المتاحة والمستحدثة (أصله: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ).

٥ .بُعد الإنسانية وحقوق الكائنات الحية: كبح جماح القسوة البشرية ببيان أن الرأفة والرحمة الإلهية شملت حماية الأبدان والأنفس من الهلاك والمشقة الفادحة (أصله: إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

٦ .بُعد الهندسة الحضارية والتصميم: اتخاذ الدواب والمراكب كأداة للرفاهية والمكانة الاجتماعية المقبولة (الزينة) بجانب قيمتها النفعية الصرفة (أصله: لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً).

٧ .بُعد الاستشراف الغيبي والمستقبلي: فتح أفق العقل البشري لتوقع وقبول الابتكارات الصناعية والتكنولوجية والمخلوقات المجهولة عبر العصور (أصله: وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

٨ .بُعد التكافل الاجتماعي والتجاري: تسهيل حركة القوافل والتبادل التجاري ونقل البضائع والمنافع لتوطيد العلاقات بين الأقاليم والبلدان (أصله: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ).

٩ .بُعد الصحة النفسية والترويح: تعزيز الطمأنينة النفسية بمشاهدة النماء والخير الوفير المنظم في

دورته الصباحية والمسائية (أصله: حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ).

١٠ .بُعد الارتباط التوحيدي بالنعم: ربط الاستمتاع المادي بـ "المنعم"، لئلا يتحول الاستهلاك والرفاه إلى طغيان مادي منبتٍّ عن الأخلاق (أصله: خَلَقَهَا... إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

الهداية الإلهية وحتمية السير إلى الله (٩)

)النص القرآني(

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)﴾ (سورة النحل، الآية: ٩).

)التيسير(

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ (بيان الطريق المستقيم الموصل إلى الحق) وَمِنْهَا جَائِرٌ (ومن الطرق ما هو مائل ومنحرف عن الحق) ۚ وَلَوْ شَاءَ (مشيئة قسر وإلزام) لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)﴾

)النثر(

وعلى الله وحده فضل بيان الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاته وجنته، ومن الطرق المسلوكة ما هو مائل جائر منحرف عن الحق، ولو شاء الله لهداكم جميعاً للإيمان هداية قسر وإلزام، ولكنه جعلكم مخيرين اختباراً لكم.

)المعاني(

١ .تكفل الله سبحانه ببيان معالم السراط المستقيم الهادي إلى الحق (أصله: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

٢ .انقسام السبل السلوكية في الوجود إلى طرق هداية وطرق ضلال (أصله: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ).

٣ .وجود مناهج وطرق جائرة مائلة تبتعد بالسالكين عن منهج الفطرة (أصله: وَمِنْهَا جَائِرٌ).

٤ .طلاقة المشيئة الإلهية وقدرتها على جمع الخلق كلهم على الهدى (أصله: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).

٥ .إقرار مبدأ الاختيار البشري في اتباع السبل دون قسر كوني (أصله: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).

٦ .حصر مرجعية الحق التشريعي والمعرفي في هداية الله تعالى (أصله: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

٧ .خطورة السبل الجائرة كونها تضل السالك وتمنعه من الوصول للحق (أصله: وَمِنْهَا جَائِرٌ).

٨ .تفرد الله بالقدرة والمشيئة المطلقة النافذة في قلوب العباد (أصله: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ).

٩ .الرحمة الإلهية في عدم إجبار العباد على نموذج فكري أو عقدي قسري (أصله: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).

١٠ .إثبات صلة حرف "على" في حق الله لإفادة الوعد الملزم ببيان الحق تفضلاً منه (أصله: وَعَلَى اللَّهِ).

١١ .التباين الواضح بين الطريق القاصد المستقيم والطرق المائلة (أصله: قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ).

١٢ .شمول الخطاب لجميع المكلفين دون استثناء في مسألة الهداية (أصله: لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).

١٣ .التلازم بين معرفة الطريق السوي والتحذير التلقائي من الطريق الجائر (أصله: قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ).

١٤ .الربط بين المشيئة الربانية والتدبير الكوني لأفعال العباد (أصله: وَلَوْ شَاءَ).

١٥ .استحقاق الله للحمد لتفضله بوضع منارات الهداية لخلقه (أصله: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

١٦ .إنكار الاعتماد على السبل المخترعة والوضعية لأنها جائرة (أصله: وَمِنْهَا جَائِرٌ).

١٧ .تركيز الوحي على تحديد الهدف والغوص في غاية السير (أصله: قَصْدُ السَّبِيلِ).

١٨ .الإيمان بأن النجاة من الجور مرهونة باتباع سبيل الله القاصد (أصله: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

١٩ .دحض فكرة الجبر المطلق ببيان تفريق الله بين المذاهب (أصله: وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ).

٢٠ .استقرار سنّة الاختلاف والابتلاء بين البشر كمقصد رباني (أصله: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).

)الأحكام(

١ .وجوب اتباع السراط المستقيم القاصد والالتزام به تشريعاً وعقيدة (الدليل: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

٢ .تحريم سلك السبل الجائرة المائلة عن شريعة الله وحدوده (الدليل: وَمِنْهَا جَائِرٌ).

٣ .وجوب الرضا بمشيئة الله وحكمته البالغة في خلق العباد مخيرين (الدليل: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).

٤ .وجوب طلب الهداية والثبات عليها من الله وحده المتفرد ببيانها (الدليل: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

٥ .تحريم ابتداع المناهج المائلة التي تضاهي هداية الوحي الرباني (الدليل: وَمِنْهَا جَائِرٌ).

٦ .وجوب الإيمان بطلاقة مشيئة الله ونفوذ قدرته على قلوب الخلق (الدليل: وَلَوْ شَاءَ).

٧ .وجوب دعوة الناس وتبصيرهم بالسبيل القاصد وتحذيرهم من المسالك الجائرة (الدليل: قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ).

٨ .وجوب شكر الله على نعمة البيان والإرشاد التي كفلها لعباده (الدليل: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

٩ .تحريم قهر الناس أو إجبارهم على التدين لأن الله لم يشأ ذلك قسراً (الدليل: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).

١٠ .وجوب الحذر واليقظة الدائمة عند تصنيف السبل لئلا يقع الإنسان في الجور (الدليل: وَمِنْهَا جَائِرٌ).

)القواعد(

١ .قاعدة "مرجعية الهداية": الله هو المصدر الحصري والأوحد لتحديد معالم الحق والباطل (الدليل: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

٢ .قاعدة "الاختيار والمسؤولية": بنى الله التكليف الإنساني على الحرية والاختبار لا على الجبر الإلزامي (الدليل: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).

٣ .قاعدة "التضاد الفكري": طالما وُجد السراط المستقيم فلا بد من وجود سبل جائرة تضاده لتتحقق الابتلاءات (الدليل: قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ).

٤ .قاعدة "تفضل الكريم": التزام الذات الإلهية ببيان الهدى هو محض فضل ورحمة وكرم للعباد (الدليل: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

٥ .قاعدة "ربط السبيل بالغاية": كفاءة المناهج تُقاس بمدى "قصدها" وإيصالها المستقيم إلى الهدف دون التفاف (الدليل: قَصْدُ السَّبِيلِ).

)**الأبعاد**(

١ .بُعد التحرير والحرية الفكرية: إقرار النص بالحرية العقائدية كقيمة دستورية ربانية، برفضه نموذج الهداية القسرية المفروضة (أصله: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ).

٢ .بُعد التخطيط والوضوح الاستراتيجي: صياغة حياة المسلم على "القصد" والاستقامة المباشرة نحو الغايات العظمى، والابتعاد عن العشوائية (أصله: قَصْدُ السَّبِيلِ).

٣ .بُعد النقد والتمييز المعرفي: تمكين العقل من فرز المناهج والحضارات وتصنيفها بدقة لمعرفة المستقيم منها والمائل (أصله: قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ).

٤ .بُعد الأمان النفسي والروحي: شعور الإنسان بالطمأنينة لأن خالقه لم يتركه حائراً بل تكفل بإنارة معالم الطريق الموصل إليه (أصله: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

٥ .بُعد إدارة الاختلاف والتعايش: استيعاب حتمية وجود آراء وطرق "جائرة" في الوجود والتعامل مع هذا التنوع البشري بوعي وحكمة السنن (أصله: وَمِنْهَا جَائِرٌ).

٦ .بُعد المسؤولية الأخلاقية الفردية: تحميل كل فرد نتيجة اختياره للسبيل الذي يسلكه بمحض إرادته دون تعليق الفشل على الجبر (أصله: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ).

٧ .بُعد البناء القانوني والتشريعي: صياغة القوانين بناءً على المعايير المستقيمة (القاصدة) التي تحفظ الكليات الخمس وتبطل القوانين الجائرة (أصله: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ).

٨ .بُعد الحكمة والتدبير الإلهي: إبراز عظمة المشيئة الربانية التي تدير حركة الكون والقلوب وفق نواميس دقيقة ثابتة (أصله: وَلَوْ شَاءَ).

٩ .بُعد الثبات والمقاومة الفكرية: تحصين أفراد المجتمع ضد التيارات الوافدة والمنحرفة بوصفها سبيلاً جائراً منبتاً عن الحق (أصله: وَمِنْهَا جَائِرٌ).

١٠ .بُعد الشهود والدعوة الحضارية: إلزام الأمة المسلمة بدور القيادة في إبراز السبيل القاصد للعالمين كمنهج خلاص للبشرية (أصله: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ).

نزول الماء من السماء ونمو النباتات والثمار (١٠-١١)

)**النص القرآني**(

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)﴾ (سورة النحل، الآيات: ١٠-١١).

)التيسير(

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً (مطرًا غزيراً) لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ (ماء عذب تشربونه) وَمِنْهُ شَجَرٌ (نبات وكلأ) فِيهِ تُسِيمُونَ (ترعون أنعامكم ومواشيكم) (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ (الحبوب كالشعير والقمح) وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً (دلالة قاطعة على وحدانية الله) لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (يُعملون عقولهم بالتدبر) (١١)﴾

)النشر(

هو الله وحده الذي أنزل من جهة السماء مطراً عذباً، لكم منه شرابٌ تروون به عطشكم، وبسبب هذا الماء ينمو الشجر والنبات الذي فيه ترعون مواشيكم وأنعامكم، ينبت الله لكم بهذا الماء الواحد الحبوبَ والزيتون والنخيل والأنعام، ويخرج لكم منه كل أنواع الثمرات المختلفة الأشكال والطعوم؛ إن في هذا الإحياء المائي المنوع لدلالة واضحة وعلامة قاطعة على قدرة الخالق ووحدانيته، يدركها لزاماً قوم يعملون عقولهم بالتفكر والتدبر.

)المعاني(

١ .انفراد الله سبحانه وتعالى بإنزال المطر كمصدر وحيد للمياه العذبة (أصله: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً).

٢ .جعل مياه الأمطار صالحة مباشرة لشراب الإنسان وارتوائه (أصله: لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ).

٣ .تسبب الماء في إنبات الغطاء النباتي والأشجار لتأمين طعام الدواب (أصله: وَمِنْهُ شَجَرٌ).

٤ .ممارسة البشر مهنة الرعي وإطلاق الماشية في الكَلأ الطبيعي (أصله: فِيهِ تُسِيمُونَ).

٥ .إخراج الحبوب والزروع الأساسية لقوت المجتمعات البشرية بواسطة الماء (أصله: يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ).

٦ .تخصيص الزيتون بالذكر لما فيه من منافع غذائية وطبية عظيمة (أصله: وَالزَّيْتُونَ).

٧ .إبراز مكانة النخيل كأحد المصادر الاستراتيجية للغذاء والخير الوفير (أصله: وَالنَّخِيلَ).

٨ .إمتنان الله بإنبات الأعناب كفاكهة وغذاء طيب ومحبب للبشر (أصله: وَالْأَعْنَابَ).

٩ .شمول القدرة الإلهية لإخراج سائر أنواع الفواكه والثمار دون حصر (أصله: وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ).

١٠ .جعل دورة المياه والنبات علامة كونية دالة على الخالق (أصله: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً).

١١ .اشتراط إعمال العقل والتفكر لاستنباط التوحيد من ظواهر الطبيعة (أصله: لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

١٢ .وحدة المصدر المائي مع تنوع وتعدد المخرجات الثمرية والنباتية (أصله: يُنبِتُ لَكُم بِهِ... وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ).

١٣ .تسخير البيئة الطبيعية والمائية لخدمة استقرار الإنسان ورفاهيته (أصله: لَّكُم مِّنْهُ... يُنبِتُ لَكُم).

١٤ .الربط بين نمو الحيوان (عبر الرعي) ونمو النبات كمنظومة بيئية متكاملة (أصله: وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ).

١٥ .تقديم حاجة الشراب الأساسية للحياة على حاجة الغذاء والنعيم (أصله: لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ).

١٦ .الإرشاد الإلهي لقيمة الاستثمار الزراعي لإنتاج الغذاء (أصله: يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ).

١٧ .التأكيد على أن الله هو الموجد الحقيقي للنبات وليس المزارع أو الطبيعة (أصله: يُنبِتُ لَكُم).

١٨ .مخاطبة العقل البشري وتحفيزه على التفكير العلمي والمنطقي (أصله: لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

١٩ .اتصاف الغذاء القرآني بالتنوع بين حبوب وزيوت وسكريات وثمار (أصله: الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ).

٢٠ .التكرار والتنوع في النعم يوجب عمقاً في التفكر والاستدلال العقدي (أصله: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

)الأحكام(

١ .وجوب الإيمان بإنزال الله للماء وتفرده بالخلق والرزق (الدليل: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً).

٢ .إباحة الانتفاع بمياه الأمطار والأنهار في الشرب وسائر الاستخدامات الحياتية (الدليل: لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ).

٣ .مشروعية رعي الأنعام والمواشي في الأرض المباحة والكلأ العام (الدليل: فِيهِ تُسِيمُونَ).

٤ .إباحة أكل كافة الثمرات والزروع الطيبة التي تنبتها الأرض (الدليل: وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ).

٥ .وجوب التفكر والتدبر في آيات الله الكونية للوصول إلى حقيقة التوحيد (الدليل: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

٦ .مشروعية استصلاح الأراضي وزراعة المحاصيل كالنخيل والأعناب والزيتون (الدليل: يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ).

٧ .وجوب شكر النعمة المائية والزراعية وعدم نسبتها لغير الله (الدليل: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ... يُنبِتُ).

٨ .إباحة عصر الزيتون واستخراج زيته والاتجار بالتمور والأعناب (الدليل: وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ).

٩ .وجوب إخراج زكاة زروع وثمار الأرض إذا بلغت النصاب الشرعي (الدليل: يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ... وَالنَّخِيلَ).

١٠ .تحريم الاعتداء على الموارد المائية ومراعي الدواب العامة بالإفساد (الدليل: لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ).

)القواعد(

١ .قاعدة "أصل الحياة": الماء هو الركيزة الأساسية لكل نشاط بشري وحيواني ونباتي في الوجود (الدليل: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ).

٢ .قاعدة "السببية والإنبات": يربط الله المسببات بأسبابها الكونية مع بقاء المسبب الحقيقي هو إرادته (الدليل: يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ).

٣ .قاعدة "التلازم بين الفكر والإيمان": الأدلة الكونية لا تنفع إلا العقول اليقظة التي تمارس التفكر (الدليل: لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

٤ .قاعدة "التنوع في الوحدة": خروج ثمرات مختلفة الطعوم والأجناس من ماء واحد دليل على الإرادة والمشيئة لا الصدفة (الدليل: يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ... وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ).

٥ .قاعدة "رعاية الكليات": حماية الأمن المائي والغذائي قيمة ربانية مقدمة لضمان استمرار الاستخلاف (الدليل: لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ... يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ).

)الأبعاد(

١ .بُعد الأمن المائي المستدام: إبراز أهمية مياه الأمطار كعصب رئيسي للحياة، وتوجيه العقل الحضاري لإدارة الحصاد المائي وحمايته (أصله: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ).

٢ .بُعد الأمن الغذائي والسيادة الزراعية: حث المجتمعات على الاكتفاء الذاتي عبر زراعة الحبوب والأشجار الاستراتيجية التي تشكل أساس الاقتصاد (أصله: يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ).

٣ .بُعد الحفاظ البيئي وتنمية المراعي: تنظيم الثروة الحيوانية عبر توفير الغطاء النباتي المناسب وفتح آفاق الاستثمار في الإنتاج الحيواني (أصله: وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ).

٤ .بُعد الطب الغذائي والصحة العامة: التنويه بنباتات ذات قيمة غذائية وطبية عالية كالزيتون والتمور لتعزيز صحة المجتمع وبنيته البدنية (أصله: وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ).

٥ .بُعد المنهجية العلمية والبحثية: تأسيس الحضارة على عقلية الملاحظة والتفكر والربط بين الظواهر الطبيعية للوصول للحقائق العلمية والإيمانية (أصله: لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).

٦ .بُعد الاستثمار والتنوع الاقتصادي: فتح آفاق التجارة والصناعات الغذائية القائمة على تجفيف التمور، وعصر الزيوت، وتسويق الثمرات المتنوعة (أصله: وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ).

٧ .بُعد التوازن البيئي والتنوع الحيوي: فهم التداخل والترابط الوثيق بين عناصر الطبيعة (ماء، تربة، نبات، حيوان، إنسان) لضمان استقرار الحياة (أصله: مَاءً... شَجَرٌ... تُسِيمُونَ... الزَّرْعَ).

٨ .بُعد الجمال والرفاهية البصرية: التمتع بمشاهد الخضرة والحدائق المورقة والبساتين كحاجة نفسية تزيد من إنتاجية الإنسان وسعادته (أصله: وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ).

٩ .بُعد العدالة الاجتماعية في الموارد: جعل الماء والكلأ الطبيعي منفعة عامة لجميع الناس دون احتكار مفسد للحياة (أصله: لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ... فِيهِ تُسِيمُونَ).

١٠ .بُعد التربية الإيمانية بالشهود الكوني: ربط لقمة العيش وشربة الماء اليومية بالخالق سبحانه لتظل العلاقة الروحية متصلة بالمنعم الديان (أصله: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ... إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً.(

تسخير الكون الفلكي وحركة الزمن وحياة البحار (١٢-١٤)

)النص القرآني(

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)﴾ (سورة النحل، الآيات: ١٢-١٤).

)التيسير(

﴿وَسَخَّرَ (ذلّل وهيّأ) لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ (دلالات فلكية واضحة) لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (يستخدمون عقولهم في الربط والتحليل) (١٢) وَمَا ذَرَأَ (خلق وبثّ) لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ (من حيوان ونبات ومعادن وثروات) ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (يتعظون وينتبهون) (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا (السمك والمأكولات البحرية الطازجة) وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا (اللؤلؤ والمرجان) وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ (السفن تشق عباب الماء وجريان الأمواج) وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ (بالتجارة والصيد والنقل البحري) وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)﴾

)النثر(

وذلّل الله لكم الليل والنهار لتستقروا وتعملوا، ويسّر لكم الشمس والقمر لحساب الأزمنة والنماء، والنجوم مذلّلات بأمره لهدايتكم؛ إن في هذا النظام الفلكي لدلائل عظيمة لقوم يتدبرون بعقولهم، وما خلق ونشر لكم في الأرض من أصناف الكائنات والثروات التي تختلف ألوانها ومنافعها؛ إن في ذلك التنوع لعلامة واضحة لقوم يتذكرون نعم الله، وهو الله الذي ذلّل لكم البحر الواسع لتصطادوا منه وتأكلوا لحماً بحرياً طرياً، وتستخرجوا منه جواهر كاللؤلؤ لتتزينوا بها، وترى السفن تشق أمواج البحر جارية فيه، ولتطلبوا رزق الله الواسع بالتجارة والملاحة، ولكي تشكروه على جزيل فضله.

)المعاني(

١ .تسخير الليل والنهار لتنظيم حركة الوقت والراحة والعمل الإنساني (أصله: وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).

٢ .ربط حياة الإنسان وحساباته بانتظام حركة الشمس والقمر الكونية (أصله: وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ).

٣ .خضوع النجوم التام لمنظومة الأمر والتدبير الإلهي المطلق (أصله: وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ).

٤ .اشتراط التفكير العقلاني المنطقي لإدراك عظمة الآيات الفلكية (أصله: لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).

٥ .انتشار وبث الثروات والمخلوقات المتنوعة فوق وفي باطن الأرض (أصله: وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ).

٦ .قيمة التنوع اللوني والنوعي في الكائنات كمظهر من مظاهر الإبداع (أصله: مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ).

٧ .حاجة العقل البشري للتذكر المستمر لئلا يعتاد النعمة فيغفل عنها (أصله: لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ).

٨ .تذليل البيئة البحرية العميقة والخطرة لتصبح طيعة لخدمة الإنسان (أصله: وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ).

٩ .امتنان الله على العباد بتوفير مصادر البروتين واللحوم البحرية الطازجة (أصله: لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا).

١٠ .إباحة استخراج الثروات النفيسة والجواهر من أعماق البحار (أصله: وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً).

١١ .مشروعية التزيّن وارتداء الحلي كحاجة جمالية فطرية للبشر (أصله: تَلْبَسُونَهَا).

١٢ .تمكين السفن والناقلات من شق مياه البحار دون الغرق بفعل القوانين الفيزيائية (أصله: وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ).

١٣ .توجيه الإنسان لركوب البحر بهدف التجارة الدولية والتبادل الاقتصادي (أصله: وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ).

١٤ .جعل الغاية النهائية من كل نعم التسخير الكوني هي تحقيق الشكر (أصله: وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

١٥ .شمولية التسخير الفلكي لحماية وتسيير كل أشكال الحياة الأرضية (أصله: وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).

١٦ .الإرشاد الإلهي لربط حركة الفلك بالاستدلال العقدي والتوحيد (أصله: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).

١٧ .أهمية الثروة المعدنية والجيولوجية والنباتية المبثوثة في تضاريس الأرض (أصله: وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ).

١٨ .الربط بين رؤية السفن الجارية وتحريك الحافز الاقتصادي والمهني (أصله: وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ).

١٩ .تميز الصيد البحري بإنتاج طعام فوري ناعم وسريع الهضم (أصله: لَحْمًا طَرِيًّا).

٢٠ .تضافر آيات السماء والأرض والبحار لتشكيل بيئة متكاملة للاستخلاف (أصله: وَسَخَّرَ لَكُمُ... وَمَا ذَرَأَ... وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ).

)الأحكام(

١ .وجوب استعمال العقل والنظر العلمي في حركة الأفلاك والظواهر الكونية (الدليل: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).

٢ .إباحة الاستفادة من ثروات الأرض ومعادنها ونباتاتها ذات الألوان والأجناس المختلفة (الدليل: وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ).

٣ .إباحة صيد الحيوانات والمأكولات البحرية بجميع أنواعها وأكلها طرية) الدليل: لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا.(

٤ .مشروعية استخراج اللؤلؤ والمرجان والجواهر البحرية للزينة والتجارة (الدليل: وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً).

٥ .إباحة لبس الحلي المصنوعة من اللؤلؤ والمرجان المستخرجة من البحر (الدليل: تَلْبَسُونَهَا).

٦ .مشروعية بناء السفن والمراكب وركوب البحر للنقل والتجارة الدولية (الدليل: وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ).

٧ .وجوب السعي والعمل لابتغاء الرزق الحلال عبر ممرات التجارة المائية والبرية (الدليل: وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ).

٨ .وجوب شكر الله بالقلب والعبادة والعمل على سائر نعمه المسخرة في الوجود (الدليل: وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

٩ .تحريم تعطيل العقل أو الغفلة الجاحدة عن آيات الله المبثوثة في الأرض (الدليل: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ).

١٠ .وجوب الإيمان بانقياد النجوم والأجرام الفلكية كلها تحت أمر الله وإرادته الخالقة (الدليل: وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ).

)القواعد(

١ .قاعدة "الكون الإنساني": المنظومة الفلكية والبيئية برمتها مصممة لخدمة ومصلحة وبقاء الإنسان (الدليل: وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).

٢ .قاعدة "التنوع ثراء": اختلاف الألوان والأجناس في ثروات الأرض سنّة إلهية لاستدامة وعمارة الحياة (الدليل: مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ).

٣ .قاعدة "حرية الاستثمار الاقتصادي": فتح الله مجالات واسعة للتجارة وطلب الرزق في البر والبحر كحق للجميع (الدليل: وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ).

٤ .قاعدة "تلازم النعمة والشكر": نوال المنافع واستغلال الموارد الكونية يستوجب حتماً العبودية والشكر للمنعم (الدليل: وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

٥ .قاعدة "انقياد النواميس الكونية": القوانين الفيزيائية والفلكية الصارمة تعمل بأمر الله المباشر ولا تشذ عنه (الدليل: مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ).

)الأبعاد(

١ .بُعد الملاحة الدولية والتجارة العالمية: تأسيس فكرة الجسور البحرية كوسيلة أساسية لربط القارات وتبادل السلع والبضائع بين الأمم (أصله: وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ).

٢ .بُعد الثروة السمكية والأمن الغذائي البحري: توجيه المجتمعات البشرية نحو استغلال الموارد المائية والصيد البحري لتوفير بدائل غذائية صحية وعالية القيمة (أصله: لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا).

٣ .بُعد علم الفلك والتوقيت الحضاري: بناء المعرفة البشرية على رصد حركة الشمس والقمر والنجوم لتنظيم التقاويم الزمنية وضبط مسارات الملاحة (أصله: وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ).

٤ .بُعد الجيولوجيا والتعدين: حث العقل الحضاري على استكشاف ثروات الأرض من معادن

ومواد خام تختلف باختلاف طبائعها وألوانها واستثمارها في الصناعة (أصله: وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ).

٥ .بُعد الصناعات الحِرفية والزينة: العناية بالصناعات الجمالية واستخراج النفائس كاللؤلؤ كنشاط اقتصادي وجمالي يدعم الرفاهية الاجتماعية والذوق العام)أصله: وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا.(

٦ .بُعد الطاقة والنظام البيولوجي (الليل والنهار): فهم أثر تعاقب الضوء والظلام على الساعة البيولوجية للإنسان والإنتاجية الاقتصادية والزراعية (أصله: وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).

٧ .بُعد التنمية المستدامة واستثمار النعم: ربط النشاط البشري بالاكتشاف المستمر للموارد المتاحة دون إفساد، بغية الوصول لمجتمع شاكر ومنتج (أصله: وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

٨ .بُعد الهندسة البحرية وبناء السفن: تحفيز الإنسان على دراسة علوم البحار وحركة الرياح والطفو لبناء وتطوير ناقلات عملاقة تشق الأمواج العاتية (أصله: وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ).

٩ .بُعد البحث العلمي والتحليل العقلاني: حظر التفكير الخرافي في تفسير الظواهر الفلكية والبيئية، وحث المجتمعات على التعليم والتحليل المنطقي المستند للحقائق (أصله: لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).

١٠ .بُعد الارتباط الروحي والتوازن الأخلاقي: منع طغيان المادية الحضارية عند التوسع في استغلال البحار والأرض والفضاء، وإبقاؤها متصلة بأمر الخالق وعبادته (أصله: بِأَمْرِهِ... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ).

إرساء الرواسي والاهتداء بالنجوم ومعالم الأرض (١٥-١٦)

)النص القرآني(

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)﴾ (سورة النحل، الآيات: ١٥-١٦).

)التيسير(

﴿وَأَلْقَىٰ (وجعل وثبّت) فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ (جبالاً ثوابت عاتيات) أَن تَمِيدَ بِكُمْ (لئلا تضطرب وتتحرك وتتمايل بكم) وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا (طرقاً ومسالك ممهدة) لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (إلى مقاصدكم

وأسفاركم) (١٥) وَعَلَامَاتٍ (معالم برية وظواهر جغرافية من جبال وتلال) ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (في ظلمات الليل بالنجوم الفلكية) (١٦)﴾

)النشر(

وجعل الله وثبّت في الأرض جبالاً رواسي شامخات لئلا تضطرب وتتمايل بكم الأرض، وشق فيها أنهاراً تجري بالماء العذب، ومسالك وطرقاً ممهدة لكي تهتدوا بها في أسفاركم وتصلوا إلى غاياتكم، وجعل معالم جغرافية وظواهر برية واضحة نهاراً، وبالنجوم المضيئة في السماء هم يهتدون ليلاً في أسفارهم وتحركاتهم.

)المعاني(

١ .تثبيت القشرة الأرضية بواسطة الجبال لمنع اضطرابها وميدانها بالحياة (أصله: وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ).

٢ .شق الأنهار العذبة كجزء أساسي من التصميم الجغرافي للأرض (أصله: وَأَنْهَارًا).

٣ .تمهيد السبل والطرق الطبيعية لتسهيل حركة وتواصل المجتمعات (أصله: وَسُبُلًا).

٤ .الغاية الفطرية من الطرق هي تمكين الإنسان من الهداية والوصول لقصده (أصله: لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

٥ .خلق العلامات والمعالم الظاهرة كالتلال لضبط الاتجاهات البرية (أصله: وَعَلَامَاتٍ).

٦ .تسخير النجوم الفلكية كبوصلة سماوية مرشدة في ظلمات الليل (أصله: وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ).

٧ .ارتباط الاستقرار البشري بالثبات الجيولوجي لسطح كوكب الأرض (أصله: أَن تَمِيدَ بِكُمْ).

٨ .تفضل الله بتهيئة البيئة البرية لتكون صالحة للتنقل والتجارة (أصله: وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ... وَسُبُلًا).

٩ .التلازم بين وجود الأنهار العذبة ونشوء الحضارات واستقرارها (أصله: وَأَنْهَارًا).

١٠ .تكامل منظومة الهداية والارشاد بين معالم الأرض وعلامات السماء (أصله: وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ).

١١ .استخدام ضمير الغائب "هم" لإبراز تخصص المسافرين والركبان في الاهتداء بالنجم (أصله:

هُمْ يَهْتَدُونَ).

١٢ .حاجة الإنسان الدائمة للخرائط الذهنية والطبيعية لتسيير حياته (أصله: لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

١٣ .الجبال ليست مجرد كتل صخرية بل هي صمامات أمان ديناميكية (أصله: رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ).

١٤ .جريان الأنهار مظهر من مظاهر التوازن المائي والبيئي (أصله: وَأَنْهَارًا).

١٥ .حكمة الخالق في جعل المسالك بين الجبال والأوعار سالكة (أصله: وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

١٦ .تنوع التضاريس الجغرافية يخدم وظيفة الدلالة والتعرف على المواقع (أصله: وَعَلَامَاتٍ).

١٧ .الربط بين صفات الأرض المادية وتيسير معيشة الإنسان عليها (أصله: فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ... لَّعَلَّكُمْ).

١٨ .اطراد النواميس الكونية وثباتها هو ما يسمح بالاهتداء بها (أصله: وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ).

١٩ .إخراج النعمة في صورة وسائل هداية حسية تعين على الهداية المعنوية (أصله: لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

٢٠ .شمول الرعاية الإلهية لحركة الإنسان المتقلبة بين ليل ونهار (أصله: وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ).

)الأحكام(

١ .وجوب الإيمان بحكمة الله في تثبيت الأرض بالجبال وحفظ توازنها (الدليل: وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ).

٢ .إباحة شرب مياه الأنهار والانتفاع بها في السقاية والزراعة بغير إفساد (الدليل: وَأَنْهَارًا).

٣ .مشروعية السفر والترحال عبر السبل والطرق الممهدة لطلب المنافع (الدليل: وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

٤ .وجوب تعلم علم الجغرافيا وطبائع الأرض للاستفادة من المعالم والعلامات (الدليل: وَعَلَامَاتٍ).

٥ .مشروعية دراسة علم الفلك والنجوم لغرض معرفة الطرق والاتجاهات ومواقيت الأسفار (الدليل: وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ).

٦ .تحريم تدمير السبل العامة أو قطع الطرق وتشويه العلامات المرشدة (الدليل: وَسُبُلًا... وَعَلَامَاتٍ).

٧ .وجوب استشعار نعمة الاستقرار فوق الأرض دون اضطراب أو زلازل مستمرة (الدليل: أَن تَمِيدَ بِكُمْ).

٨ .مشروعية رصد النجوم لتحديد جهة القبلة والصلاة في السفر (الدليل: وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ).

٩ .وجوب حماية مجاري الأنهار من التلوث باعتبارها شريان الحياة الحضارية (الدليل: وَأَنْهَارًا).

١٠ .وجوب ربط الاهتداء الحسي في السفر بتذكر الهداية الروحية والشرعية (الدليل: لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

)القواعد(

١ .قاعدة "الثبات والاتزان": صُمم الكون بقوانين ميكانيكية دقيقة تمنع الاضطراب لضمان سلامة المستخلفين (الدليل: رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ).

٢ .قاعدة "تيسير الحركة": تذليل الجغرافيا وفتح الممرات هو سُنّة كونية لتسهيل التواصل البشري (الدليل: وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

٣ .قاعدة "العلاماتية والإرشاد": بنى الله الوجود على أدلة وعلامات ظاهرة تمنع الحيرة والضياع (الدليل: وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ).

٤ .قاعدة "ارتباط النعمة بالغاية": تمليك الإنسان لوسائل المعرفة الطبيعية يستهدف إيصاله لأهدافه بأمان (الدليل: لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

٥ .قاعدة "التكامل البيئي والفلَكي": تضافر علوم الأرض مع علوم السماء يشكّل منظومة إرشادية كاملة (الدليل: وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ).

)الأبعاد(

١ .بُعد علم الجيولوجيا وتوازن الأرض: فهم الدور الهندسي للجبال في تثبيت القشرة الأرضية ومنع تمايلها، وحث العقل على دراسة علم طبقات الأرض (أصله: رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ).

٢ .بُعد الهندسة المدنية وتخطيط الطرق: شق المسارات والسبل كأداة لربط المدن والقرى وتسهيل

حركة النقل البري والتجارة الداخلية والخارجية (أصله: وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

٣ .بُعد الهيدرولوجيا والأمن المائي: اعتماد الحضارات البشرية تاريخياً على ضفاف الأنهار العذبة كمصدر للتنمية المستدامة والزراعة (أصله: وَأَنْهَارًا).

٤ .بُعد الكارتوغرافيا وعلم الخرائط: ابتكار وسائل لتحديد المواقع والاتجاهات بالاعتماد على التضاريس البارزة والمعالم الجغرافية (أصله: وَعَلَامَاتٍ).

٥ .بُعد الملاحة الفلكية والفضائية: استخدام الأجرام السماوية والنجوم لتوجيه السفن والقوافل ليلاً قبل اختراع البوصلة الرقمية والـ GPS أصله: وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ.(

٦ .بُعد التواصل الحضاري والتعايش: كسر العزلة الجغرافية بين المجتمعات من خلال الفجاج والطرق الممهدة التي تسمح بتبادل الثقافات والمنافع (أصله: وَسُبُلًا).

٧ .بُعد الأمان النفسي والاجتماعي: خلق بيئة برية مستقرة وجامدة تحمي الإنسان من الفزع المستمر والانهيارات السطحية المتكررة (أصله: أَن تَمِيدَ بِكُمْ).

٨ .بُعد علم البيئة والغطاء الهيدروغرافي: تنظيم توزيع المياه في الكوكب عبر الأنهار لضمان وصول الرزق المائي لمساحات شاسعة (أصله: وَأَنْهَارًا).

٩ .بُعد التربية الفكرية بالربط العلمي: تحفيز العقل على الرصد والملاحظة وربط حركة النجم فوق السماء بحركته ومصيره على الأرض (أصله: وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ).

١٠ .بُعد التوحيد عبر استقرار النواميس: ثبات سنن الطبيعة يرسخ في وعي الإنسان وجود الخالق المنظم الذي يدير الكون بلا عشوائية (أصله: وَأَلْقَىٰ... لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).

مقارنة الخالق بالمخلوق وعجز البشر عن إحصاء النعم (١٧-١٨)

)النص القرآني(

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨)﴾ (سورة النحل، الآيات: ١٧-١٨).

)التيسير(

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ (وهو الله سبحانه وتعالى الموجد لجميع هذه الكائنات) كَمَن لَّا يَخْلُقُ (وهي الأوثان والشركاء والمخلوقات العاجزة) ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (أفلا تتدبرون بعقولكم لتفرقوا بين الخالق العظيم

والمخلوق الضعيف) (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ (وإن حاولتم حساب وحصر نعم الله المتنوعة عليكم) لَا تُحْصُوهَا (لا تطِيقوا حصرها ولا القيام بشكرها ل كثرتها وتجددها) ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ (يسامحكم على تقصيركم في الشكر) رَّحِيمٌ (بكم حيث لا يقطع نعمه عنكم بسبب المعاصي) (١٨)﴾

)النثر(

أفمن يخلق هذا الكون الفسيح ويوجد هذه النعم العظيمة كمن لا يخلق شيئاً من الأصنام والأنداد؛ أفلا تدبرون بعقولكم لتدركوا قبح هذا الإشراك، وإن تحاولوا حصر وحساب نعم الله الكثيرة المتنوعة عليكم لا تطيقوا إحصاءها لعظمتها وتعددها؛ إن الله لغفور يصفح عن تقصيركم في أداء شكرها، رحيم بالعباد إذ يوالي عليهم الأفضال والخيرات مع عجزهم.

)المعاني(

١ .التباين المطلق والمنطقي بين مقام الخالق الموجد ومقام المخلوق العاجز (أصله: أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

٢ .إنكار التسوية الفكرية والعقدية بين الله جل وعلا والأصنام والأنداد (أصله: أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

٣ .توبيخ العقل البشري الذي يغفل عن البديهيات العقلية الواضحة (أصله: أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

٤ .اتصاف النعم الإلهية بالوفرة والكثرة التي تستعصي على الحساب الرياضي (أصله: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا).

٥ .عجز المجهود الفردي والجماعي للبشر عن الإحاطة بمفردات الفضل الرباني (أصله: لَا تُحْصُوهَا).

٦ .اقتران مغفرة الله بالتجاوز عن عجز العباد وتقصيرهم في شكر النعم (أصله: إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ).

٧ .استمرار تدفق النعم الإلهية مرجعه إلى رحمة الله ولطفه بالخلق (أصله: لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

٨ .إثبات صفة الخلق الذاتية لله وحده ونفيها عمن سواه بصفة مطلقة (أصله: أَفَمَن يَخْلُقُ).

٩ .ذم التقليد الأعمى والدعوة إلى اليقظة الفكرية بالتذكر (أصله: أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

١٠ .تسمية العطايا الإلهية بالنعمة بصيغة المفرد للإشارة إلى أن النعمة الواحدة تتفرع منها نعم لا

تحصى (أصله: نِعْمَةَ اللَّهِ).

١١ .إقامة الحجة العقلية على المشركين بإنكار عبادتهم لما لا يملك نفعاً ولا خلقاً (أصله: كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

١٢ .حاجة الإنسان الدائمة للاعتراف بعجزه أمام مظاهر الكرم الإلهي (أصله: لَا تُحْصُوهَا).

١٣ .الربط بين صفات كمال الذات كالمغفرة والرحمة وحال العباد المقصرين) أصله: إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ.(

١٤ .التذكير بالنعم المتلوة سابقاً (من وحي، وأنعام، ومطر، وفلك) كدليل عملي على عجز الإحصاء (أصله: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا).

١٥ .الاستفهام الإنكاري كأداة تشريعية لبناء العقيدة السليمة (أصله: أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

١٦ .التنبيه إلى خطورة إلف النعمة واعتيادها دون تفكر في مصدرها وموجدها (أصله: أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

١٧ .قصور الأدوات الإنسانية والحسابية عن استيعاب أبعاد التدبير الرباني (أصله: لَا تُحْصُوهَا).

١٨ .مغفرة الله تفتح باب الأمل للتا ئبين والراغبين في استدراك التقصير (أصله: إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ).

١٩ .الخطاب القرآني يتدرج من إقامة الدليل الكوني إلى إلزام العقل بالتوحيد (أصله: أَفَمَن يَخْلُقُ... أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

٢٠ .استحقاق الله وحده للعبادة والتعظيم مبني على إبداعه ونعمه المفاضة (أصله: أَفَمَن يَخْلُقُ... وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ).

)الأحكام(

١ .وجوب إفراد الله بالعبادة والتوحيد استناداً إلى تفرده بصفة الخلق والإيجاد (الدليل: أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

٢ .تحريم اتخاذ الأنداد والأصنام أو مساواتها بالخالق سبحانه وتعالى في أي شأن (الدليل: كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

٣ .وجوب إعمال النظر والتفكر والتدبر العقلي لتمييز الحق من الباطل (الدليل: أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

٤ .وجوب شكر الله على نعمه اللامتناهية بقدر استطاعة العبد وطاقته البشري ة (الدليل: وَإِن

تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا).

٥ .تحريم جحود النعم الإلهية أو نسبتها إلى غير الله كالمصادفة أو الطبيعة (الدليل: نِعْمَةَ اللَّهِ).

٦ .وجوب الاستغفار والإنابة الدائمة تلافياً للتقصير الحتمي في أداء شكر النعم (الدليل: إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

٧ .وجوب الإيمان بصفات الله تعالى (المغفرة والرحمة) وأثرها في تجاوز النقص البشري (الدليل: إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

٨ .تحريم اليأس من روح الله وعفوه عند شعور العبد ب عظم تقصيره في حق ربه (الدليل: إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

٩ .مشروعية الاستدلال بالقوانين الكونية والبديهيات العقلية لمواجهة الأفكار المنحرفة (الدليل: أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

١٠ .وجوب التواضع والخضوع لله عند إدراك الإنسان لضعفه وقصور أدواته الإحصائية (الدليل: لَا تُحْصُوهَا).

)القواعد(

١ .قاعدة "التلازم بين الخلق والاستحقاق": من يملك القدرة على الخلق والإيجاد هو وحده المستحق للعبادة والخضوع (الدليل: أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

٢ .قاعدة "القصور البشري": الطاقة الرياضية والإدراكية للإنسان قاصرة ومحدودة أمام لامتناهيات النعم الإلهية (الدليل: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا).

٣ .قاعدة "المغفرة حاجة وجودية": بنى الله العلاقة مع عباده على مساحة العفو والرحمة لعلمه بعجزهم عن الوفاء الكامل بالشكر (الدليل: لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

٤ .قاعدة "بديهية التمييز": يرفض المنهج القرآني التسوية الفكرية بين المتناقضات (الخالق والمخلوق، النافع والعاجز) (الدليل: أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

٥ .قاعدة "استدامة النعم بالرحمة": النعم الربانية تفاض على العباد بالفضل والرحمة الإلهية لا بمقدار استحقاق البشر وشكرهم الفعلي (الدليل: إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

)الأبعاد(

١ .بُعد التحرير العقلي والمحاكمة المنطقية: صياغة العقلية العلمية الناقدة التي ترفض الخرافة، وتعتمد المقارنة السببية والمنطقية بين القوى الفاعلة والعاجزة (أصله: أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

٢ .بُعد البيانات وتناهي الإحصاء البشري: كشف عجز المنظومات الحسابية والتقنية عن رصد وإحصاء النعم البيولوجية والبيئية والفيزيائية الدقيقة التي تحفظ حياة الإنسان في كل ثانية (أصله: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا).

٣ .بُعد الأمان النفسي والاستقرار الروحي: الطمأنينة الناشئة من الاحتماء برب غفور رحيم، يستوعب النقص البشري والتقصير الاجتماعي، ويفتح باب الأمل والتوازن النفسي (أصله: إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

٤ .بُعد كسر الغرور الإنساني والحضاري: كبح جماح الغطرسة العلمية للبشر من خلال تذكيرهم بأن كل مبتكراتهم لا تعدو كونها اكتشافاً لنعم ومواد ومخلوقات أوجدها الله مسبقاً (أصله: أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

٥ .بُعد الفلسفة الأخلاقية والشكر: تأسيس منظومة الأخلاق الاجتماعية على فضيلة الاعتراف بالجميل (الشكر) والوعي بقيمة العطاء، مما ينعكس إيجاباً على التكافل البشري (أصله: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا).

٦ .بُعد التوازن البيئي واستدامة الحياة: الوعي بأن نعم الأرض والسموات (المذكورة في الكتلة السابقة) هي شبكة منافع معقدة ومترابطة تفوق التصور الإنساني وتتطلب الحماية والامتنان (أصله: نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا).

٧ .بُعد التربية والتقويم السلوكي: الانتقال بالفرد من حالة الغفلة والبلادة الذهنية تجاه النعم المعتادة (كالصحة، والهواء، والماء) إلى حالة اليقظة الدائمة والاتصال بالمنعم (أصله: أَفَلَا تَذَكَّرُونَ).

٨ .بُعد التضامن والرحمة الاجتماعية: اقتباس صفات المغفرة والرحمة من النور الإلهي لتطبيقها في التعامل البشري، بحيث يعفو القوي عن تقصير الضعيف (أصله: إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

٩ .بُعد السيادة والتوحيد التشريعي: حصر المرجعية العليا في التشريع والتوجيه لمن له حق الخلق والإنعام، ورفض الخضوع للأنظمة الجائرة التي لا تخلق شيئاً (أصله: أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ).

١٠ .بُعد الاستشراف المعرفي الكوني: فتح آفاق العقل البشري لاكتشاف نعم جديدة خفية (ميكروبية، ذرية، فضائية) عبر العصور، لتؤكد دائماً صدق الآية أن النعم لا تنتهي (أصله: وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا).

إبطال مكر المستكبرين وعاقبة أهل الباطل ﴿١٩-٢٩﴾

النص القرآني

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٤﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ۚ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

[سورة النحل: ١٩-٢٨]

مرحلة التيسير

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ) ما تخفون في صدوركم (وَمَا تُعْلِنُونَ) ما تظهرون من الأقوال والأفعال. (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الأصنام والأنداد (لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) كائنات مصنوعة مبروءة عاجزة. (إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) متفرد بالكمال (فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ) جاحدة جاحدة للحق (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) متكبرون عن الاتباع. (لَا جَرَمَ) حقاً وبأكيد اليقين (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) المتغطرسين. (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) حكايات وأباطيل المتقدمين سخريةً. (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ) آثامهم وسيناتهم (كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) آثام أتباعهم (أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) بئس وقبح ما يحملون. (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) تآمر الطغاة الأقدمون (فَأَتَى اللَّهُ

بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) هدم أساس كيدهم (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) سقط عليهم هدم عروشهم (وَأَتَاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من جهة لا يتوقعونها مباغتةً. (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ) يذلهم ويفضحهم (وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ) تحاربون وتخالفون الأنبياء لأجلهم (قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) الأنبياء والعلماء (إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) الذل والهلاك للجاحدين. (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) يقبضون أرواحهم على الشرك (فَأَلْقَوُا السَّلَمَ) خضعوا مستسلمين كذباً (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) نفي لجرمهم (بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) تكذيب لدعواهم وإحصاء لأفعالهم. (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُسْتَكْبِرِينَ) قبح مستقر المتكبرين.

مرحلة النشر

والله يعلم ما تسرون ما تخفون في صدوركم وما تعلنون ما تظهرون من الأقوال والأفعال. والذين يدعون من دون الله من الأصنام والأنداد لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون كائنات مصنوعة مبروءة عاجزة. إلهكم إله واحد متفرد بالكمال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة جاحدة جاحدة للحق وهم مستكبرون متكبرون عن الاتباع. لا جرم حقاً وبأكيد اليقين أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين المتغطرسين. وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين حكايات وأباطيل المتقدمين سخريةً. ليحملوا أوزارهم آثامهم وسيناتهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم آثام أتباعهم ألا ساء ما يزرون بئس وقبح ما يحملون. قد مكر الذين من قبلهم تآمر الطغاة الأقدمون فأتى الله بنيانهم من القواعد هدم أساس كيدهم فخر عليهم السقف من فوقهم سقط عليهم هدم عروشهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من جهة لا يتوقعونها مباغتةً. ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم ويفضحهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم تحاربون وتخالفون الأنبياء لأجلهم قال الذين أوتوا العلم الأنبياء والعلماء إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذل والهلاك للجاحدين. الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم يقبضون أرواحهم على الشرك فألقوا السلم خضعوا مستسلمين كذباً ما كنا نعمل من سوء نفي لجرمهم بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون تكذيب لدعواهم وإحصاء لأفعالهم. فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المستكبرين قبح مستقر المتكبرين.

مرحلة المعاني

١. إحاطة العلم الإلهي بالبواطن والظواهر تسقط أي إمكانية للتخفي المعرفي للبشر. (أصله: والله يعلم ما تسرون وما تعلنون).

٢. العجز عن الخلق التأسيسي (لا يخلقون شيئاً) والمخلوقية الذاتية ينفيان تماماً أصل استحقاق التعبد والقداسة. (أصله: والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون).

٣. الوحدانية المطلقة (إلهكم إله واحد) هي الحقيقة المركزية للوجود التي تصطدم بها نفوس المنحرفين. (أصله: إلهكم إله واحد).

٤. إنكار البعث والحساب (لا يؤمنون بالآخرة) علة نفسية تفرز جحوداً قلبياً مستقراً وتكبراً سلوكياً. (أصله: فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون).

٥. تأكيد الرقابة (لا جرم) يمهد لإعلان المقت الإلهي لسمة التغطرس البشري. (أصله: إنه لا يحب المستكبرين).

٦. وصم الوحي بـ "الأساطير" (أساطير الأولين) محاولة عبثية لتقليل وزن النص الشرعي والهروب من تبعات الاستجابة له. (أصله: قالوا أساطير الأولين).

٧. قانون التبعية الجنائية يوجب على المضل تحمل إثم فعله وإثم من تسبب في انحرافهم. (أصله: ليحملوا أوزارهم كاملة.. ومن أوزار الذين يضلونهم).

٨. الجهل التابع (بغير علم) لا يعفي المضل من تحمل العبء، بل يغلظ الجرم على القائد والمستجيب. (أصله: يضلونهم بغير علم).

٩. التدمير التأسيسي لكيد الطغاة الأقدمين (فأتى الله بنيانهم من القواعد) برهان كوني مادي على هشاشة الباطل أمام القدرة الإلهية. (أصله: قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم..).

١٠. مباغتة العقاب (من حيث لا يشعرون) تلغي فكرة الحذر البشري وتسقط فاعلية التحصينات المادية. (أصله: وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون).

١١. الخزي الفاضح يوم القيامة (يخزيهم) عقوبة معنوية تهين كبرياء المستكبرين أمام الأشهاد. (أصله: ثم يوم القيامة يخزيهم).

١٢. السؤال الإنكاري التهكمي (أين شركائي) تفكيك عملي لخرافة الشفاعة والوسائط المزعومة. (أصله: ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم).

١٣. رتبة أهل العلم (قال الذين أوتوا العلم) تمنحهم حق النطق بالحكم الكوني وإعلان بوار الكافرين في المحشر. (أصله: قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم..).

١٤. الوفاة على الظلم (تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم) تغلق باب الاستدراك وتثبت الحالة الجرمية أبداً. (أصله: الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم).

١٥. الاستسلام المتأخر وقت النزع (فألقوا السلم) محاولة كاذبة للتنصل من المسؤولية بنفي الفعل السيئ. (أصله: ما كنا نعمل من سوء).

١٦. العلم الإلهي المحيط يواجه الكذب البشري بالتوثيق الشامل للأعمال (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون).

١٧. خلود المستكبرين في جهنم (خالدين فيها فلبئس مثوى المستكبرين) هو النهاية المنطقية لتعاليهم على الخالق والوحي في الدنيا. (أصله: فادخلوا أبواب جهنم.. فلبئس مثوى المستكبرين).

١٨. تشاقون (تشاقون) دلالة مفهومية على أن الشرك عداوة ومحاربة جبهوية للمنهج الإلهي.

١٩. الأبواب لجهنم (أبواب جهنم) دلالة على تفاوت دركات العذاب بحسب تفاوت درجات الإجرام والتكبير.

٢٠. العبء والوزر (ساء ما يزرون) تعبير حسي عن ثقل التبعات المعنوية للذنوب يوم القيامة.

مرحلة الأحكام

١. وجوب مراقبة الله في الخلوات والعلانية لثبوت إحاطة علمه بالسر والجهر. (دليله: والله يعلم ما تسرون وما تعلنون).

٢. تحريم عبادة الأنداد والأصنام والوسائط وثبوت عجزها الذاتي ومخلوقيتها. (دليله: والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون).

٣. وجوب الإيمان بالوحدانية المطلقة لله تعالى رباً وإلهاً مشرعاً. (دليله: إلهكم إله واحد).

٤. تحريم الاستكبار عن اتباع الحق وجحود الآخرة، وثبوت مقت الله للمستكبرين. (دليله: إنه لا يحب المستكبرين).

٥. تحريم وصف القرآن الكريم بأساطير الأولين أو الاستهزاء بنصوص الوحي. (دليله: وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين).

٦. ثبوت وزر الإضلال؛ ووجوب تحمل القادة والمفسدين لآثام أنفسهم وآثام من أضلوهم بغير علم. (دليله: ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم).

٧. تحريم المكر والكيد لدين الله ورسله، واليقين بأن عذاب الله مباغت لا يُحجز. (دليله: فأتى الله بنيانهم من القواعد.. وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون).

٨. تحريم المشاقة والمعاداة لأولياء الله وأنبياءه لأجل الأفكار والموروثات الباطلة. (دليله: أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم).

٩. ثبوت كذب دعاوى الكفار عند الموت، وتحريم جحود الأعمال السيئة لثبوت التوثيق الإلهي لها. (دليله: فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون).

١٠. ثبوت الخلود المؤبد في جهنم للمستكبرين عن طاعة الله الجاحدين لآياته. (دليله: فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المستكبرين).

مرحلة القواعد

١. **قاعدة نفي الأهلية**: المخلوقية والعجز الذاتي ينفيان استحقاق التعبد والتشريع. (الدليل: لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون.. إلهكم إله واحد).

٢. **قاعدة التبعية الجنائية**: من سنَّ سُنة سيئة أو أضل غيره تحمل عبء النتيجة التراكمية بغير انتقاص من وزر التابع. (الدليل: ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم).

٣. **قاعدة الهدم المباغت**: التآمر ضد الحق يستوجب تقويض البناء من أساسه المادي والمعنوي فجأة. (الدليل: فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف.. وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون).

٤. **قاعدة سقوط المعاذير عند النزع**: زوال الخيار البشري يبطل حيلة الإنكار والاعتذار الكاذب. (الدليل: تتوفاهم الملائكة.. فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم).

٥. **قاعدة الجزاء السلوكي**: المأوى والدركة الأخروية يتناسبان طردياً مع حجم الكبر النفسي في الدنيا. (الدليل: إنه لا يحب المستكبرين.. فلبئس مثوى المستكبرين).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١. (**المسؤولية القيادية والأخلاقية للموجهين**):

التعريف: تأصيل البعد الحضاري والاجتماعي الذي يحمّل النخب والقادة والموجهين تبعات أفكارهم وإضلالهم للأجيال، مما يؤسس لثقافة الأمانة المعرفية والمسؤولية التضامنية في البناء الحضاري.

أصله: ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم.

جزاء التقوى ومصير المتقين في الدارين (30–32)

النص القرآني

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)

(سورة النحل: 30–32)

مرحلة التيسير

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا **[خافوا عقاب الله]** مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا **[هداية ونفعاً]**، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا **[أتقنوا العمل بعبادة الله]** فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ **[حياة طيبة ورزق]** وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ **[أعظم وأبقى]** وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ **[أفضل مأوى لهم]**، جَنَّاتُ عَدْنٍ **[إقامة دائمة]** يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ **[كل مرادهم]** كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ **[تقبض أرواحهم]** الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ **[طاهرين من الشرك]** يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ **[أمان لكم]** ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ **[بسبب أعمالكم الصالحة]**.

مرحلة النشر

وقيل للذين خافوا عقاب الله: ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: هداية ونفعاً. للذين أتقنوا العمل بعبادة الله في هذه الدنيا حياة طيبة ورزق، ولدار الآخرة أعظم وأبقى؛ ولنعم أفضل مأوى للمتقين. جنات إقامة دائمة يدخلونها تجري من تحتها الأنهار، لهم فيها كل مرادهم؛ كذلك يجزي الله المتقين. الذين تقبض أرواحهم الملائكة وهم طاهرون من الشرك؛ يقولون لهم: أمان لكم، ادخلوا الجنة بسبب أعمالكم الصالحة التي كنتم تعملونها.

مرحلة المعاني

1. الوعي بقدسية المصدر الإلهي عند المتقين. (أصله: وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا).
2. الوحي رحمة ونفع مطلق للبشرية. (أصله: قَالُوا خَيْرًا).
3. ربط العمل الصالح (الإحسان) بالنتيجة المباشرة (الحسنة). (أصله: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا .. حَسَنَةٌ).
4. استحقاق السعادة الدنيوية للمؤمن كحق مكتسب بالإحسان. (أصله: فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ).
5. تفوق ثمار الآخرة على ثمار الدنيا في الكيف والبقاء. (أصله: وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ).
6. الثناء الإلهي على المستقر النهائي للمتقين لبيان جودته. (أصله: وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ).
7. صفة الخلود هي الركن الأساسي في نعيم الجنة. (أصله: جَنَّاتُ عَدْنٍ).
8. انسيابية النعيم وجماله البصري والحسي. (أصله: تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).
9. تحقق السيادة الكاملة لإرادة الإنسان المؤمن في مآله. (أصله: لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ).
10. ثبات السنة الإلهية في مجازاة المتقين عبر العصور. (أصله: كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ).

11. حضور الملائكة عند الموت كرسل تكريم للمؤمن. (أصله: تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ).

12. "الطيب" المعنوي والحسي شرط لمرافقة الملائكة. (أصله: طَيِّبِينَ).

13. السلام النفسي هو أول عطايا العالم الآخر. (أصله: سَلَامٌ عَلَيْكُمُ).

14. الخطاب المباشر من الملائكة للمؤمن تأنيساً له. (أصله: يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ).

15. دخول الجنة ليس عشوائياً بل هو استحقاق عملي. (أصله: بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

16. الاستمرار على النهج هو ما يُبنى عليه الجزاء. (أصله: كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

17. مفهوم "النزول" يشير إلى علو المصدر وتكريمه للمتلقي. (أصله: أَنْزَلَ رَبُّكُمْ).

18. المتقون هم "أهل الدار" الحقيقيون. (أصله: دَارُ الْمُتَّقِينَ).

19. انتفاء المنغصات، فكل ما يُشاء يُنال. (أصله: مَا يَشَاءُونَ).

20. الأمن المطلق يسبق الاستمتاع بالنعيم. (أصله: سَلَامٌ .. ادْخُلُوا).

21. التكامل بين التقوى (القلب) والإحسان (الجوارح). (أصله: اتَّقَوْا .. أَحْسَنُوا).

مرحلة الأحكام

- وجوب التسليم بأن ما أنزله الله هو "الخير" المحض. (دليله: قَالُوا خَيْرًا).
- وجوب السعي للإحسان في الدنيا لنيل الحسنة. (دليله: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ).
- تحريم الاعتقاد بأن الدنيا هي النهاية أو الغاية القصوى. (دليله: وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ).
- وجوب تزكية النفس لتكون "طيبة" عند الوفاة. (دليله: تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ).
- مشروعية التمتع بالمشتهيات في الآخرة كجزاء. (دليله: لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ).

- وجوب العمل كشرط للدخول والجزاء. (دليله: بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

مرحلة القواعد

- **قاعدة التلازم المقابل**: كما أن العمل في الدنيا "إحسان"، فإن الجزاء في الدنيا والآخرة "حسنة". (الدليل: أَحْسَنُوا .. حَسَنَةٌ).
- **قاعدة السلمية المطلقة**: دار المتقين هي دار السلام بتبادل التحية والآمان. (الدليل: يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ).
- **قاعدة الاستحقاق العملي**: الجزاء الأخروي قانون مطرد يتبع الجهد البشري. (الدليل: كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ .. بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

- (**الأمن الوجودي**): التعريف: هو حالة الطمأنينة التي يحياها الإنسان لعلمه بوجود جزاء عادل ونهاية طيبة. أصله: (سَلَامٌ عَلَيْكُمُ).
- (**الحافزية الحضارية**): التعريف: ربط النجاح الدنيوي (الحسنة) بالإتقان (الإحسان)، مما يدفع لبناء حضارة قوية ومرفهة. أصله: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ).
- (**الكرامة الفردية**): التعريف: رفع قيمة الإنسان الفرد بجعل مشيئته هي المعيار لنعيمه في مستقره النهائي. أصله: (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ).
- (**ثقافة السلام**): التعريف: غرس ثقافة "السلام" كأعلى مرتبة للتواصل الإنساني والملائكي. أصله: (يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ).

انتظار الوعيد ونقد الجبرية الادعائية (33–35)

النص القرآني

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (33) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (34) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35)

(سورة النحل: 33–35)

مرحلة التيسير

هَلْ يَنْظُرُونَ **[ينتظر هؤلاء الكفار]** إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ **[لقبض أرواحهم]** أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ **[بالعذاب أو القيامة]** كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ **[بالكفر والمعصية]**، فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا **[جزاء أفعالهم القبيحة]** وَحَاقَ بِهِمْ **[أحاط واستقر عليهم]** مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ **[بزعمهم أن شركهم بمشيئة الله]** نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ **[من البحائر والسوائب]**، كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ **[التبليغ الواضح]**.

مرحلة النشر

هل ينتظر هؤلاء الكفار إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتي أمر ربك بالعذاب أو القيامة؟ كذلك فعل الذين من قبلهم، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والمعصية. فأصابهم جزاء أفعالهم القبيحة، وأحاط واستقر عليهم ما كانوا به يستهزئون. وقال

الذين أشركوا: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا، ولا حرّمنا من دونه من شيء بزعمهم أن شركهم بمشيئة الله؛ كذلك فعل الذين من قبلهم؛ فهل على الرسل إلا التبليغ الواضح؟

مرحلة المعاني (أكثر من عشرين نقطة)

1. التسويف والانتظار حتى اللحظة الأخيرة هو ديدن المعاندين. (أصله: هَلْ يَنْظُرُونَ).
2. الملائكة تحضر للعقاب كما حضرت للتكريم في الآيات السابقة. (أصله: تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ).
3. "أمر الرب" هنا يشير إلى نفاذ القضاء بالعذاب أو الساعة. (أصله: يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ).
4. المعاندة والرفض ظاهرة تاريخية تكررت في الأمم السابقة. (أصله: كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ).
5. تنزيه الساحة الإلهية عن الظلم في تعذيب الخلق. (أصله: وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ).
6. العذاب هو نتيجة ذاتية من عمل الإنسان نفسه. (أصله: أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).
7. الأفعال السيئة تنقلب على صاحبها في شكل عقوبات. (أصله: فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا).
8. الاستهزاء بالحق وسيلة دفاعية ضعيفة تنتهي بالإحاطة والهلاك. (أصله: حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).
9. المشركون يستخدمون "القدر" حجة لتبرير انحرافهم (الجبرية). (أصله: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا).
10. التذرع بفعل "الآباء" هو تعطيل للعقل والمسؤولية الفردية. (أصله: نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا).

11. التحريم والتحليل بغير سلطان الله هو نوع من الشرك. (أصله: وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ).

12. الخلط بين "مشيئة الله الكونية" و"رضاه التشريعي" مغالطة كبرى. (أصله: لَوْ شَاءَ اللَّهُ).

13. التقليد الأعمى في الضلال هو ممارسة تاريخية فاشلة. (أصله: كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

14. وظيفة الرسل تنتهي عند الوضوح والبيان ولا تملك الهداية القسرية. (أصله: فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ).

15. "البلاغ المبين" يقطع حجة الكافرين أمام الله. (أصله: الْبَلَاغُ الْمُبِينُ).

16. الاستهزاء بالوعيد لا يمنع وقوعه بل يجعله محيطاً بصاحبه. (أصله: حَاقَ بِهِمْ).

17. الذنب هو ظلم للنفس أولاً قبل أن يكون تعدياً على الحق. (أصله: أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).

18. السنن الإلهية في الأمم مطردة لا تتغير. (أصله: كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

19. ادعاء المشيئة لتبرير المعصية هو محض افتراء. (أصله: وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ).

20. الربوبية تقتضي الأمر والنهي والجزاء. (أصله: أَمْرُ رَبِّكَ).

21. الربط بين العمل وجزائه (السيئة بالسيئة). (أصله: فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا).

مرحلة الأحكام

- وجوب الحذر من التسويف في التوبة قبل إتيان الأجل. (دليله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ).

- تحريم الاستهزاء بالدين والوعيد الإلهي. (دليله: حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).
- تحريم الاحتجاج بالقدر على المعصية (إبطال مذهب الجبرية). (دليله: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا).
- تحريم التحليل والتحريم في الدين بغير نص (التشريع الوضعي المعارض للشرع). (دليله: وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ).
- وجوب الاكتفاء بالبلاغ والبيان عند الدعوة دون إكراه. (دليله: فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ).
- تحريم التقليد الأعمى للآباء في العقائد الفاسدة. (دليله: نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا).
- إثبات المسؤولية الجنائية والأخلاقية للإنسان عن أفعاله. (دليله: كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).
- وجوب دراسة تاريخ الأمم السابقة للاعتبار من سنن الهلاك. (دليله: كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

مرحلة القواعد

- **قاعدة التبعية الجزائية:** العمل السيئ يحمل في طياته بذور عقوبته. (الدليل: فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا).
- **قاعدة العدل الإلهي المطلق:** الله لا يعذب إلا بذنب، والذنب ظلم من العبد لنفسه. (الدليل: وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).
- **قاعدة انقطاع الحجة بالبيان:** لا عقاب قبل بلاغ مبين يزيل اللبس. (الدليل: فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ).

- **قاعدة زيف الاحتجاج بالقدر**: المشيئة الكونية لا تبرر مخالفة المشيئة التشريعية. (الدليل: وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ..).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

- (**المسؤولية الفردية**): (التعريف): تحرير الإنسان من لوم "القدر" أو "الظروف" وتحميله مسؤولية اختياره، وهو أساس الرقي الحضاري. (أصله: أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).
- (**النقد العلمي للمغالطات**): (التعريف): كشف الزيف الفكري الذي يتلطى خلف معاذير واهية (كالجبرية أو التقليد) للهروب من استحقاقات التغيير. (أصله: لَوْ شَاءَ اللَّهُ.. نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا).
- (**ثقافة الحوار والبيان**): (التعريف): حصر مهمة القادة والمصلحين في "البلاغ المبين" أي الوضوح والحجة، لا في القهر والتسلط. (أصله: الْبَلَاغُ الْمُبِينُ).
- (**السنن التاريخية**): (التعريف): الإيمان بأن حركة التاريخ ليست عشوائية، بل محكومة بقوانين تطبق على المتأخرين كما طبقت على المتقدمين. (أصله: كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ).

وحدة الرسالة وحتمية الجزاء (36–40)

النص القرآني

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [سورة النحل: 36 – 40].

مرحلة التيسير

ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً [يأمرهم] أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت؛ فمنهم [من الأقوام] من هدى الله، ومنهم من حقت [وجبت] عليه الضلالة؛ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. إن تحرص [يا محمد] على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل [من سبقت مشيئته بضلاله]، وما لهم من ناصرين [يمنعون عذاب الله]. وأقسموا بالله جهد أيمانهم [مؤكدين] لا يبعث الله من يموت؛ بلى [يبعثهم] وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون؛ [يبعثهم] ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين [في إنكار البعث]. إنما قولنا لشيء إذا أردناه [إيجاده] أن نقول له كن فيكون.

مرحلة النشر

لقد بعثنا في كل أمة رسولاً يأمرهم أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. فمن الأقوام من هدى الله، ومنهم من وجبت عليه الضلالة؛ لذا فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. إن تحرص يا محمد على هداهم فإن الله لا يهدي من سبقت مشيئته بضلاله، وما لهم من ناصرين يمنعون عذاب الله. وقد أقسم هؤلاء بالله مؤكدين أيمانهم: لا يبعث الله من يموت! بلى يبعثهم الله وعداً عليه حقاً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين في إنكارهم. إنما قولنا لشيء إذا أردناه إيجاده أن نقول له كن فيكون.

مرحلة المعاني

1. إرسال الرسل سنة إلهية شملت كافة الأمم السابقة. (أصله: ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً).

2. التوحيد ونبذ الطغيان هما جوهر كافة الرسالات السماوية. (أصله: أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت).

3. انقسام البشر تجاه الدعوة إلى مهتدين ومستحقين للضلال. (أصله: فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة).

4. السير في الأرض وسيلة لإدراك سنن التاريخ ومصائر الأمم. (أصله: فسيروا في الأرض فانظروا).

5. نهاية التكذيب هي الهلاك والدمار. (أصله: كيف كان عاقبة المكذبين).

6. الهداية بيد الله وحده ولا تنفع معها رغبة الرسل إذا انعدم الاستعداد لدى المدعو. (أصله: إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل).

7. العجز البشري عن دفع العقاب عند حلوله. (أصله: وما لهم من ناصرين).

8. إنكار البعث يستند إلى أيمان مغلظة وجهل بالوعد الإلهي. (أصله: وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت).

9. البعث حقيقة يقينية ووعد ملزم على الله. (أصله: بلى وعداً عليه حقاً).

10. الغاية من البعث هي الفصل في الخلافات وإظهار الحقائق. (أصله: ليبين لهم الذي يختلفون فيه).

11. البعث يفضح كذب المنكرين للحق في الدنيا. (أصله: وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين).

12. الإيجاد والإحياء يتم بكلمة التكوين "كن" دون عناء. (أصله: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون).

مرحلة الأحكام

1. وجوب عبادة الله وحده ووجوب الكفر بالطاغوت. (دليله: أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت).
2. وجوب الاعتبار بمصائر الأمم السابقة من خلال التأمل أو التنقل. (دليله: فسيروا في الأرض فانظروا).
3. تحريم القسم الكاذب أو القسم لنفي حقائق الدين. (دليله: وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت).
4. وجوب الإيمان بالبعث والنشور كوعيد حق. (دليله: بلى وعداً عليه حقاً).
5. بطلان دعاوى المنكرين للبعث شرعاً وعقلاً. (دليله: وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين).
6. تقرير نفاذ الإرادة الإلهية بمجرد القول. (دليله: أن نقول له كن فيكون).

مرحلة القواعد

1. **قاعدة الوحدة الموضوعية للشرائع** :كل الرسالات اتفقت على التوحيد ونبذ الطغيان. (الدليل: ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت).
2. **قاعدة التلازم بين المقدمات والنتائج** :التكذيب يؤدي حتماً إلى سوء العاقبة. (الدليل: فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين).
3. **قاعدة قصور الرغبة البشرية أمام المشيئة الإلهية** :حرص الهادي لا ينفع إذا لم يقدر الله الهداية. (الدليل: إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل).
4. **قاعدة العدل الإلهي في البعث** :البعث ضرورة لبيان الحق وفصل النزاع. (الدليل: ليبين لهم الذي يختلفون فيه).

5. **قاعدة الطلاقة في القدرة** :الخلق والإعادة سهلان على الله بكلمة التكوين. (الدليل: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

1.)**البعد التحرري** :(الدعوة إلى التخلص من تبعية "الطاغوت" وهو كل ما يتجاوز الحد ويستعبد الإنسان. (أصله: واجتنبوا الطاغوت).
2.)**البعد السياحي والبحثي** :(تشجيع التنقل في الأرض لاستلهام العبر وتحليل التاريخ الإنساني عمرانياً واجتماعياً. (أصله: فسيروا في الأرض فانظروا).
3.)**البعد المعرفي** :(التأكيد على أن العلم الحقيقي هو الذي يدرك مآلات الأمور والوعد الإلهي، وأن الجهل هو سبب إنكار الحقائق الكبرى. (أصله: ولكن أكثر الناس لا يعلمون).
4.)**البعد القضائي الوجودي** :(فكرة "المسؤولية"؛ حيث أن البعث يمثل المحكمة الكبرى لرد المظالم وفصل الخلافات التي عجز البشر عن حسمها. (أصله: ليبين لهم الذي يختلفون فيه)..

عوض الهجرة ومكانة الوحي (41 – 44)

النص القرآني

{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [سورة النحل: 41 – 44].

مرحلة التيسير

والذين هاجروا في [سبيل] الله من بعد ما ظلموا [بسبب إيمانهم] لنبوئنهم [لنسكننهم] في الدنيا حسنة [رزقاً ونصراً]؛ ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا [المنكرون] يعلمون؛ [وهم] الذين صبروا [على الأذى] وعلى ربهم يتوكلون. وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً [من البشر] نوحي إليهم؛ فاسألوا أهل الذكر [العلماء بالكتب السابقة] إن كنتم لا تعلمون؛ [أرسلناهم] بالبينات والزبر [الحجج والكتب]؛ وأنزلنا إليك الذكر [القرآن] لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون.

مرحلة النثر

والذين هاجروا في سبيل الله من بعد ما وقع عليهم الظلم، لنسكننهم في الدنيا بمكانة حسنة ورزق واسع؛ ولأجر الآخرة أعظم لو كان الناس يدركون ذلك. هؤلاء هم الذين صبروا على البلاء، وعلى ربهم وحده يتوكلون في كل شؤونهم. وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالاً من البشر نوحي إليهم لا ملائكة، فاسألوا أهل العلم بالكتب السابقة إن كنتم تجهلون هذه الحقيقة. لقد أرسلناهم بالمعجزات الواضحة والكتب المكتوبة. وأنزلنا إليك هذا القرآن لتقوم بمهمة تبيين ما نزل للناس من الوحي، ولأجل أن يعملوا عقولهم ويتفكروا.

مرحلة المعاني

1. الهجرة في سبيل الله تفتح أبواب التمكين الدنيوي. (أصله: لنبوئنهم في الدنيا حسنة).

2. جزاء الآخرة للمهاجرين يفوق كل تصور دنيوي. (أصله: ولأجر الآخرة أكبر).

3. الصبر والتوكل هما الركيزتان الأساسيتان لاستحقاق العوض الإلهي. (أصله: الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون).

4. بشرية الرسل سنة إلهية مطردة في الأمم السابقة. (أصله: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم).

5. ضرورة الرجوع إلى المختصين عند الجهل بالحقائق التاريخية أو الدينية. (أصله: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون).

6. الوحي الإلهي يسند بالمعجزات العقلية والكتب السماوية. (أصله: بالبينات والزبر).

7. القرآن الكريم هو "الذكر" المرجعي المهيمن. (أصله: وأنزلنا إليك الذكر).

8. وظيفة الرسول هي الشرح والبيان العملي للنص الإلهي. (أصله: لتبين للناس ما نُزّل إليهم).

9. الغاية النهائية من إنزال الوحي والبيان النبوي هي استثارة العقل البشري. (أصله: ولعلهم يتفكرون).

مرحلة الأحكام

1. مشروعية الهجرة عند وقوع الظلم وتَعذر إقامة الدين. (دليله: والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا).

2. وجوب الصبر على الابتلاء والتوكل على الله كعبادات قلبية. (دليله: الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون).

3. وجوب الرجوع إلى أهل الاختصاص والعلم في كل فن يُجهل. (دليله: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون).

4. إثبات حجية السنة النبوية كبيان شارح للقرآن. (دليله: لتبين للناس ما نُزّل إليهم).

5. فرضية التفكر والتدبر في آيات الله. (دليله: ولعلهم يتفكرون).

مرحلة القواعد

1. قاعدة العوض الإلهي: من ترك شيئاً لله (هجرةً من الظلم) عوضه الله في الدارين. (الدليل: لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر).

2. قاعدة المرجعية العلمية: الجهل يُعالج بالسؤال والرجوع لأهل الاختصاص. (الدليل: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون).

3. قاعدة التناسب بين الرسول والمرسل إليهم: الرسل من جنس البشر لضمان التفاعل والاقتداء. (الدليل: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً).

4. قاعدة التلازم بين النص والبيان: النص السماوي يحتاج لبيان نبوي وتفكر بشري. (الدليل: وأنزلنا إليك الذكر لتبين... ولعلهم يتفكرون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

1. (البعد الحقوقي): الاعتراف بالحق في الهجرة والفرار من الاضطهاد والظلم لضمان الكرامة الإنسانية. (أصله: هاجروا في الله من بعد ما ظلموا).

2. (البعد التخصصي/الأكاديمي): إرساء مبدأ "سؤال أهل الذكر" الذي هو أساس المنهج العلمي الحديث في الاعتماد على المراجع والمختصين. (أصله: فاسألوا أهل الذكر).

3. (البعد التنويري): النص القرآني ليس نصاً جامداً، بل هو أداة لتحريك العقل البشري نحو التفكير والنقد. (أصله: ولعلهم يتفكرون).

4. (البعد النفسي): تعزيز ثقافة "الصبر الإيجابي" المقرون بالتوكل، مما يمنح الفرد صلابة في مواجهة الأزمات الحضارية. (أصله: الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون).

مآلات الاستكبار ومظاهر الانقياد الكوني (45–50)

النص القرآني

{أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [سورة النحل: 45 – 50].

مرحلة التيسير

أفأمن الذين مكروا [بالرسول] السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون [بغتة]؛ أو يأخذهم [بالعقوبة] في تقلبهم [أسفارهم وتجارتهم] فما هم بمعجزين [فائتين لله]؛ أو يأخذهم على تخوف [نقص تدريجي للأموال والأنفس] فإن ربكم لرؤوف رحيم [حيث لم يعاجلهم]؛ أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ [تتميل] ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون [صاغرون منقادون]؛ ولله يسجد ما في السماوات وما في

الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون؛ يخافون ربهم من فوقهم [عظمة وقدرة] ويفعلون ما يؤمرون [طاعة].

مرحلة النشر

أفأمن هؤلاء الذين دبروا المكايد السيئة أن يبتلعهم الله في الأرض، أو يباغتهم العذاب من جهة لا يتوقعونها؟ أو أن تباغتهم العقوبة وهم في قمة حركتهم وأسفارهم، فهم لن يفلتوا من قدر الله. أو أن يأتيهم العذاب بتناقص تدريجي في أموالهم وحالهم وهم في حالة حذر وتوقع للشر؛ ومع ذلك فإن ربكم لرؤوف رحيم إذ لم يعاجلهم بالهلاك المطلق. أولم يتأمل هؤلاء في كل ما خلق الله من أجرام وأجسام، كيف تتحول ظلالها وتتميل يميناً وشمالاً خاضعة لأمره ومنقادة لعظمته؟ فكل ما في الكون، من دواب الأرض وملائكة السماء، يسجد لله وحده وهم لا يتعاظمون عن طاعته. إنهم يرهبون مقام ربهم المهيمن عليهم، ويؤدون كل ما يؤمرون به بدقة.

مرحلة المعاني

1. مكر السيئات لا يوفر الحماية من تدبير الله. (أصله: أفأمن الذين مكروا السيئات).
2. إمكانية الخسف الأرضي كعقوبة حسية للمستكبرين. (أصله: أن يخسف الله بهم الأرض).
3. عنصر المفاجأة في العذاب يكسر التحصينات البشرية. (أصله: من حيث لا يشعرون).
4. النشاط الاقتصادي والحركي لا يمنع وقوع القدر. (أصله: أو يأخذهم في تقلبهم).
5. الإنسان مهما بلغت قوته لا يمكنه إعجاز الخالق أو الهرب منه. (أصله: فما هم بمعجزين).

6. العذاب قد يأتي على شكل استنزاف تدريجي (نفسي أو مادي). (أصله: أو يأخذهم على تخوف).

7. تأخير العبوة أو تدرجها مظهر من مظاهر الرأفة الإلهية. (أصله: فإن ربكم لرؤوف رحيم).

8. النظر في الظواهر الطبيعية وسيلة لإدراك عظمة الخالق. (أصله: أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء).

9. حركة الظلال هي عملية "سجود" كوني واصطلاحي لله. (أصله: يتفيأ ظلاله... سجداً لله).

10. اتجاهات الظلال (يميناً وشمالاً) برهان على الانقياد لقوانين الضوء والحركة التي وضعها الله. (أصله: عن اليمين والشمائل).

11. الخضوع الكوني لله يتصف بـ "الدخور" أي الصغار والانقياد التام. (أصله: وهم داخرون).

12. عمومية السجود لكافة الكائنات الحية والجمادات. (أصله: ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض).

13. الدواب بكل أنواعها جزء من المنظومة العبادية الكونية. (أصله: من دابة).

14. تميز الملائكة بالعبودية المطلقة وعدم الاستكبار. (أصله: والملائكة وهم لا يستكبرون).

15. الاستكبار هو العائق الأساسي عن الانسجام مع الكون في تسبيحه. (أصله: وهم لا يستكبرون).

16. الخوف من الله صفة ملازمة للكائنات العليا (الملائكة). (أصله: يخافون ربهم).

17. صفة "الفوقية" لله تدل على علو المكانة والقهر والقدرة. (أصله: من فوقهم).

18. الطاعة المطلقة هي ميزة الملائكة في تنفيذ الأوامر. (أصله: ويفعلون ما يؤمرون).

19. الربط بين الفعل (السجود) والحالة النفسية (عدم الاستكبار). (أصله: يسجد... وهم لا يستكبرون).

20. التحذير من غياب الوعي بمدى الإحاطة الإلهية بالإنسان في كل أحواله. (أصله: في تقلبهم).

21. إثبات أن الكون يسير بنظام توحيدي متسق لا شذوذ فيه إلا من الإنس والجن. (أصله: ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض).

22. إمكانية اعتبار الظواهر الفيزيائية (كالظلال) آيات إيمانية. (أصله: يتفيأ ظلاله).

مرحلة الأحكام

1. تحريم المكر السيء والتدبير للإضرار بالحق. (دليله: الذين مكروا السيئات).
2. وجوب الحذر من استدراج الله وعدم الأمن من مكره. (دليله: أفأمن الذين مكروا).
3. وجوب التأمل في خلق الله والظواهر الكونية للاستدلال على التوحيد. (دليله: أولم يروا إلى ما خلق الله).
4. وجوب التواضع ونبذ الاستكبار تشبهاً بالملائكة. (دليله: وهم لا يستكبرون).
5. وجوب الخوف من الله واستشعار عظمته المهيمنة. (دليله: يخافون ربهم من فوقهم).
6. وجوب المبادرة لتنفيذ الأوامر الإلهية دون إبطاء. (دليله: ويفعلون ما يؤمرون).

مرحلة القواعد

1. **قاعدة الانهيار المفاجئ** :المكر السيء يؤسس لدمار لا يتوقعه صاحبه. (الدليل: يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون).

2. **قاعدة السجود الكوني** :الانقياد لله قانون عام يشمل كل ذرة في الوجود. (الدليل: ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض).

3. **قاعدة العجز البشري أمام الإحاطة الإلهية** :التقلب في الأرض لا يعطي حصانة من القدر. (الدليل: فما هم بمعجزين).

4. **قاعدة الرأفة في الإمهال** :تأخير العقوبة ليس غفلة بل فرصة للتوبة. (الدليل: فإن ربكم لرؤوف رحيم).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

1.)**البعد الأمني** :(بيان أن الأمن القومي والاجتماعي لا يتحقق بالمكر والمكايد، بل بالاستقامة مع سنن الله. (أصله: أفأمن الذين مكروا).

2.)**البعد البيئي والفيزيائي** :(دعوة الإنسان للنظر إلى "الظلال" وغيرها من الظواهر الطبيعية كجزء من سيمفونية الخضوع للخالق، مما يعزز الصلة بين العلم والإيمان. (أصله: يتفيأ ظلاله).

3.)**البعد السلوكي** :(طرح "الملائكة" كنموذج حضاري في "الانضباط" و"تنفيذ الأوامر" و"غياب الأنا/الاستكبار". (أصله: ويفعلون ما يؤمرون).

4.)**البعد السيكولوجي** :(معالجة حالة "الاستكبار" التي تؤدي إلى الصمم الحضاري وتمنع الإنسان من رؤية الحقائق الواضحة في الكون. (أصله: وهم لا يستكبرون).

وحدانية الألوهية وشمولية النعمة (٥١ – ٥٥)

النص القرآني

{۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ * وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ

فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [سورة النحل: ٥١ – ٥٥].

مرحلة التيسير

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين [في العبادة]؛ إنما هو إله واحد؛ فإياي [وحدي] فارهبون [خافوا]. وله [ملكاً وخلقاً] ما في السماوات والأرض وله الدين [الطاعة والولاء] واصباً [دائماً وثابتاً]؛ أفغير الله تتقون؟ وما بكم من نعمة [صحة أو رزق] فمن الله [وحده]؛ ثم إذا مسكم الضر [المرض أو الفقر] فإليه تجأرون [تتضرعون بالصياح للاستغاثة]. ثم إذا كشف [أزال] الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون [يجعلون له شريكاً في الفضل]؛ ليكفروا [يجحدوا] بما آتيناهم [من النعم]؛ فتمتعوا [بقليل من الدنيا] فسوف تعلمون [عاقبة جحودكم].

مرحلة النشر

لقد أمر الله ألا يتخذ البشر إلهين اثنين، مؤكداً أنه إله واحد لا شريك له، لذا فله وحده تجب الرهبة والخضوع. ولله وحده ملك كل ما في السماوات والأرض، وله الخضوع والطاعة الدائمة والثابتة، فكيف تتقون غيره وهو المالك لكل شيء؟ وكل نعمة تتقلبون فيها فهي من فضله وحده، ومع ذلك، فإنكم حين يصيبكم الضر لا تلجؤون إلا إليه بالتضرع والصراخ مستغيثين. ولكن، ما إن يزيل الله ذلك الضر عنكم، حتى يعود فريق منكم إلى الإشراك به ونسبة الفضل لغيره. إنهم يفعلون ذلك جحوداً بما منحهم الله من فضل، فليتمتعوا بحياتهم الدنيا قليلاً، فسوف يدركون لاحقاً سوء عاقبة فعلهم.

مرحلة المعاني

١ .النهي الصريح عن التعددية الإلهية في المعتقد. (أصله: لا تتخذوا إلهين اثنين).

٢ .حصر الألوهية في ذات واحدة هي الله. (أصله: إنما هو إله واحد).

٣ .الرهبة الحقيقية يجب أن تتوجه للخالق وحده دون سواه. (أصله: فإياي فارهبون).

٤ .ملكية الأكوان (سماوات وأرض) هي حجة على وجوب التوحيد. (أصله: وله ما في السماوات والأرض).

٥ .الدين بمعنى الطاعة هو حق خالص لله. (أصله: وله الدين).

٦ .دوام واستمرار استحقاق الله للعبادة في كل وقت وحال. (أصله: واصباً).

٧ .التوبيخ العقلي لمن يتقي غير الخالق المالك. (أصله: أفغير الله تتقون).

٨ .استغراق النعم؛ فكل فضل يصيب الإنسان هو من الله ابتداءً. (أصله: وما بكم من نعمة فمن الله).

٩ .الضعف البشري يظهر جلياً عند وقوع المكروه. (أصله: إذا مسكم الضر).

١٠" .الجؤار" هو أقصى درجات التضرع ولا يوجه في الأزمات إلا لله فطرةً. (أصله: فإليه تجأرون).

١١ .تقلب النفس البشرية بين الإخلاص وقت الشدة والجحود وقت الرخاء. (أصله: ثم إذا كشف الضر... يشركون).

١٢ .الشرك بعد النجاة هو أقبح أنواع نكران الجميل. (أصله: بربهم يشركون).

١٣ .الجحود هو الغاية النفسية من الإشراك بعد النعمة. (أصله: ليكفروا بما آتيناهم).

١٤ .التمتع الدنيوي للمشركين هو تمتع مؤقت واستدراجي. (أصله: فتمتعوا).

١٥ .الوعيد الإلهي المبطن بـ "سوف تعلمون" يفيد اليقين بالعقاب. (أصله: فسوف تعلمون).

١٦ .الفطرة البشرية توحيدية بدليل اللجوء لله عند الانقطاع. (أصله: فإليه تجأرون).

١٧ .الله هو المصدر الوحيد للخير (النعمة) وكاشف الضر. (أصله: كشف الضر عنكم).

١٨ .إنكار المصدر الإلهي للنعم هو "كفر" بالنعمة. (أصله: ليكفروا بما آتيناهم).

١٩ .التلازم بين الملكية (له ما في السماوات) وبين استحقاق التقوى. (أصله: وله ما في... أفغير الله تتقون).

٢٠ .الإنسان يميل لتناسي الفضل الإلهي بمجرد زوال الخطر. (أصله: إذا فريق منكم بربهم

يشركون).

٢١ .الوحدانية ليست مجرد فكرة بل هي أساس "الرهبة" و"التقوى" المسلكية. (أصله: فإياي فارهبون).

٢٢ .الخطاب الإلهي يواجه التناقض السلوكي للإنسان بأسلوب تقريعي. (أصله: أفغير الله تتقون).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب إفراد الله بالعبادة وتحريم الشرك بكافة صوره. (دليله: لا تتخذوا إلهين اثنين).

٢ .وجوب إخلاص الطاعة (الدين) لله دائماً. (دليله: وله الدين واصباً).

٣ .وجوب شكر المنعم والاعتراف بأن كل نعمة هي بفضله. (دليله: وما بكم من نعمة فمن الله).

٤ .وجوب اللجوء إلى الله وحده عند وقوع الشدائد. (دليله: فإليه تجأرون).

٥ .تحريم جحود النعم ونسبتها لغير الله بعد النجاة. (دليله: ليكفروا بما آتيناهم).

٦ .مشروعية التهديد والوعيد لمن يتخذ النعم وسيلة للكفر. (دليله: فسوف تعلمون).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة حصر المصدرية** :الله هو المنشئ لكل نفع والكاشف لكل ضر. (الدليل: وما بكم من نعمة فمن الله... ثم إذا كشف الضر).

٢ .**قاعدة استحقاق العبادة بالخلق والملك** :من ملك الكون استحق الولاء المطلق. (الدليل: وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصباً).

٣ .**قاعدة نطق الفطرة عند الاضطرار** :الشدة تذيب غشاء الشرك وتُظهر التوحيد الكامن. (الدليل: فإليه تجأرون).

٤ .**قاعدة المتاع الزائل** :كل تمتع مبني على الجحود نهايته العلم بالعاقبة الوخيمة. (الدليل: فتمتعوا فسوف تعلمون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد النفسي** :(تحليل سيكولوجية الإنسان في "الشدة" و"الرخاء"، وبيان سرعة تقلب الوجدان البشري بين الإخلاص والجحود. (أصله: فإليه تجأرون... ثم إذا كشف الضر... يشركون).

٢) .**البعد الفلسفي للتوحيد** :(رفض التعددية التي تؤدي إلى تشتت الإرادة الإنسانية، والدعوة لوحدة المرجعية "إله واحد" لتحقيق التوازن النفسي. (أصله: لا تتخذوا إلهين اثنين).

٣) .**البعد الأخلاقي** :(ترسيخ قيمة "الوفاء للمنعم"، حيث يُعد تحويل الولاء بعد زوال المحنة انحطاطاً أخلاقياً قبل أن يكون ضلالاً دينياً. (أصله: ليكفروا بما آتيناهم).

٤) .**البعد الوجودي** :(تأكيد أن الوجود الإنساني محاط بالرعاية الإلهية في كل تفاصيله، مما يستدعي حالة من الرهبة الواعية والمسؤولة. (أصله: وله الدين واصباً).

هل ننتقل إلى **الكتلة التالية** التي تفصل في مواقف المشركين من الرزق والذرية؟ **أكمل؟**

ضلالات الجاهلية وافتراءاتهم على الرزق والقدر (٥٦ – ٦٠)

النص القرآني

{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ٥٦ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦٠ } [سورة النحل: ٥٦ – ٦٠].

مرحلة التيسير

ويجعلون لما لا يعلمون [من الأصنام] نصيباً [جزءاً] مما رزقناهم؛ تالله لتسألن عما كنتم تفترون [تكذبون]. ويجعلون لله البنات سبحانه [تنزيهاً له] ولهم [يجعلون لأنفسهم] ما يشتهون [من البنين]؛ وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً [من الحزن] وهو كظيم [ممتلئ غيظاً]؛ يتوارى [يختفي] من القوم من سوء ما بُشر به؛ أيمسكه [يبقيها حية] على هون [ذل] أم يدسه [يدفنها] في التراب؛ ألا ساء ما يحكمون؛ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء [الصفات القبيحة] ولله المثل الأعلى [الصفات الكمالية] وهو العزيز [الغالب] الحكيم [في تدبيره].

مرحلة النثر

ويخصص هؤلاء المشركون للأصنام التي لا تملك نفعاً ولا ضراً نصيباً من الأموال والزروع التي رزقناهم إياها؛ فوالله ليحاسبنهم الله على هذا الكذب والافتراء. وهم ينسبون لله البنات تنزيهاً له عن ذلك، في حين ينسبون لأنفسهم ما يشتهون من الأبناء الذكور. فإذا أُخبر أحدهم بولادة أنثى، تحول وجهه إلى السواد حزناً وهو ممتلئ بالغيظ المكتوم. فيأخذ بالاختفاء عن الناس خجلاً من الخبر الذي نزل به، محتاراً في أمره: أيبقي على هذه المولودة مع تحمل الذل والإهانة، أم يدفنها حية في التراب؟ ألا قبح حكمهم وتدبيرهم هذا. إن هؤلاء الذين لا يصدقون بالبعث هم الأحق بكل صفة قبيحة ونقص، أما الله فله وحده الصفات العليا والكمال المطلق، وهو القوي الذي لا يغلب، الحكيم في كل أفعاله.

مرحلة المعاني

١ .الجهل هو الدافع لتخصيص القرابين للأنداد. (أصله: ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً).

٢ .الاعتراف بأن الرزق مصدره الله وحده حتى عند من يشرك به. (أصله: مما رزقناهم).

٣ .القسم الإلهي يؤكد حتمية المساءلة عن الافتراء العقدي. (أصله: تالله لتسألن).

٤ .الافتراء على الله بالكذب هو أعظم الجرائم الموجبة للسؤال. (أصله: عما كنتم تفترون).

٥ .تناقض المشركين في نسبة ما يكرهون لله وما يحبون لأنفسهم. (أصله: ويجعلون لله البنات...

ولهم ما يشتهون).

٦ .تنزيه الذات الإلهية عن الولد والصاحبة. (أصله: سبحانه).

٧ .رغبة الإنسان الفطرية في "ما يشتهي" وانحرافها نحو الأنانية. (أصله: ولهم ما يشتهون).

٨ .تصوير الأثر النفسي والفسيولوجي لخبر ولادة الأنثى في الجاهلية. (أصله: ظل وجهه مسوداً).

٩ .الكظم هو حبس الغيظ والحزن الناتج عن الموروث الاجتماعي الخاطئ. (أصله: وهو كظيم).

١٠ .الشعور بالخزي الاجتماعي (العار) يدفع الإنسان للهروب من المجتمع. (أصله: يتوارى من القوم).

١١ .النظرة الدونية للمرأة تعتبر ولادتها "سوءاً". (أصله: من سوء ما بُشر به).

١٢ .الصراع النفسي بين العاطفة الأبوية وبين الضغط الاجتماعي للوأد. (أصله: أيمسكه على هون أم يدسه).

١٣" .الهون" هو الشعور بالمهانة المصاحب للإبقاء على حياة الأنثى في فكرهم. (أصله: على هون).

١٤ .القسوة البشرية تصل إلى حد دفن الحياة في التراب. (أصله: أم يدسه في التراب).

١٥ .القبح الأخلاقي في التشريع البشري المبني على الهوى. (أصله: ألا ساء ما يحكمون).

١٦ .الربط بين سوء الأخلاق وبين عدم الإيمان بالآخرة. (أصله: للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء).

١٧ .الانكار للبعث يرفع الوازع الأخلاقي عن الإنسان. (أصله: للذين لا يؤمنون بالآخرة).

١٨" .المثل الأعلى" هو التفرد بالكمال المطلق لله سبحانه. (أصله: ولله المثل الأعلى).

١٩ .عزة الله تمنع عنه النقص، وحكمته تضع الأمور في نصابها. (أصله: وهو العزيز الحكيم).

٢٠ .الإنكار على المشركين تقسيمهم للرزق لغير من رزقهم. (أصله: نصيباً مما رزقناهم).

٢١ .تشخيص ظاهرة الهروب من المسؤولية الاجتماعية بسبب العادات. (أصله: يتوارى من القوم).

٢٢ .إثبات أن الأحكام الجاهلية تتصادم مع المنطق والعقل. (أصله: ساء ما يحكمون).

٢٣ .سمو الذات الإلهية عن النقائص البشرية التي ينسبها المشركون له. (أصله: ولله المثل الأعلى).

مرحلة الأحكام

١ .تحريم صرف أي جزء من المال أو الرزق لغير الله تقرباً. (دليله: ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً).

٢ .وجوب الرضا بما قسم الله من الذرية (ذكوراً وإناثاً). (دليله: ألا ساء ما يحكمون).

٣ .تحريم وأد البنات أو الإساءة إليهن بأي شكل. (دليله: أم يدسه في التراب).

٤ .وجوب تنزيه الله عن الصاحبة والولد. (دليله: ويجعلون لله البنات سبحانه).

٥ .إثبات صفات الكمال لله (العزة والحكمة) ونفي صفات النقص. (دليله: ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم).

٦ .تحريم الافتراء على الله بنسبة أقوال أو أفعال لم يقلها. (دليله: تالله لتسألن عما كنتم تفترون).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة حتمية الحساب على الافتراء** :الكذب في العقائد يُواجه بسؤال توبيخي وعقابي. (الدليل: تالله لتسألن عما كنتم تفترون).

٢ .**قاعدة فساد المعايير بفساد العقيدة** :من لم يؤمن بالآخرة فسدت موازينه الأخلاقية. (الدليل: للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء).

٣ .**قاعدة كمال الخالق مقابل نقص المخلوق** :الكمال المطلق لله والضعف والنقص للعبد. (الدليل: ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم).

٤ .**قاعدة التناقض الجاهلي** :الباطل يوقع صاحبه في تناقض السلوك مع المعتقد. (الدليل: ويجعلون لله البنات... ولهم ما يشتهون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد الاجتماعي/ النسوي** :(نقد الموروثات التي تنتقص من قيمة المرأة، والدفاع عن حقها في الحياة والكرامة منذ اللحظة الأولى للولادة. (أصله: وإذا بشر أحدهم بالأنثى).

٢) .**البعد النفسي** :(تشريح حالة "الضغط المجتمعي" وكيف يدفع الفرد لارتكاب جرائم ضد فطرته (كالوأد) هرباً من "نظرة القوم". (أصله: يتوارى من القوم).

٣) .**البعد الأخلاقي** :(إرساء مبدأ "المسؤولية عن القول"، وأن الإنسان محاسب على افتراءاته الفكرية والعملية. (أصله: لتسألن عما كنتم تفترون).

٤) .**البعد القيمي** :(ربط السلوك الإنساني بالمنظومة العقدية؛ فالإيمان بالآخرة هو الضمانة لعدم الانحدار إلى "مثل السوء". (أصله: للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء).

سنة الإمهال وتزيين الأعمال (٦١ – ٦٤)

النص القرآني

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٦١ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ٦٢ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٦٤} [سورة النحل: ٦١ – ٦٤].

مرحلة التيسير

ولو يعاقب الله الناس بسبب ظلمهم [وشركهم] ما ترك على [ظهر] الأرض من دابة [نسمة تدب]؛ ولكن يؤخرهم [يمهلهم] إلى وقت محدد؛ فإذا جاء وقت موتهم لا يتأخرون لحظة ولا يتقدمون. ويجعلون لله ما يكرهون [البنات والشركاء] وتدعي ألسنتهم الكذب بأن لهم العاقبة الحسنة [الجنة]؛ حقاً إن لهم النار وأنهم منسيون [أو مقدمون إليها]. فوالله لقد أرسلنا رسلاً إلى

أمم من قبلك فصوّر لهم الشيطان أعمالهم [القبيحة] حسنة؛ فهو ناصرهم اليوم [في الدنيا] ولهم عذاب موجع. وما أنزلنا عليك القرآن إلا لتوضح لهم الحق فيما تنازعوا فيه؛ وليكون إرشاداً ونعمة للمصدقين به.

مرحلة النثر

لو عاجل الله البشر بالعقوبة فور وقوع ظلمهم، لما بقي على ظهر البسيطة كائن حي يدب عليها، لكنه سبحانه يمهلهم إلى موعد معلوم وقدر محتوم. فإذا حان ذلك الموعد، لا يملكون تأخيراً لموتهم ولا تقديماً له ولو لوقت يسير. وهؤلاء المشركون ينسبون لله ما يأنفون لأنفسهم، وتكذب ألسنتهم حين يزعمون أن لهم عند الله المنزلة الحسنة والجنة. الحقيقة الثابتة هي أن مصيرهم النار، وأنهم سيُتركون فيها أو يُساقون إليها فرطاً. تالله لقد بعثنا رسلاً في الأمم الغابرة، فخدعهم الشيطان بتحسين قبائح أعمالهم حتى اتبعوه، فهو قرينهم ومتولي شأنهم الآن، وسينالون عذاباً مؤلماً. وما نزل عليك هذا الكتاب يا محمد إلا ليكون فصلاً في المسائل التي اختلف فيها الناس، وليكون هداية ورحمة خاصة للذين يصدقون بالحق.

مرحلة المعاني

١ .رحمة الله تمنع تعجيل العقوبة الشاملة رغم استحقاق الظلم. (أصله: ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم).

٢ .شمولية أثر الظلم البشري قد تؤدي لإهلاك الحياة الكونية (الدواب). (أصله: ما ترك عليها من دابة).

٣ .الإمهال الإلهي ليس إهمالاً بل تأخير لوقت معلوم. (أصله: ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى).

٤ .الموت والحساب توقيتات إلهية دقيقة لا تقبل الجدولة البشرية. (أصله: لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).

٥ .تناقض المشركين في نسبة النقائص للخالق والكمال لأنفسهم. (أصله: ويجعلون لله ما

يكرهون).

٦ .ادعاء الاستحقاق للثواب مع فعل القبيح هو محض كذب لغوي. (أصله: وتصف ألسنتهم الكذب).

٧" .الحسنى" هنا تعني الجنة أو العاقبة الطيبة التي تمناها الكفار بلا عمل. (أصله: أن لهم الحسنى).

٨ .الحقيقة اليقينية (لا جرم) هي استحقاق النار للمفترين. (أصله: لا جرم أن لهم النار).

٩ .المشركون مقدمون إلى العذاب بإهمال أو تعجيل. (أصله: وأنهم مفرطون).

١٠ .وحدة الرسالة عبر التاريخ (إرسال الرسل للأمم السابقة). (أصله: لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك).

١١ .آلية الشيطان في الإضلال هي "التزيين" أي تحسين القبيح. (أصله: فزين لهم الشيطان أعمالهم).

١٢ .الولاية الشيطانية هي نتيجة لقبول هذا التزيين واتباعه. (أصله: فهو وليهم اليوم).

١٣ .العاقبة الحتمية لاتباع الشيطان هي العذاب المؤلم. (أصله: ولهم عذاب أليم).

١٤ .الغاية الوظيفية للقرآن هي فض النزاعات الفكرية والعقدية. (أصله: لتبين لهم الذي اختلفوا فيه).

١٥ .القرآن مرجعية عليا لبيان الحق من الباطل. (أصله: لتبين لهم).

١٦ .صفة الهداية في الكتاب مخصصة لمن استعد قلبه للإيمان. (أصله: وهدى... لقوم يؤمنون).

١٧ .الرحمة الإلهية تتجسد في الوحي المنزل. (أصله: ورحمة لقوم يؤمنون).

١٨ .الربط بين "البيان" وبين زوال الاختلاف. (أصله: لتبين لهم الذي اختلفوا فيه).

١٩ .التأكيد بالقسم (تالله) على صدق الخبر التاريخي عن الأمم. (أصله: تالله لقد أرسلنا).

٢٠ .الظلم البشري هو السبب المباشر لاحتمالية فناء الحياة. (أصله: بظلمهم ما ترك عليها من دابة).

٢١ .اللسان قد يكون أداة لتزييف الحقائق الوجودية. (أصله: وتصف ألسنتهم الكذب).

٢٢ .انقطاع النصرة عن الكفار في الآخرة رغم ولاية الشيطان لهم في الدنيا. (أصله: فهو وليهم

اليوم ولهم عذاب).

٢٣ .الإيمان هو الشرط الأساسي للانتفاع بالرحمة المنزلة في الكتاب. (أصله: لقوم يؤمنون).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب الإيمان بالقدر المحتوم للأجال والأعمار. (دليله: فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة).

٢ .تحريم تمني الجنة أو الثواب مع الإقامة على الكفر والكذب. (دليله: وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى).

٣ .وجوب الحذر من تلبيس الشيطان وتزيينه للأعمال القبيحة. (دليله: فزين لهم الشيطان أعمالهم).

٤ .وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم عند وقوع الاختلاف في أصول الدين. (دليله: لتبين لهم الذي اختلفوا فيه).

٥ .تحريم نسبة أي نقص لله عز وجل (كالبنات أو الشركاء). (دليله: ويجعلون لله ما يكرهون).

٦ .إثبات أن الإيمان هو مفتاح الهداية والرحمة الكتابية. (دليله: وهدى ورحمة لقوم يؤمنون).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة الإمهال للامتحان** :تأخير العقوبة سنة إلهية لفتح باب التوبة أو إقامة الحجة. (الدليل: ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى).

٢ .**قاعدة الترابط البيئي** :معاصي البشر تؤثر على سلامة الكائنات الأخرى (الدواب). (الدليل: ما ترك عليها من دابة).

٣ .**قاعدة التزيين الشيطاني** :المعصية لا تُرتكب لذاتها بل لما يُلبسها الشيطان من جمال زائف. (الدليل: فزين لهم الشيطان أعمالهم).

٤ .**قاعدة المرجعية الكتابية** :الكتاب هو الحَكَم الفصل عند تشعب الآراء والشرائع. (الدليل: لتبين لهم الذي اختلفوا فيه).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد البيئي** :(التنبيه إلى أن السلوك الأخلاقي والعدل البشري مرتبط ببقاء "الدواب" والحياة الفطرية على الكوكب؛ فالظلم مدمر للبيئة. (أصله: بظلمهم ما ترك عليها من دابة).
٢) .**البعد الزمني** :(ترسيخ مفهوم "الوقت النوعي"؛ فالأجل مسمى ومنضبط، مما يستدعي من الإنسان استثمار حياته قبل فوات الأوان. (أصله: لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).
٣) .**البعد السيكولوجي** :(كشف آلية "التبرير النفسي" (التزيين)، حيث يخدع الإنسان نفسه بصوابية أخطائه بتأثير وسواس خارجي أو داخلي. (أصله: فزين لهم الشيطان أعمالهم).
٤) .**البعد المعرفي** :(التأكيد على دور "النص المقدس" في حل الصراعات الفكرية وتقديم رؤية توحيدية تنهي حالة "الاختلاف" العبثي. (أصله: لتبين لهم الذي اختلفوا فيه).

آيات الإحياء والاعتبار في منافع الأكوان (٦٥ – ٦٩)

النص القرآني

{وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩﴾} [سورة النحل: ٦٥ – ٦٩].

مرحلة التيسير

والله أنزل من السماء ماءً [مطراً] فأحيا به الأرض [بالنبات] بعد موتها [جفافها]؛ إن في ذلك لآية [دلالة] لقوم يسمعون [سماع تدبر]. وإن لكم في الأنعام [الإبل والبقر والغنم] لعبرة [عظة]؛ نسقيكم مما في بطونه من بين فرث [فضلات الكرش] ودم لبناً خالصاً [نقيّاً] سائغاً [لذيذ المرور] للشاربين. ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً [شراباً مُسكراً] ورزقاً حسناً [خلاً وطعاماً]؛ إن في ذلك لآية لقوم يعقلون. وأوحى [ألهَم] ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون [يبنون من السقوف]. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي [ادخلي] سبل ربك ذللاً [ميسرة]؛ يخرج من بطونها شراب [عسل] مختلف ألوانه فيه شفاء للناس؛ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون.

مرحلة النشر

لقد أنزل الله من السماء مطراً فأحيا به الأرض بالنبات بعد أن كانت يابسة ميتة، وفي هذا الإحياء دلالة واضحة لمن يلقي السمع بتدبر. ولكم في الإبل والغنم والبقر عظة كبرى؛ إذ نسقيكم مما في أحشائها، من بين فضلات الطعام والدم، لبناً مصفىً يسهل شربه. ومن ثمار النخيل والأعناب ما تصنعون منه شراباً مسكراً، ومنه ما يكون طعاماً طيباً حلالاً؛ وفي ذلك برهان لمن يستخدم عقله. وقد ألهم ربك النحل أن تتخذ مساكنها في الجبال والأشجار وفيما يبنيه البشر من الكروم. ثم أمرها أن تأكل من رحيق الأزهار وتسلك الطرق التي يسرها الله لها؛ ليخرج من أجسادها عسل متنوع الألوان، جعله الله علاجاً للناس؛ وفي هذا النظام العجيب آية لمن يتفكرون في بدائع الصنع.

مرحلة المعاني

١ .إثبات المصدرية الإلهية لظاهرة الأمطار. (أصله: والله أنزل من السماء ماءً).
٢ .الربط بين الماء والحياة النباتية (الإحياء بعد الموت). (أصله: فأحيا به الأرض بعد موتها).
٣ .السماع المقصود في القرآن هو سماع التدبر والاستجابة. (أصله: لقوم يسمعون).

٤ .الكائنات الحية (الأنعام) مستودع للعظة والدروس العلمية. (أصله: وإن لكم في الأنعام لعبرة).

٥ .بيان عملية التخليص الحيوي للبن من بين الفرث والدم. (أصله: من بين فرث ودم).

٦ .صفة "الخلوص" في اللبن تعني نقاءه من شواب الدماء والفضلات. (أصله: لبناً خالصاً).

٧" .السيغ" صفة في اللبن تدل على سهولة التغذية به. (أصله: سائغاً للشاربين).

٨ .الثمار كالنخيل والأعناب هي أصول لمنظومة غذائية متنوعة. (أصله: ومن ثمرات النخيل والأعناب).

٩ .التمييز بين ما هو "سكر" وما هو "رزق حسن" تلميح لتفاوت القيمة. (أصله: تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً).

١٠ .إعمال العقل ضرورة لإدراك أسرار النبات والرزق. (أصله: لقوم يعقلون).

١١ .الوحي الغريزي (الإلهام) هو المحرك لسلوك الحشرات. (أصله: وأوحى ربك إلى النحل).

١٢ .هندسة بناء البيوت في النحل وحي إلهي. (أصله: أن اتخذي من الجبال بيوتاً).

١٣ .تنوع مساكن النحل بين الطبيعة الجبلية والشجرية والعمرانية. (أصله: ومما يعرشون).

١٤ .التغذية المتنوعة للنحل تشمل كافة الثمرات (الرحيق). (أصله: ثم كلي من كل الثمرات).

١٥ .الطرق التي تسلكها النحل ميسرة ومنضبطة بتسخير الخالق. (أصله: فاسلكي سبل ربك ذللاً).

١٦ .العسل منتج حيوي يخرج من بطون النحل. (أصله: يخرج من بطونها شراب).

١٧ .اختلاف ألوان العسل يتبع اختلاف المراعي والثمار. (أصله: مختلف ألوانه).

١٨ .تقرير الصفة العلاجية للعسل (الاستشفاء). (أصله: فيه شفاء للناس).

١٩ .التفكر هو المرحلة الأعلى من التعقل في إدراك أسرار الخلق. (أصله: لقوم يتفكرون).

٢٠ .الاستدلال بإحياء الأرض على إمكانية البعث والنشور. (أصله: فأحيا به الأرض بعد موتها).

٢١ .قدرة الله على إخراج النافع الصافي (اللبن) من وسط المستقذر (الفرث). (أصله: من بين فرث ودم).

٢٢ .تسخير الكون (ماء، أنعام، نحل) لخدمة الإنسان دلالة على التكريم. (أصله: نسقيكم...

للناس).

٢٣ .الربط بين الهداية الفطرية (الوحي للنحل) وبين النتيجة النافعة (الشفاء). (أصله: وأوحى ربك... فيه شفاء).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب الاعتبار بآيات الله الكونية (المطر، الأنعام، النحل). (دليله: إن في ذلك لآية).

٢ .إباحة شرب الألبان والانتفاع بمنتجات الأنعام. (دليله: نسقيكم مما في بطونه).

٣ .مشروعية التداوي بالعسل والاعتراف بخاصيته الشفائية. (دليله: فيه شفاء للناس).

٤ .وجوب حماية البيئة الفطرية (الجبال، الشجر) لأنها مساكن للمخلوقات المسخرة. (دليله: اتخذي من الجبال بيوتاً).

٥ .إثبات أن السكر (الخمر) والرزق الحسن (الخل والطعام) يخرجان من أصل واحد مع اختلاف الحكم. (دليله: تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً).

٦ .فرضية التفكر والتعقل في الأنظمة الحيوية للكائنات. (دليله: لآية لقوم يتفكرون).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة التخليص** :القدرة الإلهية تُخرج الطيب من بين الخبيث والنافع من بين الضار. (الدليل: من بين فرث ودم لبناً خالصاً).

٢ .**قاعدة الإلهام الفطري** :الحيوان مسير بوحي غريزي يحقق التوازن البيئي. (الدليل: وأوحى ربك إلى النحل).

٣ .**قاعدة التناسب بين المدخلات والمخرجات** :تنوع الثمار يؤدي لتنوع ألوان وخصائص العسل. (الدليل: كلي من كل الثمرات... مختلف ألوانه).

٤ .**قاعدة الغائية في الخلق** :كل ما سُخر في الكون له وظيفة إحيائية أو غذائية أو شفائية. (الدليل: فأحيا به... نسقيكم... فيه شفاء).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد العلمي/ البيولوجي** :(لفت الأنظار إلى فيزيولوجيا الحيوان (تكوين اللبن والعسل)، وهو أساس العلوم الطبية والزراعية الحديثة. (أصله: يخرج من بطونها).

٢) .**البعد الجمالي** :(إبراز جماليات الطبيعة (تميل الظلال، ألوان العسل، عمران النحل) كجزء من جودة الحياة الإنسانية. (أصله: مختلف ألوانه).

٣) .**البعد التنموي** :(الحث على استغلال الموارد الطبيعية (نخيل، أعناب، أنعام) لتحقيق "الرزق الحسن" والاكتفاء الغذائي. (أصله: ورزقاً حسناً).

٤) .**البعد الاستشفائي** :(الربط بين الطبيعة والصحة العامة، واعتبار المنتجات الطبيعية مصدراً أصيلاً للطب الوقائي والعلاجي. (أصله: فيه شفاء للناس).

تفاوت القدرات البشرية وقيومية الخالق ﴿٧٠ – ٧٤﴾

النص القرآني

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾} [سورة النحل: ٧٠ – ٧٤].

مرحلة التيسير

والله خلقكم [ابتداءً] ثم يتوفاكم [عند انتهاء آجالكم]؛ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر [الهرم والخرف] لكي لا يعلم بعد علم شيئاً [ينسى ما علمه]؛ إن الله عليم [بخلقه] قدير [على

تدبيرهم]. والله فضل بعضكم على بعض في الرزق [قوةً ومالاً]؛ فما الذين فضلوا [الأسياد] برادي [بمعطي] رزقهم على ما ملكت أيمانهم [العبيد] فهم فيه سواء [شركاء]؛ أفبنعمة الله يجحدون؟ والله جعل لكم من أنفسكم [جنسكم] أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة [أولاد الأولاد] ورزقكم من الطيبات؛ أفبالباطل [الأصنام] يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون؟ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات [مطراً] والأرض [نباتاً] شيئاً ولا يستطيعون. فلا تضربوا لله الأمثال [الأشباه]؛ إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون.

مرحلة النشر

إن الله هو الذي أوجدكم من العدم ثم هو الذي ينهي حياتكم بالموت. ومنكم من يمتد به العمر حتى يصل إلى أضعفه وأرذله، حيث يفقد الذاكرة والقدرة الذهنية ليعود كأنه لا يعلم شيئاً مما تعلمه سابقاً؛ فالله وحده هو المحيط علماً والقوي قدراً. وقد اقتضت حكمته أن يتفاوت الناس في سعة الرزق، فليس الأغنياء بمانحي أموالهم لخدمهم وعبيدهم حتى يتساووا معهم في الملكية، فكيف يقبلون بمساواة الأصنام بالله وهم لا يرضونها لأنفسهم مع عبيدهم؟ والله أنعم عليكم بأن جعل أزواجكم من بني جنسكم، ورزقكم منهم الأبناء والأحفاد، وأمدكم بطيبات المأكل والمشارب؛ فكيف يؤمن هؤلاء بالآلهة الباطلة ويجحدون فضل المنعم؟ إنهم يقدسون أصناماً لا تملك لهم وسيلة للرزق لا من السماء ولا من الأرض. لذا، لا تجعلوا لله أشباهاً ولا تقيسوه بخلقه؛ فالله يعلم حقائق الأمور وغاياتها وأنتم تجهلونها.

مرحلة المعاني

١ .الخلق والوفاة فعلان إلهيان خالصان يمثلان دورة الحياة. (أصله: والله خلقكم ثم يتوفاكم).
٢ .ظاهرة الهرم (أرذل العمر) دليل على الضعف البشري الكامن. (أصله: يرد إلى أرذل العمر).
٣ .زوال العلم والذاكرة عند الكبر يثبت أن العلم هبة مستردة. (أصله: لكي لا يعلم بعد علم شيئاً).

٤ .اقتران العلم بالقدرة في الذات الإلهية لتدبير أطوار الإنسان. (أصله: إن الله عليم قدير).

٥ .التفاوت الطبقي في الرزق سنة كونية لحفظ النظام الاجتماعي. (أصله: والله فضل بعضكم على بعض في الرزق).

٦ .الإنسان بطبعه يشح بماله عن مساواة غيره به (في سياق ملك اليمين). (أصله: فما الذين فضلوا برادي رزقهم).

٧ .استخدام المنطق الاجتماعي لنقد التعددية العقدية. (أصله: فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون).

٨ .السكن والمودة يتحققان بوحدة الجنس البشري للزوجين. (أصله: جعل لكم من أنفسكم أزواجاً).

٩ .الامتداد البشري (البنين والحفدة) نعمة إلهية تحفظ النوع. (أصله: وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة).

١٠ .شمولية الرزق الطيب لكل ما ينفع الإنسان بدنياً ونفسياً. (أصله: ورزقكم من الطيبات).

١١ .التعجب من الإيمان بـ "الباطل" رغم وضوح نعم "الحق". (أصله: أفبالباطل يؤمنون).

١٢ .الجحود هو الموقف النفسي السلبي تجاه المنعم الحقيقي. (أصله: وبنعمة الله هم يكفرون).

١٣ .العبادة لغير الله تفتقر لشرط "القدرة على الرزق". (أصله: ما لا يملك لهم رزقاً).

١٤ .المصادر الكونية للرزق هي السماء (المطر) والأرض (النبات). (أصله: من السماوات والأرض شيئاً).

١٥ .العجز المطلق للمعبودات من دون الله عن الإيجاد أو النفع. (أصله: ولا يستطيعون).

١٦ .النهي عن قياس الخالق بالمخلوق أو ضرب الأمثال له. (أصله: فلا تضربوا لله الأمثال).

١٧ .قصور العلم البشري مقابل كمال العلم الإلهي. (أصله: إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون).

١٨ .الموت ليس نهاية عشوائية بل هو "توفٍ" لاستيفاء الأجل. (أصله: ثم يتوفاكم).

١٩" .أرذل العمر" يمثل مرحلة ارتداد لبيولوجيا الطفولة علمياً. (أصله: لكي لا يعلم بعد علم شيئاً).

٢٠ .استنكار المساواة بين الخالق والجماد في استحقاق العبادة. (أصله: أفبنعمة الله يجحدون).

٢١ .النعمة الأسرية (أزواج، بنين، حفدة) هي عماد الحضارة الإنسانية. (أصله: وجعل لكم من

أزواجكم).

٢٢ .الرزق الطيب هو الوقود الأساسي لاستمرار الحياة والعبادة. (أصله: ورزقكم من الطيبات).

٢٣ .العلم الإلهي هو المرجعية الوحيدة التي تبرر النهي عن الوثنية. (أصله: إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب الإيمان ببدء الخلق والبعث بعد الوفاة. (دليله: والله خلقكم ثم يتوفاكم).

٢ .وجوب رعاية المسنين الذين وصلوا لمرحلة "أرذل العمر" لضعفهم. (دليله: لكي لا يعلم بعد علم شيئاً).

٣ .إقرار مبدأ التفاوت في الرزق مع وجوب أداء الحقوق المالية. (دليله: فضل بعضكم على بعض في الرزق).

٤ .وجوب شكر الله على نعمة الأسرة (الزوجية والذرية). (دليله: وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً).

٥ .تحريم عبادة الأوثان أو أي كائن لا يملك نفعاً ولا رزقاً. (دليله: ويعبدون من دون الله ما لا يملك).

٦ .تحريم تشبيه الله بخلقه أو قياس صفاته بصفاتهم. (دليله: فلا تضربوا لله الأمثال).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة التقلب البشري** :قوة الإنسان محفوفة بضعفين (طفولة وهرم). (الدليل: خلقكم... ومنكم من يرد إلى أرذل العمر).

٢ .**قاعدة التوازن الاجتماعي** :التفاوت في الأرزاق وسيلة لتبادل المصالح والخدمات. (الدليل: فضل بعضكم على بعض في الرزق).

٣ .**قاعدة برهان الافتقار** :المعبود الحق هو الذي يملك أسباب الرزق الكوني. (الدليل: ما لا

يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض).

٤ .**قاعدة التنزيه المطلق** :الخالق لا يُقاس بالمخلوق لاختلاف طبيعة العلم والقدرة. (الدليل: فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد السوسيولوجي** :(بيان أهمية "الأسرة الممتدة" (أزواج، بنين، حفدة) كقاعدة بناء للمجتمع الإنساني المستقر. (أصله: وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة).

٢) .**البعد السيكولوجي** :(مواجهة حقيقة "العجز الإنساني" عند الشيخوخة، مما يزرع التواضع في النفس البشرية ويمنع الغرور بالعلم. (أصله: لكي لا يعلم بعد علم شيئاً).

٣) .**البعد الاقتصادي** :(التأكيد على أن مصادر الثروة الحقيقية (المطر والنبات) هي هبات إلهية لا يملكها بشر، مما يستدعي العدالة في التوزيع. (أصله: ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض).

٤) .**البعد المعرفي** :(التمييز بين العلم البشري المكتسب القابل للزوال، وبين العلم الإلهي المحيط الثابت. (أصله: إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون).

أمثلة التباين بين العجز والقدرة ﴿٧٥ – ٧٧﴾

النص القرآني

{۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾} [سورة النحل: ٧٥ – ٧٧].

مرحلة التيسير

ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً [لا يملك نفسه] لا يقدر على شيء [من التصرف] ومن رزقناه منا رزقاً حسناً [حراً غنياً] فهو ينفق منه سراً وجهراً؛ هل يستوون [هذا العاجز وذلك القادر]؟ الحمد لله [وحده] بل أكثرهم لا يعلمون [الحق]. وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم [ولد أخرس] لا يقدر على شيء وهو كلٌّ [ثقيل وعالة] على مولاه [ولي أمره] أينما يوجهه [يرسله] لا يأت بخير؛ هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل [لسانه منطلق بالحق] وهو على صراط مستقيم [طريق واضح]؟ ولله غيب السماوات والأرض؛ وما أمر الساعة [القيامة] إلا كلمح البصر أو هو أقرب [في السرعة]؛ إن الله على كل شيء قدير.

مرحلة النشر

لقد مثل الله حال المعبودات العاجزة بعبد مملوك لا يملك من أمره شيئاً، مقابل حال الخالق القادر الذي رزق عبداً حراً رزقاً طيباً فهو يتصرف فيه بالإنفاق سراً وعلانية؛ فهل يعقل أن يتساوى العاجز والقادر؟ فالحمد كله لله، ولكن أكثر الناس يجهلون هذه الحقيقة. ومثّل أيضاً برجلين: أحدهما أخرس لا يفهم ولا يُفهم ولا نفع فيه، بل هو عبء على من يعوله، فكلما بعثه في مهمة لم ينجزها بنجاح؛ فهل يتساوى هذا مع رجل سليم اللسان يدعو للحق والعدل وهو ثابت على نهج قويم؟ ولله وحده علم ما خفي في الكون؛ وما شأن قيام الساعة في سرعته إلا كخطفة العين أو هو أسرع من ذلك، لأن قدرة الله لا يعجزها شيء.

مرحلة المعاني

١ .استخدام الأمثلة الحسية وسيلة لتقريب الحقائق العقدية. (أصله: ضرب الله مثلاً).

٢ .العجز المطلق للمملوك يمثل عجز الأصنام عن الفعل. (أصله: عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء).

٣ .الحرية والرزق أساس القدرة على النفع المتعدي. (أصله: ومن رزقناه منا رزقاً حسناً).

٤ .الإنفاق في السر والعلن دليل على ملكية الإرادة والمال. (أصله: ينفق منه سراً وجهراً).

٥ .استنكار المساواة عقلاً بين من يملك ومن لا يملك. (أصله: هل يستوون).

٦ .الحمد حق خالص لله القادر الرازق المتصرف. (أصله: الحمد لله).

٧ .الجهل هو السبب في تسوية الخالق بالمخلوق. (أصله: بل أكثرهم لا يعلمون).

٨ .البكم يمثل تعطل وسيلة البيان والتواصل. (أصله: أحدهما أبكم).

٩ .صفة "الكل" تعني العالة التي تستهلك ولا تنتج. (أصله: وهو كل على مولاه).

١٠ .الفشل المتكرر في المهام دليل على غياب الكفاءة. (أصله: أينما يوجهه لا يأت بخير).

١١ .الأثر المجتمعي لمن يأمر بالعدل يقابل عجز الأبكم. (أصله: ومن يأمر بالعدل).

١٢ .الاستقامة على الصراط هي شرط النفع الحقيقي للقيادة. (أصله: وهو على صراط مستقيم).

١٣ .التفرد الإلهي بعلم المغيبات الكونية. (أصله: ولله غيب السماوات والأرض).

١٤ .قيام الساعة فعل مفاجئ وخاطف يتجاوز المقاييس الزمنية. (أصله: إلا كلمح البصر).

١٥ .إمكانية أن يكون الحدث الكوني أسرع من "لمح البصر". (أصله: أو هو أقرب).

١٦ .شمولية القدرة الإلهية لكل الممكنات والمستحيلات بشرياً. (أصله: إن الله على كل شيء قدير).

١٧ .الربط بين كمال الأداة (اللسان) وكمال المنهج (العدل). (أصله: يأمر بالعدل... صراط مستقيم).

١٨ .الإحاطة الإلهية بالغيب هي مقدمة للحساب وقيام الساعة. (أصله: ولله غيب... وما أمر الساعة).

١٩ .إثبات أن الملك الحقيقي هو الله وما سواه مملوك. (أصله: عبداً مملوكاً).

٢٠ .الاستدلال بالبديهيات العقلية (الفرق بين العاجز والقادر) للوصول للتوحيد. (أصله: هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل).

٢١ .الساعة ليست بعيدة في مقياس القدرة الإلهية وإن استبعدها البشر. (أصله: أو هو أقرب).

٢٢ .ذم التبعية العمياء (الكل) والثناء على المبادرة (الآمر بالعدل). (أصله: لا يأت بخير...

يأمر بالعدل).

٢٣ .القيمة الإنسانية ترتبط بالقدرة على الإصلاح والبيان. (أصله: ومن يأمر بالعدل).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب إعمال القياس العقلي الصحيح في معرفة الله. (دليله: هل يستوون).

٢ .استحباب الإنفاق في كل الأحوال (سراً وجهراً). (دليله: ينفق منه سراً وجهراً).

٣ .وجوب الأمر بالعدل والاستقامة على النهج القويم. (دليله: ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم).

٤ .وجوب الإيمان بوقوع الساعة وسرعة حدوثها. (دليله: وما أمر الساعة إلا كلمح البصر).

٥ .كفر من سوّى بين الله (القادر) وبين غيره (العاجز). (دليله: هل يستوون... بل أكثرهم لا يعلمون).

٦ .وجوب تسليم علم الغيب لله وحده. (دليله: ولله غيب السماوات والأرض).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة التباين** :لا يستوي من يملك النفع ومن هو عالة على غيره. (الدليل: هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل).

٢ .**قاعدة نفاذ القدرة** :الأوامر الكونية الإلهية لا تخضع للزمن البشري. (الدليل: إلا كلمح البصر أو هو أقرب).

٣ .**قاعدة المرجعية الغيبية** :الله وحده مطلع على أسرار الكون ومآلاته. (الدليل: ولله غيب السماوات والأرض).

٤ .**قاعدة فضل البيان** :قيمة الإنسان في قدرته على نفع غيره بالقول والعمل الصالح. (الدليل: يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد التنموي** :(نقد حالة "العالة" (الكل) والتحريض على الكفاءة والإنتاجية كشرط للسيادة والاعتبار. (أصله: وهو كل على مولاه).

٢) .**البعد القيادي** :(ربط القيادة الرشيدة بـ "العدل" و "وضوح المنهج"، فالقائد هو من يملك الرؤية والبيان. (أصله: يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم).

٣) .**البعد الزمني** :(لفت النظر إلى "الآنية" في الفعل الإلهي (لمح البصر)، مما يستوجب من الإنسان الجاهزية الدائمة للقاء الله. (أصله: وما أمر الساعة إلا كلمح البصر).

٤) .**البعد المنطقي** :(ترسيخ المنهج الجدلي في الحوار الإنساني عبر ضرب الأمثلة الواقعية لتقريب المفاهيم المعقدة. (أصله: ضرب الله مثلاً).

هبات الحواس وملاجئ السكن والوقاية ﴿٧٨ – ٨١﴾

النص القرآني

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾}

[سورة النحل: ٧٨ – ٨١].

مرحلة التيسير

والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً [خالين من المعرفة] وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة [العقول] لعلكم تشكرون. ألم يروا إلى الطير مسخرات [مذللات للطيران] في جو السماء ما يمسكهن [من الوقوع] إلا الله؛ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. والله جعل لكم

من بيوتكم سكناً [راحة] وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً [خياماً] تستخفونها [خفيفة الحمل] يوم ظعنكم [سفركم] ويوم إقامتكم؛ ومن أصوافها [الغنم] وأوبارها [الإبل] وأشعارها [المعز] أثاثاً ومتاعاً إلى حين [وقت معلوم]. والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً [مغارات] وجعل لكم سرابيل [قمصاناً] تقيكم الحر وسرابيل [دروعاً] تقيكم بأسكم [في الحرب]؛ كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون [تخضعون لله].

مرحلة النشر

إن الله هو الذي أخرجكم من أرحام أمهاتكم دون أي علم مسبق، ومنحكم أدوات الإدراك من سمع وبصر وعقل لكي تدركوا فضله وتشكروا نعمته. ألم يتأملوا في حال الطيور وهي تطير في الفضاء الفسيح، لا يمنعها من السقوط إلا قدرة الله ونظامه؟ وفي هذا دلالات واضحة للمصدقين. وقد تفضل الله عليكم فجعل بيوتكم مستقراً للراحة، ومنحكم من جلود الإبل والغنم بيوتاً خفيفة يسهل عليكم حملها في ترحالكم ونصبها في إقامتكم، كما جعل من أصوافها وأوبارها ما تصنعون منه فرشاً وأدوات تستمتعون بها إلى وقت محدد. ووفر لكم من الأشجار والمنشآت ظلالاً تستظلون بها، ومن الجبال غارات تسكنونها، كما ألهمكم صناعة الثياب التي تحميكم من تقلبات الجو، والدروع التي تحميكم من ضربات السيوف في المعارك؛ هكذا يكمل الله فضله عليكم لتنقادوا لأمره وتخلصوا له العبادة.

مرحلة المعاني

١ .الولادة البشرية تبدأ من نقطة الصفر المعرفي (الفراغ العقلي). (أصله: لا تعلمون شيئاً).

٢ .الحواس (سمع وبصر) هي النوافذ الأولى لتحصيل العلم. (أصله: وجعل لكم السمع والأبصار).

٣" .الأفئدة" هي الوعاء الذي يحلل المعلومات الحسية ويحولها لمعرفة. (أصله: والأفئدة).

٤ .الشكر هو الغاية الأخلاقية من منح أدوات الإدراك. (أصله: لعلكم تشكرون).

٥ .طيران الطير في الجو خضوع لقوانين فيزيائية مسخرة بأمر الله. (أصله: مسخرات في جو السماء).

٦ .العجز عن السقوط أثناء الطيران مظهر من مظاهر الإمساك الإلهي للكون. (أصله: ما يمسكهن إلا الله).

٧ .الإيمان شرط لرؤية "الآية" الكامنة في الظواهر الطبيعية. (أصله: لآيات لقوم يؤمنون).

٨ .الوظيفة الأساسية للمسكن هي تحقيق "السكن النفسي" والراحة. (أصله: جعل لكم من بيوتكم سكناً).

٩ .التنوع في أنواع المساكن (ثابتة ومتنقلة) رحمة للمسافر والمقيم. (أصله: يوم ظعنكم ويوم إقامتكم).

١٠ .خفة الوزن في بيوت الجلود ميزة تقنية للمجتمعات المرتحلة. (أصله: تستخفونها).

١١ .الانتفاع بمخلفات الحيوانات (أصواف، أوبار، أشعار) أساس للصناعات اليدوية. (أصله: ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها).

١٢ .الأثاث والمتاع الدنيوي له عمر افتراضي محدد. (أصله: ومتاعاً إلى حين).

١٣ .الظل نعمة وقائية من حرارة الشمس المخلوقة. (أصله: جعل لكم مما خلق ظلالاً).

١٤ .التكوينات الجيولوجية (الجبال) تعمل كملاجئ طبيعية. (أصله: من الجبال أكناناً).

١٥" .السرابيل" تشمل كل ما يُلبس للوقاية المناخية (الثياب). (أصله: سرابيل تقيكم الحر).

١٦ .التكنولوجيا الحربية (الدروع) نعمة إلهية لحفظ النفس وقت الصراع. (أصله: وسرابيل تقيكم بأسكم).

١٧ .إتمام النعمة يقتضي شمولها للضرورات (سكن) والتحسينات (متاع). (أصله: كذلك يتم نعمته عليكم).

١٨ .الغاية من تراكم النعم هي الوصول لحالة "الإسلام" (الاستسلام التام لله). (أصله: لعلكم تسلمون).

١٩ .الربط بين بدء الخلق (الخروج من البطون) وبين تسخير الكون (الطير والسكن). (أصله: أخرجكم... وجعل لكم).

٢٠ .الإنسان يولد فقيراً معرفياً ويغتني بآلات العلم الممنوحة له. (أصله: لا تعلمون شيئاً وجعل

لكم...).

٢١ .مراعاة تقلبات الإنسان بين الحركة (الظعن) والسكون (الإقامة). (أصله: يوم ظعنكم ويوم إقامتكم).

٢٢ .الجبال ليست فقط زينة بل هي "أكنان" وقائية وتاريخية. (أصله: من الجبال أكناناً).

٢٣ .شمولية مفهوم الوقاية (وقاية من الحر، ووقاية من بأس البشر). (أصله: تقيكم الحر... تقيكم بأسكم).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب شكر الله على حواس الإدراك (السمع، البصر، العقل). (دليله: لعلكم تشكرون).

٢ .إباحة الانتفاع بجلود الميتة (بعد الدباغ) وأصواف الحيوانات في الصناعة. (دليله: ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً).

٣ .مشروعية اتخاذ البيوت الثابتة والمتنقلة وطلب الراحة فيها. (دليله: جعل لكم من بيوتكم سكناً).

٤ .مشروعية اتخاذ وسائل الدفاع (الدروع) ووسائل التبريد (الثياب والظلال). (دليله: وسرابيل تقيكم بأسكم).

٥ .وجوب الانقياد لله (الإسلام) اعترافاً بتمام النعمة. (دليله: لعلكم تسلمون).

٦ .وجوب التأمل في خلق الله (كالطير) لزيادة الإيمان. (دليله: إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة التدرج المعرفي** :المعرفة الإنسانية مكتسبة عبر الأدوات لا فطرية في التفاصيل. (الدليل: لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع...).

٢ .**قاعدة التسخير الكوني** :كل حركة في الكون (طيران الطير) محكومة بحفظ الخالق. (الدليل:

ما يمسكهن إلا الله).

٣ .**قاعدة النفعية في النعم** :كل ما خلقه الله للإنسان فيه وجه وقاية أو منفعة أو جمال. (الدليل: تقيكم الحر... تقيكم بأسكم).

٤ .**قاعدة الارتباط بين النعمة والتكليف** :كثرة النعم تستوجب كمال الاستسلام للمنعم. (الدليل: يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد المعرفي** :(التأسيس للمنهج التجريبي؛ فالإنسان يولد "صفحة بيضاء" ويتعلم عبر الحواس والعقل. (أصله: لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار).

٢) .**البعد العمراني** :(تقدير مفهوم "السكن"كحاجة إنسانية جوهرية، وتنوع الأنماط المعمارية لتناسب ظروف الترحال والاستقرار. (أصله :جعل لكم من بيوتكم سكناً.(

٣) .**البعد الصناعي** :(لفت الانتباه إلى استغلال الموارد الحيوانية والنباتية في إنتاج "الأثاث" و"الملابس" و"أدوات الحرب"، وهو أساس الاقتصاد الصناعي. (أصله: أثاثاً ومتاعاً إلى حين).

٤) .**البعد الأمني** :(بيان أن الحضارة تتطلب وسائل "وقاية" (سرابيل) سواء من الظروف الطبيعية أو الأخطار البشرية. (أصله: تقيكم الحر... تقيكم بأسكم).

بلاغ الرسالة وجحود النعم ﴿٨٢ – ٨٣﴾

النص القرآني

{فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾} [سورة النحل: ٨٢ – ٨٣].

مرحلة التيسير

فإن تولوا [أعرضوا عن الإيمان] فإنما عليك [يا محمد] البلاغ المبين [الواضح]؛ يعرفون نعمت الله [بقلوبهم وبما يشاهدون] ثم ينكرونها [بألسنتهم وأفعالهم] وأكثرهم الكافرون [الجاحدون].

مرحلة النشر

فإن أعرض هؤلاء عن دعوتك ورفضوا الاستجابة، فلا ضيق عليك ولا لوم، إذ إن مهمتك تنحصر في إيصال الرسالة بوضوح تام. إن هؤلاء المشركين يدركون في قرارة أنفسهم أن النعم التي يتقلبون فيها هي من فضل الله وحده، لكنهم مع ذلك يجحدونها بألسنتهم وينسبونها لغيره، والغالبية العظمى منهم غارقون في الكفر والجحود.

مرحلة المعاني

١ .حرية الاختيار البشري في قبول الدعوة أو الإعراض عنها. (أصله: فإن تولوا).

٢ .تحديد الوظيفة النبوية في الإبلاغ لا في الإكراه. (أصله: فإنما عليك البلاغ).

٣ .صفة "المبين" تعني أن الرسالة وصلت بوضوح لا لبس فيه. (أصله: البلاغ المبين).

٤ .المعرفة العقلية بالحق قد تسبق الإيمان القلبي. (أصله: يعرفون نعمت الله).

٥ .الإنكار قد يكون سلوكياً لسانياً مع وجود معرفة باطنية. (أصله: ثم ينكرونها).

٦ .التناقض بين المعرفة والجحود هو قمة الضلال الإنساني. (أصله: يعرفون... ثم ينكرونها).

٧ .الكثرة العددية في هذا السياق ملاحقة بصفة الكفر. (أصله: وأكثرهم الكافرون).

٨ .النعمة الإلهية ظاهرة لدرجة أنها لا تُجهل بل تُنكر عمداً. (أصله: يعرفون نعمت الله).

٩ .التولي عن الحق يرفع الحرج والمسؤولية عن الداعي بعد البلاغ. (أصله: فإن تولوا فإنما عليك).

١٠" .البلاغ المبين" هو الحجة التي تُقطع بها أعذار الخلق. (أصله: البلاغ المبين).

١١ .استمرارية النعم رغم جحود المنكرين مظهر للحلم الإلهي. (أصله: يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها).

١٢ .ذم تقليد الكثرة إذا كانت على غير هدى. (أصله: وأكثرهم الكافرون).

١٣ .الإنكار هو المرحلة التالية للمواجهة مع الحقيقة. (أصله: ثم ينكرونها).

١٤ .الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فيه تسلية له عند إعراض قومه. (أصله: فإنما عليك

البلاغ).

١٥ .الإقرار بالنعمة أول خطوة نحو التوحيد، وصرفها لغير الله هو الإنكار. (أصله: يعرفون... ثم ينكرونها).

١٦ .الحقيقة الدينية واضحة والغموض يأتي من "التولي" النفسي. (أصله: البلاغ المبين).

١٧ .الربط بين صفة الكفر وبين فعل الإنكار بعد المعرفة. (أصله: ينكرونها وأكثرهم الكافرون).

١٨ .الإعراض (التولي) لا يغير من حقيقة كون البلاغ قد تم. (أصله: فإن تولوا فإنما عليك البلاغ).

١٩ .النعمة هنا تشمل النعم المادية والوحي المرسل. (أصله: يعرفون نعمت الله).

٢٠ .الإنسان محاسب على ما عرفه وأنكره، لا على ما جهله. (أصله: يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها).

٢١ .البلاغ لا يكون كاملاً إلا إذا كان "مبيناً" أي شارحاً لكل التفاصيل. (أصله: البلاغ المبين).

٢٢ .جحود الأكثرية لا يقلل من قيمة الحق المعروض. (أصله: وأكثرهم الكافرون).

٢٣ .النفس البشرية قد تمارس "التزييف" بإنكار ما تيقنته. (أصله: يعرفون... ثم ينكرونها).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب إبلاغ الحق بوضوح لكل الناس دون تقصير. (دليله: فإنما عليك البلاغ المبين).

٢ .براءة ذمة الداعي من النتائج إذا أدى أمانة البلاغ. (دليله: فإن تولوا فإنما عليك البلاغ).

٣ .تحريم جحود نعم الله أو نسبتها للمخلوقين. (دليله: يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها).

٤ .وجوب مطابقة القول والسلوك لما استقر في المعرفة والعقل. (دليله: يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة حصر المسؤولية** :المكلف مُطالب بالجهد (البلاغ) لا بالنتيجة (الهداية). (الدليل: فإنما عليك البلاغ المبين).

٢ .**قاعدة الحجة بالمعرفة** :العلم بالحق يستوجب العمل به، والحياد عنه إنكار. (الدليل: يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها).

٣ .**قاعدة ذم الكثرة الجاحدة** :العبرة بالحق لا بعدد المعتنقين له. (الدليل: وأكثرهم الكافرون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد التواصلي** :(ضرورة "الإبانة" ووضوح الخطاب في أي رسالة إنسانية أو حضارية لضمان وصول المفهوم. (أصله: البلاغ المبين).

٢) .**البعد الأخلاقي** :(ترسيخ قيمة "الاعتراف بالفضل"، واعتبار نكران الجميل نقصاً إنسانياً وخللاً في الشخصية الحضارية. (أصله: يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها).

٣) .**البعد النفسي** :(تحليل ظاهرة "الصراع بين المعرفة والإرادة"؛ حيث يعرف الإنسان الصواب ويفعل ضده. (أصله: يعرفون... ثم ينكرونها).

٤) .**البعد التربوي** :(تخفيف الضغط النفسي عن المصلحين؛ فعدم استجابة الناس ليس دليلاً على فشل المنهج ما دام البلاغ قد تم بوضوح. (أصله: فإن تولوا فإنما عليك البلاغ).

شهادة الرسل وحسرة الظالمين يوم الجزاء ﴿٨٤ – ٨٨﴾

النص القرآني

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾} [سورة النحل: ٨٤ – ٨٨].

مرحلة التيسير

ويوم نبعث من كل أمة شهيداً [وهو رسولهم] ثم لا يؤذن للذين كفروا [في الاعتذار] ولا هم يستعتبون [يُطلب منهم إرضاء ربهم بالتوبة لأن الوقت فات]. وإذا رأى الذين ظلموا [أنفسهم بالشرك] العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون [يُمهلون]. وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم [أصنامهم وأندادهم] قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك؛ فألقوا [الشركاء] إليهم القول إنكم لكاذبون [في ادعائكم ألوهيتنا]. وألقوا [المشركون] إلى الله يومئذٍ السلم [الاستسلام] وضل [غاب] عنهم ما كانوا يفترون [يكذبون]. الذين كفروا وصدوا [منعوا غيرهم] عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون [بإضلالهم].

مرحلة النثر

واذكر يوم يبعث الله من كل أمة رسولها ليشهد عليها بما أجابت، وعندئذٍ لا يُسمح للذين كفروا بتقديم الأعذار، ولا يُتاح لهم طلب العفو أو الرجوع إلى طاعة الله. وحين يواجه الظالمون العذاب عياناً، فإنه لن ينقص عنهم لحظة، ولن يؤخر عنهم زمن العقوبة. وعندما يشاهد المشركون تلك الأنداد التي عبدوها، سيحاولون إلقاء اللائمة عليها قائلين: يا ربنا هؤلاء هم الذين عبدناهم من دونك؛ لكن المعبودات ستواجههم بالرد القاطع: إنكم لكاذبون في نسب الألوهية إلينا. وحينها سيظهر الجميع الخضوع التام لله، وتتلاشى عنهم كل الأوهام والأكاذيب التي اختلقوها في الدنيا. أما الذين كفروا في أنفسهم ومنعوا غيرهم عن طريق الحق، فسيضاعف الله لهم العقاب عذاباً مضافاً إلى عذاب كفرهم، جزاءً لما مارسوه من إفساد في الأرض.

مرحلة المعاني

١ .الرسل هم شهود الحق على أممهم يوم القيامة. (أصله: نبعث من كل أمة شهيداً).

٢ .العدل الإلهي يقتضي وجود شهادة مباشرة قبل الحساب. (أصله: شهيداً).

٣ .إغلاق باب الأعذار الواهية بعد قيام الحجة. (أصله: لا يؤذن للذين كفروا).

٤ .فوات زمن التوبة والاستعتاب عند وقوع الجزاء. (أصله: ولا هم يستعتبون).

٥ .العذاب الواقع بالظالمين يتصف بالديمومة وعدم التخفيف. (أصله: فلا يخفف عنهم).

٦ .حتمية وقوع العقوبة فور رؤيتها دون تأجيل. (أصله: ولا هم ينظرون).

٧ .مواجهة المشركين لمعبوداتهم في مشهد توبيخي. (أصله: رأى الذين أشركوا شركاءهم).

٨ .محاولة المشركين التنصل من المسؤولية بنسبتها للشركاء. (أصله: هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو).

٩ .نطق المعبودات بالبراءة من العابدين وتكذيبهم. (أصله: فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون).

١٠ .خيبة أمل المشركين فيمن ظنوا فيهم الشفاعة. (أصله: إنكم لكاذبون).

١١ .الاستسلام القهري لله يوم القيامة لا ينفع صاحبه. (أصله: وألقوا إلى الله يومئذ السلم).

١٢ .غياب وتبخر الأكاذيب والافتراءات عند مواجهة اليقين. (أصله: وضل عنهم ما كانوا يفترون).

١٣ .التلازم بين الكفر والصد عن سبيل الله (إضلال الآخرين). (أصله: كفروا وصدوا عن سبيل الله).

١٤ .مضاعفة العذاب لمن جمع بين الضلال في نفسه وإضلال غيره. (أصله: زدناهم عذاباً فوق العذاب).

١٥ .الإفساد في الأرض هو العلة المباشرة لزيادة التنكيل. (أصله: بما كانوا يفسدون).

١٦ .القيامة هي يوم الحقائق الكبرى التي تسقط فيها الدعاوى. (أصله: لآية نبعث من كل أمة شهيداً).

١٧ .الظلم هو السبب الرئيس لعدم تخفيف العقاب. (أصله: رأى الذين ظلموا العذاب).

١٨ .الدعاء لغير الله (العبادة) هو جوهر الشرك الذي يُفضح يومئذ. (أصله: الذين كنا ندعو من دونك).

١٩" .السلم" في الآخرة هو انقياد الذل لا انقياد الاختيار. (أصله: وألقوا إلى الله يومئذ السلم).

٢٠ .ضلال الافتراء يعني ضياع أثره المرجو (الشفاعة). (أصله: وضل عنهم ما كانوا يفترون).

٢١" .فوق العذاب" تشير إلى نوعية وكمية العقاب المضاف. (أصله: عذاباً فوق العذاب).

٢٢ .الإضلال الفكري والعملي يعتبر من أشد أنواع الإفساد. (أصله: بما كانوا يفسدون).
٢٣ .شمولية البعث والشهادة لكافة الأمم التاريخية بلا استثناء. (أصله: من كل أمة شهيداً).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب الإيمان ببعث الرسل شهداء على أعمال العباد. (دليله: نبعث من كل أمة شهيداً).
٢ .تحريم الصد عن سبيل الله أو منع الناس من الهداية. (دليله: وصدوا عن سبيل الله).
٣ .إثبات أن التوبة لا تُقبل في الآخرة ولا عند معاينة العذاب. (دليله: ولا هم يستعتبون).
٤ .وجوب الحذر من الشرك ومن دعاء غير الله نجاةً من الفضيحة الكبرى. (دليله: الذين كنا ندعو من دونك).
٥ .إقرار مبدأ تفاوت العقوبات بتفاوت حجم الجرائم (مبدأ الزيادة). (دليله: زدناهم عذاباً فوق العذاب).
٦ .تحريم الافتراء والكذب في العقائد لضياع أثره وبقاء وزره. (دليله: وضل عنهم ما كانوا يفترون).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة الشهادة الميدانية** :لا حساب بلا بينة، والرسول هو الشاهد المعاصر لأمته. (الدليل: نبعث من كل أمة شهيداً).
٢ .**قاعدة انقطاع الرجعة** :الآخرة دار جزاء لا دار تكليف أو اعتذار. (الدليل: لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون).
٣ .**قاعدة التبرؤ يوم الحساب** :الروابط الباطلة في الدنيا تتحول لعداوة وتكذيب في الآخرة. (الدليل: فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون).
٤ .**قاعدة العقاب المركب** :من أفسد الوعي العام (الصد) استحق عقاباً مضاعفاً. (الدليل: زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد القضائي** :(ترسيخ مفهوم "الشهادة العدل"؛ حيث يواجه المتهم بشاهد من جنسه وبيئته لقطع أي حجة في إنكار الحقائق. (أصله: نبعث من كل أمة شهيداً).

٢) .**البعد النفسي** :(تصوير حالة "الإفلاس الأيديولوجي" عند مواجهة الواقع؛ حيث تنهار الأوهام التي عاشها الإنسان (الشركاء) ويواجه الحقيقة منفرداً. (أصله: وضل عنهم ما كانوا يفترون).

٣) .**البعد الاجتماعي** :(التحذير من دور "المضللين" (الذين يصدون عن سبيل الله) في هدم المجتمعات، وبيان أن جريمة "الإفساد الفكري" أشد خطراً من مجرد الكفر الفردي. (أصله: وصدوا عن سبيل الله).

٤) .**البعد الأخلاقي** :(إبراز قيمة "الصدق"؛ ففي يوم القيامة تسقط كل الأكاذيب وتظهر حقيقة الأفعال، مما يدعو الإنسان للتحقق من صدق منهجه في الدنيا. (أصله: إنكم لكاذبون.(

مرجعية القرآن وشمولية الهداية ﴿٨٩﴾

النص القرآني

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾} [سورة النحل: ٨٩].

مرحلة التيسير

ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم [رسولاً من جنسهم] وجئنا بك [يا محمد] شهيداً على هؤلاء [أمتك]؛ ونزلنا عليك الكتاب [القرآن] تبياناً [توضيحاً] لكل شيء [من أمور الدين] وهدى [من الضلالة] ورحمة [للمؤمنين] وبشرى [بالجنة] للمسلمين [المنقادين لله].

مرحلة النشر

واذكر ذلك اليوم العظيم الذي نقيم فيه من كل أمة شاهداً عليها من بني جنسها وهو رسولها، ولقد أحضرناك يا محمد لتكون شاهداً على قومك ومن بلغتهم دعوتك. ولقد أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم ليكون موضحاً وشاملاً لكل ما يحتاجه البشر في شؤون دينهم وهدايتهم، وليكون مرشداً للحق، ومفيضاً بالرحمة، ومبشراً بالفوز العظيم لكل من أسلم وجهه لله وانقاد لأمره.

مرحلة المعاني

١ .الشهادة يوم القيامة شهادة عادلة لكون الشاهد من جنس المشهود عليهم. (أصله: شهيداً عليهم من أنفسهم).

٢ .تأكيد عالمية ومركزية شهادة النبي محمد ﷺ على أمته. (أصله: وجئنا بك شهيداً على هؤلاء).

٣ .القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لتوضيح الحقائق الوجودية والشرعية. (أصله: تبياناً لكل شيء).

٤ .صفة "التبيان" تعني كفاية القرآن في إظهار الحق ومحق الباطل. (أصله: تبياناً).

٥" .لكل شيء" تشير إلى شمولية القرآن لأصول الأحكام والأخلاق والعلوم النافعة. (أصله: لكل شيء).

٦ .الهداية في القرآن هي بوصلة النجاة من التيه الفكري والسلوكي. (أصله: وهدى).

٧ .الرحمة المنزلة في الكتاب هي تخفيف عن المكلفين وتأمين لهم من العذاب. (أصله: ورحمة).

٨ .البشرى هي الوظيفة التحفيزية للنص القرآني تجاه الطائعين. (أصله: وبشرى).

٩ .الإسلام (الانقياد) هو الشرط الموضوعي للاستفادة من رحمة وبشرى الكتاب. (أصله: للمسلمين).

١٠ .تكرار مشهد الشهادة يؤكد خطورة المسؤولية الفردية والجمعية أمام الله. (أصله: ويوم نبعث).

١١ .الرسول هو المرجع الأول في تقييم استجابة الأمة للدعوة. (أصله: وجئنا بك شهيداً).

١٢ .القرآن ليس نصاً غامضاً بل هو "تبيان" أي مفسر لذاته وللحياة. (أصله: تبياناً).

١٣ .الرحمة القرآنية رحمة عامة لمن تمسك بالكتاب وخضع له. (أصله: ورحمة للمسلمين).

١٤ .اقتران الهداية بالبشرى يوازن بين الخوف والرجاء في النفس. (أصله: وهدى... وبشرى).

١٥" .من أنفسهم" ترفع حجة الغربة أو عدم فهم لغة الرسالة. (أصله: من أنفسهم).

١٦ .الكتاب هو الميزان الذي تُقاس عليه أعمال الأمم التي شهد عليها الرسل. (أصله: ونزلنا عليك الكتاب).

١٧ .القرآن يقدم إجابات شافية لكل التساؤلات الكبرى (المبدأ والمصير). (أصله: لكل شيء).

١٨ .صفة الإسلام تتطلب خضوعاً ظاهرياً وباطنياً لنيل البشرى. (أصله: وبشرى للمسلمين).

١٩ .شهادة النبي ﷺ تشمل المعاصرين له ومن جاء بعده ممن آمن به. (أصله: على هؤلاء).

٢٠ .التنزيل هو فعل إلهي مستمر الأثر عبر "الذكر" المحفوظ. (أصله: ونزلنا عليك الكتاب).

٢١ .القرآن قوة تغييرية تنقل الإنسان من الجهل (لا تعلمون) إلى البيان. (أصله: تبياناً).

٢٢ .الربط بين الشهادة (المحاكمة) وبين الدستور (الكتاب) يحقق العدالة المطلقة. (أصله: شهيداً... ونزلنا عليك الكتاب).

٢٣ .شمولية "الشيء" في التبيان تتضمن التشريعات والقصص والعبر والغيبيات. (أصله: تبياناً لكل شيء).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب الإيمان بمرجعية القرآن الكريم في كل شؤون الحياة والدين. (دليله: تبياناً لكل شيء).

٢ .وجوب اتباع النبي ﷺ لكونه الشاهد المقبول عند الله يوم القيامة. (دليله: وجئنا بك شهيداً على هؤلاء).

٣ .وجوب طلب الهداية والرحمة من خلال تدبر نصوص الكتاب. (دليله: وهدى ورحمة).

٤ .مشروعية التبشير بالجنة للمسلمين الملتزمين بنهج الكتاب. (دليله: وبشرى للمسلمين).

٥ .إثبات أن الحجة قد قامت ببعث الرسل من جنس البشر. (دليله: شهيداً عليهم من أنفسهم).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة الشمولية النصية** :القرآن يحتوي على أصول تبيان كل ما يحتاجه المكلف. (الدليل: تبياناً لكل شيء).

٢ .**قاعدة التجانس في الشهادة** :الحجة تُقطع بكون الشاهد من جنس المشهود عليه. (الدليل: من أنفسهم).

٣ .**قاعدة النفع المشروط** :لا تنال بشرى الكتاب ورحمته إلا بصفة الإسلام (الانقياد). (الدليل: وبشرى للمسلمين).

٤ .**قاعدة المحورية النبوية** :النبي ﷺ هو المرجع النهائي لتقويم حال أمته يوم العرض. (الدليل: وجئنا بك شهيداً على هؤلاء).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد الحقوقي** :(تأسيس مبدأ "المواجهة بالشهود" في القضاء، وضمان أن يكون الشاهد ملماً بظروف وبيئة المتهم. (أصله: من أنفسهم).

٢) .**البعد المعرفي** :(طرح القرآن كـ "منهج حياة" شامل (تبياناً لكل شيء) يغني عن التخبط في الفلسفات المتناقضة. (أصله: تبياناً لكل شيء).

٣) .**البعد السيكولوجي** :(تقديم القرآن كعامل استقرار نفسي (رحمة وبشرى)، مما يحفز الإنسان على العمل الإيجابي طمعاً في النتائج الموعودة. (أصله: وبشرى للمسلمين).

٤) .**البعد العالمي** :(التأكيد على أن الرسالة المحمدية والقرآن هما الميزان الحضاري الذي تُوزن به أعمال البشرية قاطبة. (أصله: وجئنا بك شهيداً على هؤلاء).

موازين العدل والوفاء بالعهود ﴿٩٠ – ٩٣﴾

النص القرآني

{﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾} [سورة النحل: ٩٠ – ٩٣].

مرحلة التيسير

إن الله يأمر بالعدل [الإنصاف] والإحسان [الإتقان والفضل] وإيتاء ذي القربى [صلة الرحم] وينهى عن الفحشاء [قبيح القول والفعل] والمنكر [ما أنكره الشرع] والبغي [الظلم والاستعلاء]؛ يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان [الحلف] بعد توكيدها [تغليظها] وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً [رقيباً وضامناً]؛ إن الله يعلم ما تفعلون. ولا تكونوا كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة [إبرام] أنكاثاً [قطعاً ممزقة] تتخذون أيمانكم دخلاً [خدعة ومكراً] بينكم أن تكون أمة هي أربى [أكثر عدداً ومالاً] من أمة؛ إنما يبلوكم [يختبركم] الله به؛ وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون. ولو شاء الله لجعلكم جماعة واحدة [على الإيمان] ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ ولتسألن عما كنتم تعملون.

مرحلة النشر

إن الله يفرض عليكم التزام العدل في كل شأن، والارتقاء إلى مرتبة الإحسان، ومواساة الأقربين بالمال والصلة. وفي المقابل، يحذركم ويزجركم عن الوقوع في كبائر الذنوب، وكل ما تستقبحه

الفطرة السليمة، وعن التعدي على حقوق الآخرين؛ وهو بهذا يرشدكم لكي تعتبروا. وعليكم أن تلتزموا بكل عهد عاهدتم الله عليه، وإياكم ونقض الوعود والأيمان بعد تأكيدها بذكر اسم الله، فقد جعلتموه سبحانه شاهداً وضامناً على صدقكم، وهو محيط بكل أفعالكم. ولا تجعلوا بناءكم الأخلاقي ينهار فتبطلوا عهودكم فتكونوا كحمقاء غزلت صوفها بقوة ثم قامت بتمزيقه ونقضه؛ ولا تجعلوا أيمانكم وسيلة للمكر والخديعة من أجل مصالح مادية أو لأن جماعة أقوى من جماعة؛ فهذا محض اختبار إلهي لصدقكم، وسيفصل الله بينكم يوم القيامة فيما تنازعتم فيه. ولو أراد الله لجمع البشر كلهم على دين واحد قسراً، لكنه منحكم الاختيار، فمنهم من يضل ومنهم من يهتدي، والجميع سيقف للسؤال عن تفاصيل أعماله.

مرحلة المعاني

١ .العدل هو القيمة المركزية التي يقوم عليها انتظام الوجود الإنساني. (أصله: إن الله يأمر بالعدل).

٢ .الإحسان مرتبة أخلاقية تتجاوز العدل إلى الفضل والتسامح. (أصله: والإحسان).

٣ .التكافل الاجتماعي يبدأ من الدائرة الأقرب (الأقربين). (أصله: وإيتاء ذي القربى).

٤ .الفحشاء تمثل الانحلال الأخلاقي الفردي والجماعي. (أصله: وينهى عن الفحشاء).

٥ .المنكر هو كل فعل يخالف مقتضى الشرع والعقل الجمعي السليم. (أصله: والمنكر).

٦ .البغي هو ممارسة القوة لتجاوز حدود الحق والعدل. (أصله: والبغي).

٧ .الوعظ الإلهي يهدف إلى استثارة الذاكرة الفطرية للإنسان. (أصله: يعظكم لعلكم تذكرون).

٨ .العهد مع الله هو ميثاق غليظ يستوجب الوفاء المطلق. (أصله: وأوفوا بعهد الله).

٩ .نقض الأيمان بعد توكيدها هو استهانة بالمقدس وهدم للمصداقية. (أصله: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها).

١٠ .استحضار "الكفالة الإلهية" هو الضمانة الأخلاقية للالتزام بالعقود. (أصله: وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً).

١١ .الرقابة الإلهية محيطة بالبواعث والنتائج. (أصله: إن الله يعلم ما تفعلون).

١٢ .تشبيه ناقض العهد بالتي تنقض غزلها يبرز عبثية وضياع الجهد. (أصله: كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً).

١٣ .الوفاء بالعهد هو "بناء" متراكم، والنقض هو "هدم" لهذا البناء. (أصله: من بعد قوة أنكاثاً).

١٤ .استغلال الأيمان والمواثيق كوسيلة للمراوغة السياسية أو الاقتصادية (الدخل). (أصله: تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم).

١٥ .الانحياز للأمم الأقوى أو الأكثر مالاً ليس مبرراً لنقض العهود مع الضعفاء. (أصله: أن تكون أمة هي أربى من أمة).

١٦ .العهود والمواثيق هي ميدان الاختبار الإلهي لثبات المبادئ. (أصله: إنما يبلوكم الله به).

١٧ .القيامة هي موعد الحسم المعرفي والجزائي في قضايا الاختلاف البشري. (أصله: وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون).

١٨ .وحدة الإيمان القسرية لم تكن مرادة إلهياً لإعطاء قيمة للاختيار البشري. (أصله: ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة).

١٩ .الضلال والهداية مسببان بمقدمات يختارها العبد وتنفذها المشيئة. (أصله: يضل من يشاء ويهدي من يشاء).

٢٠ .المسؤولية الفردية مطلقة أمام محكمة العدل الإلهية. (أصله: ولتسألن عما كنتم تعملون).

٢١ .التحذير من تحويل الدين أو الأيمان لستار لتحقيق مكاسب غير مشروعة. (أصله: تتخذون أيمانكم دخلاً).

٢٢ .استقرار المجتمعات مرهون بالثقة المتبادلة الناتجة عن الوفاء بالعهود. (أصله: وأوفوا بعهد الله).

32" .الأرْبى" (الأكثر نفعاً أو عدداً) فتنة تختبر مدى تمسك الأقلية بالحق. (أصله: أن تكون أمة هي أربى من أمة).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب التزام العدل في الأقوال والأفعال والأحكام. (دليله: إن الله يأمر بالعدل).

٢ .وجوب الإحسان في العبادة ومعاملة الخلق. (دليله: والإحسان).

٣ .وجوب صلة الأرحام ومعونتهم مادياً ومعنوياً. (دليله: وإيتاء ذي القربى).

٤ .تحريم الفواحش والمنكرات والبغي والعدوان. (دليله: وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي).

٥ .وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق (سواء مع الخالق أو الخلق). (دليله: وأوفوا بعهد الله).

٦ .تحريم نقض الأيمان المغلظة ووجوب الكفارة عند الضرورة (لكن الأصل الوفاء). (دليله: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها).

٧ .تحريم الغدر والمكر واستخدام الأيمان للخداع والمصالح المادية. (دليله: تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة الشمول الأخلاقي** :الدين يأمر بكل خير (عدل، إحسان) وينهى عن كل شر (فحشاء، منكر، بغي). (الدليل: آية ٩٠).

٢ .**قاعدة قدسية الالتزام** :العهود المؤكدة بذكر الله لا تقبل النقض لمصلحة دنيوية عارضة. (الدليل: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها).

٣ .**قاعدة الثبات المبدئي** :لا يُبرر التفاوت في القوة (أمة أربى من أمة) التخلي عن المواثيق الأخلاقية. (الدليل: آية ٩٢).

٤ .**قاعدة المسؤولية الشخصية** :كل فعل إنساني مُسجل ومُساءل عنه يوم القيامة. (الدليل: ولتسألن عما كنتم تعملون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد الحقوقي العالمي** :(إرساء دعائم "العدل" و "الإحسان" كدستور عالمي يصلح لكل زمان ومكان ولجميع البشر. (أصله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان).

٢) .**البعد الدبلوماسي** :(وضع أخلاقيات صارمة للمعاهدات الدولية؛ حيث يرفض القرآن نقض العهود من أجل التحالف مع الأقوى (الأمة الأربى)، مما يؤسس لمصداقية حضارية. (أصله: أن تكون أمة هي أربى من أمة).

٣) .**البعد النفسي السلوكي** :(التنفير من التراجع عن المبادئ (نقض الغزل) وتصويره كحالة من الحمق تضيع المنجزات السابقة. (أصله: كالتي نقضت غزلها من بعد قوة).

٤) .**البعد الاجتماعي** :(تعزيز التكافل الأسري كخط دفاع أول ضد الانهيار الاجتماعي عبر إلزامية "إيتاء ذي القربى". (أصله: وإيتاء ذي القربى).

ثبات العقيدة وجزاء الحياة الطيبة ﴿٩٤ – ٩٧﴾

النص القرآني

{وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾} [سورة النحل: ٩٤ – ٩٧].

مرحلة التيسير

ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً [مكراً وخديعة] بينكم فتزل قدم [تنحرف عن الإسلام] بعد ثبوتها وتذوقوا السوء [العذاب الدنيوي] بما صددتم [منعتم أنفسكم وغيركم] عن سبيل الله؛ ولكم عذاب عظيم [في الآخرة]. ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً [من حطام الدنيا]؛ إنما عند الله [من الثواب] هو خير لكم إن كنتم تعلمون [يقين الحق]. ما عندكم [من الدنيا] ينفد [يغنى] وما عند الله باق [دائم]؛ ولنجزين الذين صبروا [على الطاعة وعن المعصية] أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون. من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة [سعيدة وقانعة] ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.

مرحلة النشر

إياكم أن تجعلوا مواثيقكم وسيلة للمكر والخداع، فإن ذلك يؤدي إلى ضياع الاستقامة والارتداد عن الحق بعد التمكن منه، وحينها ستنالون وبال فعلكم في الدنيا بمرارة الخذلان والضيق لصرفكم الناس عن دين الله، ولكم في الآخرة عقاب مهول. ولا تستبدلوا بالوفاء بعهد الله عرضاً زائلاً من متاع الدنيا مهما بدا كبيراً؛ فما أعده الله من الثواب والأمن خير وأبقى لو كنتم تدركون حقائق الأمور. إن كل ما تملكونه وتتمسكون به من أموال وجاه سيفنى وينتهي يوماً ما، أما فضل الله وما ادخرتموه عنده فهو دائم لا يزول؛ وسوف يمنح الله الصابرين على هذه العهود أعظم الجزاء على أجمل أعمالهم. إن كل من يبادر إلى العمل النافع، رجلاً كان أو امرأة، شريطة اقتران عمله بالإيمان اليقيني، فإن الله يتكفل له بعيش هانئ مطمئن في الدنيا، وسيكافئه في الآخرة بأفضل ما كان يصنع.

مرحلة المعاني

١ .التحذير من تحويل الأيمان (المواثيق) إلى أداة تضليل ومراوغة. (أصله: ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم).

٢ .خطورة الارتداد الفكري أو السلوكي بعد استقرار الإيمان (زلة القدم). (أصله: فتزل قدم بعد ثبوتها).

٣ .سوء العاقبة الدنيوية هو نتيجة مباشرة لصد النفس والغير عن الحق. (أصله: وتذوقوا السوء بما صددتم).

٤" .عذاب عظيم" هو الجزاء الأخروي المقابل للصد المتعمد عن سبيل الله. (أصله: ولكم عذاب عظيم).

٥ .الدنيا بكل ما فيها "ثمن قليل" إذا قورنت بعهد الله ورضوانه. (أصله: ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً).

٦ .التفاضل المعرفي بين الحطام الفاني والثواب الباقي. (أصله: إنما عند الله هو خير لكم).

٧" .النفاد" هو الصفة الجوهرية للممتلكات الدنيوية. (أصله: ما عندكم ينفد).

٨" .البقاء" هو الصفة الحصرية لعطايا الله وثواب العمل. (أصله: وما عند الله باق).

٩ .الصبر هو القوة الدافعة للوفاء بالعهود واستحقاق الأجر. (أصله: ولنجزين الذين صبروا).

١٠ .الكرم الإلهي يقتضي المحاسبة على "أحسن" الأعمال وتعميم أجرها. (أصله: بأحسن ما كانوا يعملون).

١١ .المساواة التامة بين الرجل والمرأة في استحقاق الجزاء والارتقاء الروحي. (أصله: من ذكر أو أنثى).

١٢ .الإيمان هو الشرط الجوهري والروح المحركة لصلاح العمل. (أصله: وهو مؤمن).

١٣" .الحياة الطيبة" هي الوعد الإلهي المباشر للمؤمن العامل في الدنيا. (أصله: فلنحيينه حياة طيبة).

١٤ .القناعة والرزق الحلال والسكينة النفسية هي من تجليات الحياة الطيبة. (أصله: حياة طيبة).

١٥ .تكرار وعد الجزاء بـ "أحسن الأعمال" تأكيداً ليقين الوقوع. (أصله: ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون).

١٦ .الغدر والمكر بالمواثيق ينفر الناس من الدين (الصد عن سبيل الله). (أصله: بما صددتم عن سبيل الله).

١٧ .العلم الحقيقي هو الذي يوجه الإنسان لاختيار الباقي على الفاني. (أصله: إن كنتم تعلمون).

١٨ .العمل الصالح لا بد أن يكون متابعاً للكتاب والسنة ليكون "صالحاً". (أصله: من عمل صالحاً).

١٩ .السعادة الحقيقية (الحياة الطيبة) لا تُنال بالجاه أو المال بل بالإيمان والعمل. (أصله: فلنحيينه حياة طيبة).

٢٠ .الاستدلال بفناء الدنيا على ضرورة الاستعداد لما بعدها. (أصله: ما عندكم ينفد).

٢١ .الذكر والأنثى يمثلان كليّة الجنس البشري المكلف. (أصله: من ذكر أو أنثى).

٢٢ .الجزاء الإلهي في الآخرة مبني على تفضل الله بمضاعفة الثواب. (أصله: ولنجزينهم أجرهم).

٢٣ .الحياة الطيبة هي رد فعل إلهي مباشر على استقامة العبد. (أصله: فلنحيينه)

مرحلة الأحكام

١ .تحريم الغدر ونقض الأيمان بقصد الخداع. (دليله: ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم).

٢ .وجوب الوفاء بالعهود الإلهية وتقديمها على المصالح المادية. (دليله: ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً).

٣ .وجوب الصبر على الالتزامات الدينية والأخلاقية. (دليله: ولنجزين الذين صبروا).

٤ .فرضية اقتران العمل بالإيمان ليكون مقبولاً ومنتجاً للأثر. (دليله: وهو مؤمن).

٥ .إقرار مبدأ المساواة في الثواب الأخروي والحياة الطيبة بين الجنسين. (دليله: من ذكر أو أنثى).

٦ .تحريم الصد عن سبيل الله بالقول أو الفعل المنفر. (دليله: وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة البقاء والفناء** :ما صلة بالله يبقى، وما كان لغيره يفنى. (الدليل: ما عندكم ينفد وما عند الله باق).

٢ .**قاعدة الحياة الطيبة** :الإيمان + العمل الصالح = سعادة الدنيا وطمأنينتها. (الدليل: آية ٩٧).

٣ .**قاعدة زلة القدم** :نقض العهد بعد توكيده يؤدي لزعزعة الثبات النفسي والعقدي. (الدليل: فتزل قدم بعد ثبوتها).

٤ .**قاعدة الجزاء بالأحسن** :الله يعامل المؤمنين بفضل "أحسن" أعمالهم لا بمجرد الميزان الحسابي. (الدليل: ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد الوجودي** :(تقديم تعريف متكامل لـ "السعادة" (الحياة الطيبة) بأنها ليست في تكديس المادة (التي تنفد) بل في التوافق بين الروح والعمل. (أصله: فلنحيينه حياة طيبة).

٢) .**البعد الحقوقي** :(التأسيس القرآني للمساواة الكاملة في "الإنسانية والمسؤولية" بين الرجل والمرأة قبل أن تقرها المواثيق الوضعية بقرون. (أصله: من ذكر أو أنثى).

٣) .**البعد الأخلاقي** :(التشديد على "المصداقية" في العهود كشرط أساسي للاستقرار الحضاري، والتحذير من أن المكر يهدم الثقة الاجتماعية. (أصله: ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً).

٤) .**البعد القيمي** :(ترسيخ مفهوم "الصبر الاستراتيجي" على المبادئ مقابل الإغراءات "القليلة" الزائلة، لبناء مجتمع صلب لا يُباع ولا يُشترى. (أصله: ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً) .

آداب التلقي وحصانة المؤمن من الشيطان ﴿٩٨ – ١٠٠﴾

النص القرآني

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾} [سورة النحل: ٩٨ – ١٠٠].

مرحلة التيسير

فإذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله [قل: أعوذ بالله] من الشيطان الرجيم [المطرود من الرحمة]. إنه ليس له سلطان [قوة وقهر] على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون [يعتمدون]. إنما سلطانه [تأثيره] على الذين يتولونه [يتبعونه ويطيعونه] والذين هم به [بسبب إغوائه] مشركون.

مرحلة النشر

حين تعزم على تلاوة القرآن الكريم، فابدأ بطلب الحماية والالتجاء إلى الله من وسوسة الشيطان المطرود من رحمة الله. فالحقيقة أن هذا الشيطان لا يملك أي قوة قهرية أو قدرة على السيطرة على قلوب الذين صدق إيمانهم وكان اعتمادهم الكلي على ربهم وحده. بل إن نفوذه وتأثيره

ينحصران فقط في أولئك الذين اتخذوه قائداً لهم وأطاعوه، والذين وقعوا في الشرك بسببه وبسبل غوايته.

مرحلة المعاني

١ .الاستعاذة هي المفتاح الروحي قبل الدخول في رحاب النص القرآني. (أصله: فإذا قرأت القرآن فاستعذ).

٢ .الشيطان هو العائق الأول الذي يحاول حجب الإنسان عن فهم القرآن. (أصله: من الشيطان الرجيم).

٣ .صفة "الرجيم" توحي بالدناءة والبعد عن منابع الطهر والوحي. (أصله: الرجيم).

٤ .نفي القدرة القهرية للشيطان على الإنسان المؤمن. (أصله: ليس له سلطان).

٥ .الإيمان الحقيقي هو الدرع الواقي من اختراقات الشيطان الفكرية. (أصله: على الذين آمنوا).

٦ .التوكل هو القوة العملية التي تبطل مفعول الوسوسة. (أصله: وعلى ربهم يتوكلون).

٧ .تسليط الشيطان على الإنسان ليس جبرياً بل هو اختيار بشري. (أصله: إنما سلطانه على الذين يتولونه).

٨" .التولي" للشيطان يعني الرضا بمنهجه واتباع خطواته. (أصله: يتولونه).

٩ .الشرك هو النتيجة النهائية لتمكين الشيطان من النفس. (أصله: والذين هم به مشركون).

١٠ .الاستعاذة اعتراف بفقر العبد وقوة الخالق في الحماية. (أصله: فاستعذ بالله).

١١ .القرآن يحتاج إلى تخلية القلب من الشواغل (الشيطان) قبل تحليته بالآيات. (أصله: فإذا قرأت القرآن فاستعذ).

١٢ .المؤمن الصادق في أمان إلهي من التضليل الشيطاني. (أصله: ليس له سلطان على الذين آمنوا).

١٣ .العلاقة طردية بين ضعف التوكل وقوة تسلط الشيطان. (أصله: وعلى ربهم يتوكلون).

١٤ .الشيطان يستهدف الإرادة الإنسانية ولا يملك التصرف في الأجساد قسراً. (أصله: ليس له سلطان).

١٥" .السلطان" الشيطاني هو مجرد إغواء يقابله قبول من العبد. (أصله: إنما سلطانه على الذين يتولونه).

١٦ .الولاية للشيطان تُسقط الحماية الربانية عن العبد. (أصله: يتولونه).

١٧ .الربط بين قراءة القرآن وبين الاستعاذة يشير إلى أهمية "حضور القلب". (أصله: فإذا قرأت القرآن).

١٨ .الإيمان والتوكل هما ركيزتا الحصانة النفسية والحضارية. (أصله: آمنوا... يتوكلون).

١٩ .الشيطان يهرب من العبد الذي يلوذ بربه. (أصله: فاستعذ بالله).

٢٠ .الضلال نتاج تعاون بين وسوسة الشيطان وقبول الإنسان (الموالاة). (أصله: سلطانه على الذين يتولونه).

٢١ .لا يملك الشيطان حجة عقلية يفرض بها سلطانه بل هو خداع. (أصله: ليس له سلطان).

٢٢ .الاستعاذة شرعت لتأمين المسلم من الغلط في فهم المراد الإلهي. (أصله: فإذا قرأت القرآن فاستعذ).

٢٣ .حصر ولاية الشيطان في دائرة الكفر والشرك والاتباع. (أصله: يتولونه والذين هم به مشركون).

مرحلة الأحكام

١ .استحباب الاستعاذة (أو وجوبها عند البدء) عند قراءة القرآن. (دليله: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله).

٢ .وجوب الإيمان بضعف كيد الشيطان أمام المتوكلين. (دليله: ليس له سلطان على الذين آمنوا).

٣ .وجوب التوكل على الله وحده كوسيلة للحفظ النفسي. (دليله: وعلى ربهم يتوكلون).

٤ .تحريم موالاة الشيطان أو اتباع أوامره التي تؤدي للشرك. (دليله: إنما سلطانه على الذين يتولونه).

٥ .إثبات أن الإنسان هو المسؤول عن تمكين الشيطان من نفسه. (دليله: الذين يتولونه).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة التحصين قبل التلقي** :تنقية النفس من الرجس الشيطاني شرط للانتفاع بالوحي. (الدليل: آية ٩٨).

٢ .**قاعدة حصر السلطان** :قوة الشيطان وهمية لا تنفذ إلا عبر ثغرات الإعراض عن الله. (الدليل: ليس له سلطان على الذين آمنوا).

٣ .**قاعدة التلازم بين الولاية والتسلط** :من رضي بالشيطان ولياً، مكنه من قيادة نفسه. (الدليل: إنما سلطانه على الذين يتولونه).

٤ .**قاعدة كفاية التوكل** :الاعتماد على الله يبطل مفعول أعتى المؤامرات الشيطانية. (الدليل: وعلى ربهم يتوكلون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد النفسي** :(علاج حالة "الوسواس والقلق" من خلال الاستعاذة والتوكل، مما يمنح الإنسان توازناً داخلياً وصلابة ضد المؤثرات السلبية. (أصله: وعلى ربهم يتوكلون).

٢) .**البعد المعرفي** :(التنبيه إلى ضرورة "تطهير العقل" من الأفكار المشوهة (الشيطانية) قبل الإقبال على دراسة الحقائق الكبرى. (أصله: فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم).

٣) .**البعد التحرري** :(التأكيد على "حرية الإرادة الإنسانية"؛ فليس للشيطان سيطرة جبرية، مما يعيد للإنسان مسؤوليته الكاملة عن خياراته. (أصله: ليس له سلطان).

٤) .**البعد السلوكي** :(بناء شخصية "مستقلة" لا تتبع الإغواءات الزائفة، بل تستند إلى مرجعية يقينية قوية. (أصله: الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون).

هيمنة القرآن وتصديقه للكتب السابقة ﴿١٠١ – ١٠٥﴾

النص القرآني

{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾} [سورة النحل: ١٠١ – ١٠٥].

مرحلة التيسير

وإذا بدلنا آية [قرآنية] مكان آية [من الكتب السابقة] والله أعلم بما ينزل [من أحكام تناسب الزمان] قالوا إنما أنت مفتر [تختلق ديناً جديداً]؛ بل أكثرهم لا يعلمون [وحدة الرسالة]. قل نزله روح القدس [جبريل] من ربك بالحق [الثابت] ليثبت الذين آمنوا [بتصديق ما سبق] وهدى وبشرى للمسلمين. ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر [رجل أعجمي كان النبي يجالسه]؛ لسان الذي يلحدون [يميلون بالتهمة] إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين [معجز]. إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله [لإعراضهم] ولهم عذاب أليم. إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون [الملازمون للكذب].

مرحلة النشر

حين نقضي بإنزال آية من القرآن لتكون مهيمنة وبديلة عما سبقها من آيات في الكتب القديمة، والله هو المحيط علماً بما يحتاجه الخلق في كل طور، يزعم الجاهلون أنك يا محمد تختلق هذا القول من تلقاء نفسك. والحقيقة أن سوادهم الأعظم يجهلون وحدة المصدر الإلهي وتطور الشرائع. فقل لهم: إن هذا الوحي جاء به جبريل من عند ربك بالصدق والعدل، ليزيد المؤمنين ثباتاً ببيان ما اختلف فيه السابقون، وليكون مرشداً وبشارة للمنقادين لله. ونحن نعلم ادعاءهم بأنك تتلقى هذا العلم من إنسان بشرى؛ فكيف يستقيم ادعاؤهم ولسان ذلك الرجل غير عربي، بينما هذا القرآن نزل بلسان عربي في غاية الوضوح والإعجاز؟ إن الذين صمموا على جحود دلائل الله لن

يوفقهم الله للهداية، وينتظرهم عذاب موجع. فالافتراء ليس من شأن الأنبياء، بل هو ديدن الجاحدين الذين لا يصدقون بوحي الله.

مرحلة المعاني

١ .التبديل الإلهي هو إحلال آية قرآنية مكان آية في الشرائع الغابرة. (أصله: وإذا بدلنا آية مكان آية).

٢ .علم الله هو الذي يقرر انتهاء صلاحية شريعة وبدء أخرى. (أصله: والله أعلم بما ينزل).

٣ .اتهام النبي بالافتراء ناتج عن استنكار التغيير في الموروث الديني السابق. (أصله: قالوا إنما أنت مفتر).

٤ .الجهل بوحدة المصدر الإلهي للكتب يؤدي لرفض الكتاب الخاتم. (أصله: بل أكثرهم لا يعلمون).

٥ .روح القدس (جبريل) هو الأمين على نقل كافة الكتب والآيات. (أصله: نزله روح القدس).

٦ .ربوبية الله تقتضي رعاية الخلق بإنزال ما يثبتهم في كل عصر. (أصله: من ربك).

٧ .الحق هو القاسم المشترك بين الآية المبدلة والآية المبدل بها. (أصله: بالحق).

٨ .القرآن جاء ليثبت المؤمنين على أصول التوحيد التي جاءت بها الرسل سابقاً. (أصله: ليثبت الذين آمنوا).

٩ .التبشير والهداية هما الغاية من تجديد الوحي بالقرآن. (أصله: وهدى وبشرى للمسلمين).

١٠ .المشركون يراقبون تحركات النبي ليختلقوا تهمة "التعليم البشري". (أصله: يقولون إنما يعلمه بشر).

١١" .الإلحاد" هنا هو الميل بالتهمة نحو جهة غير منطقية. (أصله: يلحدون إليه).

١٢ .اللغة الأعجمية لا يمكن أن تكون مصدراً لنص عربي معجز. (أصله: لسان الذي يلحدون إليه أعجمي).

١٣" .العربية المبينة" هي شهادة ميلاد القرآن الربانية. (أصله: وهذا لسان عربي مبين).

١٤ .الإيمان بآيات الله هو شرط نيل الهداية التوفيقية. (أصله: الذين لا يؤمنون... لا يهديهم

الله).

١٥ .العذاب الأليم ينتظر من يرفض "البيان" الواضح لآيات الله. (أصله: ولهم عذاب أليم).

١٦ .حصر الكذب في دائرة من لا يؤمن بالوحي. (أصله: إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون).

١٧ .النبي منزه عن الافتراء لعصمته وإيمانه بالآيات. (أصله: إنما يفتري... الذين لا يؤمنون).

١٨ .الإصرار على التكذيب يقلب هوية صاحبه إلى "كاذب" بالتعريف الإلهي. (أصله: وأولئك هم الكاذبون).

١٩ .الآية القرآنية الجديدة تصدق ما قبلها وتهيمن عليه. (أصله: بدلنا آية مكان آية).

٢٠ .التثبيت الإيماني يأتي من رؤية الاتساق بين كتب الله المتعاقبة. (أصله: ليثبت الذين آمنوا).

٢١ .العجز اللغوي للملحدين يثبت عظمة اللسان القرآني. (أصله: لسان عربي مبين).

٢٢ .الله يحرم المستكبرين من نور الهداية كعقوبة على الجحود. (أصله: لا يهديهم الله).

٢٣ .التشريع الإلهي متطور في "الآيات" وثابت في "الأصول". (أصله: والله أعلم بما ينزل).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب الإيمان بإنزال القرآن مهيمناً على ما سبقه من آيات الكتب السابقة. (دليله: بدلنا آية مكان آية).

٢ .تحريم نسبة القرآن لغير الله أو ادعاء تعلمه من بشر. (دليله: لسان الذي يلحدون إليه أعجمي).

٣ .وجوب التصديق بأن القرآن نزل بالحق لتثبيت الإيمان. (دليله: ليثبت الذين آمنوا).

٤ .بطلان دعاوى المشركين في اتهام النبي بالافتراء عقلاً ونقلاً. (دليله: بل أكثرهم لا يعلمون).

٥ .إثبات أن الجحود العمدي يمنع صاحبه من التوفيق للهداية. (دليله: لا يهديهم الله).

٦ .قصر صفة الافتراء على منكري الآيات وتنزيه المؤمنين عنها. (دليله: إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة الهيمنة الكتابية** :الكتاب اللاحق (القرآن) يحل مكان أحكام الكتاب السابق بما يوافق علم الله. (الدليل: آية ١٠١).

٢ .**قاعدة التناسب اللغوي** :لا يمكن لمصدر أعجمي أن ينتج بياناً عربياً معجزاً. (الدليل: أعجمي وهذا لسان عربي مبين).

٣ .**قاعدة المصدرية الواحدة** :روح القدس هو ناقل الحق من الرب في كل الآيات والكتب. (الدليل: آية ١٠٢).

٤ .**قاعدة الحرمان الجزائي** :من أغلق باب الإيمان، أغلق الله عليه باب الهداية. (الدليل: آية ١٠٤).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد التاريخي/الحضاري** :(بيان أن الوحي ليس منقطع الجذور، بل هو عملية "تبديل" وتطوير مستمرة للشرائع لتناسب ارتقاء الإنسان. (أصله: بدلنا آية مكان آية).

٢) .**البعد اللساني** :(التأكيد على أن "اللغة" هي هوية النص، وأن تفوق النص العربي المبين هو برهان استقلاله عن المؤثرات الخارجية. (أصله: وهذا لسان عربي مبين).

٣) .**البعد السيكولوجي** :(القرآن يعمل كأداة "تثبيت" نفسي للمؤمن، مما يمنحه توازناً أمام صدمات التغيير التشريعي أو شبهات المشككين. (أصله: ليثبت الذين آمنوا).

٤) .**البعد الأخلاقي** :(الدفاع عن "أمانة الكلمة" ونزاهة المصلحين، وربط الكذب بضعف الوازع الإيماني لا بذكاء المدعي. (أصله: إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون).

الإكراه والردة ومآلات جحود الحق ﴿١٠٦ – ١١١﴾

النص القرآني

{مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالصَّدْرِ كُفْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ

رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾} [سورة النحل: ١٠٦ – ١١١].

مرحلة التيسير

من كفر بالله من بعد إيمانه [ارتد]؛ إلا من أُكره [أُجبر] وقلبه مُطَمئن [ثابت] بالإيمان؛ ولكن من شرح بالصدر كفراً [طاب به نفساً] فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. ذلك [العقاب] بأنهم استحبوا [آثروا] الحياة الدنيا على الآخرة؛ وأن الله لا يهدي القوم الكافرين [المصرين]. أولئك الذين طبع [ختم] الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم [فلا يعون حقاً]؛ وأولئك هم الغافلون [عن المصير]. لا جرم [حقاً] أنهم في الآخرة هم الخاسرون. ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا [عُذبوا في دينهم] ثم جاهدوا وصبروا؛ إن ربك من بعدها [بعد المحنة] لغفور رحيم. [اذكر] يوم تأتي كل نفس تجادل [تدافع] عن نفسها وتوفى [تُجزى كاملاً] كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون.

مرحلة النشر

إن الذي يكفر بالله بعد أن ذاق حلاوة الإيمان يستحق الوعيد، ويُستثنى من ذلك من أُجبر على نطق الكفر تحت التهديد مع بقاء قلبه مخلصاً لله. أما من انفتح صدره للكفر وقبله طواعية، فقد استوجب غضب الله والعذاب الشديد. والسبب في هذا الانحدار هو تفضيلهم لمتع الدنيا الفانية على نعيم الآخرة الباقي، والله لا يوفق الجاحدين للحق. هؤلاء هم الذين أغلق الله منافذ الوعي لديهم بختم قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فصاروا في غفلة تامة. ومن المؤكد أنهم في الدار الآخرة هم الخاسرون لكل شيء. وفي المقابل، فإن ربك يعِدُ الذين تركوا أوطانهم بعد ما تعرضوا للاضطهاد، ثم بذلوا وسعهم في حماية دينهم وصبروا على الشدائد؛ بأن الله سيسامحهم ويرحمهم

بعد بلائهم. وذلك الحساب يظهر جلياً يوم يأتي كل إنسان ليدافع عن نفسه وحده، حيث تُعطى كل نفس جزاء فعلها كاملاً دون أي نقص أو ظلم.

مرحلة المعاني

١ .خطورة الردة الفكرية والعقدية بعد اليقين. (أصله: من كفر بالله من بعد إيمانه).

٢ .مراعاة الشريعة للضغوط البشرية (الإكراه) في الأحكام. (أصله: إلا من أُكره).

٣ .العبرة في الإيمان والصدق بما استقر في القلب لا بما نطق به اللسان اضطراراً. (أصله: وقلبه مطمئن بالإيمان).

٤ .الكفر الاختياري يبدأ بـ "شرح الصدر" أي القبول النفسي والتمكين له. (أصله: شرح بالصدر كفراً).

٥ .الغضب الإلهي نتيجة منطقية للتخلي عن الحق طوعاً. (أصله: فعليهم غضب من الله).

٦ .إيثار العاجلة (الدنيا) هو المحرك الأساسي لترك المبادئ. (أصله: استحبوا الحياة الدنيا).

٧ .غياب الهداية هو جزاء لمن اختار طريق الجحود. (أصله: لا يهدي القوم الكافرين).

٨" .الطبع" الإلهي هو عقوبة لمن أغلق هو قلبه ابتداءً. (أصله: طبع الله على قلوبهم).

٩ .فقدان فاعلية الحواس (السمع والبصر) في إدراك الحقائق الوجودية. (أصله: وسمعهم وأبصارهم).

١٠ .الغفلة هي الحالة الذهنية التي تسبق الخسارة الأخروية. (أصله: وأولئك هم الغافلون).

١١ .تأكيد الخسران المطلق (لا جرم) للمشركين في الآخرة. (أصله: لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون).

١٢ .الهجرة كمخرج شرعي وحضاري من الاضطهاد. (أصله: هاجروا من بعد ما فُتنوا).

١٣ .الفتنة (الابتلاء) قد تسبق التمكين والمغفرة. (أصله: من بعد ما فُتنوا).

١٤ .التلازم بين الهجرة والجهاد والصبر لتحقيق الفلاح. (أصله: هاجروا... جاهدوا وصبروا).

١٥ .سعة المغفرة الإلهية لمن صحح مساره بعد الفتنة. (أصله: إن ربك من بعدها لغفور رحيم).

١٦ .الفردية المطلقة في الحساب يوم القيامة. (أصله: تأتي كل نفس تجادل عن نفسها).

١٧ .انشغال كل إنسان بخلاص نفسه عند الموقف العظيم. (أصله: تجادل عن نفسها).

١٨ .العدالة الإلهية المطلقة في توفية الأجور. (أصله: وتوفى كل نفس ما عملت).

١٩ .نفي الظلم (الزيادة في السيئات أو النقص في الحسنات) عن الحساب الإلهي. (أصله: وهم لا يظلمون).

٢٠ .القلب هو المركز الأساسي للثبات أو الانحراف. (أصله: وقلبه مطمئن... شرح بالصدر).

٢١ .الرضا بالدنيا كثمن للدين هو عين الخسارة. (أصله: استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة).

٢٢ .الصبر هو الوقود النفسي الذي يربط بين الهجرة والنتيجة (المغفرة). (أصله: وصبروا إن ربك من بعدها لغفور).

٢٣ .المجادلة يوم القيامة تدل على إتاحة الفرصة للإنسان لعرض حجته قبل الحكم. (أصله: تجادل عن نفسها).

مرحلة الأحكام

١ .تحريم الردة عن الإسلام اختياراً. (دليله: فعليهم غضب من الله).

٢ .إباحة نطق كلمة الكفر عند الإكراه الملجئ مع طمأنينة القلب. (دليله: إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان).

٣ .وجوب تفضيل الآخرة على الدنيا عند تعارض المصالح العقدية. (دليله: ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة).

٤ .مشروعية الهجرة والجهاد لرفع الفتنة عن الدين. (دليله: ثم إن ربك للذين هاجروا).

٥ .وجوب الصبر على الابتلاءات التي تصيب المؤمن في دينه. (دليله: وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم).

٦ .إثبات مسؤولية الفرد الشخصية عن أعماله أمام الله. (دليله: وتوفى كل نفس ما عملت).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة اعتبار القلب** :المدار في الأحكام الباطنة على ما استقر في الصدور لا على مقتضى الإكراه. (الدليل: إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان).

٢ .**قاعدة رتبة الأهداف** :فساد الغايات (تفضيل الدنيا) يؤدي إلى فساد الوسائل (الكفر). (الدليل: استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة).

٣ .**قاعدة الجزاء من جنس العمل** :من أغلق حواسه عن الحق ختم الله عليها. (الدليل: طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم).

٤ .**قاعدة التوبة بعد الفتنة** :المشقات التي تُحتمل في سبيل الله تعقبها المغفرة والرحمة. (الدليل: هاجروا من بعد ما فُتنوا... إن ربك من بعدها لغفور رحيم).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد الحقوقي** :(إقرار "مبدأ الضرورة"؛ حيث لا يؤاخذ الإنسان على فعل أو قول أُجبر عليه تحت التهديد، مما يعزز حماية النفس. (أصله: إلا من أُكره).

٢) .**البعد النفسي** :(التمييز بين "السلوك الظاهر" و"الطمأنينة الباطنة"، وبيان أن السلام الداخلي هو الحصن الأخير للإنسان. (أصله: وقلبه مطمئن بالإيمان).

٣) .**البعد النضالي** :(رفع قيمة "الهجرة" و"الصبر" كأدوات للتغيير الحضاري والهروب من بيئات القمع. (أصله: هاجروا من بعد ما فُتنوا).

٤) .**البعد الوجداني** :(تصوير "المسؤولية الفردية" في أرقى صورها؛ حيث لا يغني أحد عن أحد، مما يحفز الفرد على الاستقلال القيمي والأخلاقي. (أصله: كل نفس تجادل عن نفسها).

سنة الاستبدال وجزاء جحود النعم ﴿١١٢ – ١١٨﴾

النص القرآني

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ

اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾} [سورة النحل: ١١٢ – ١١٨].

مرحلة التيسير

وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة [لا يخاف أهلها] يأتيها رزقها رغداً [واسعاً] من كل مكان فكفرت بأنعم الله [جحدتها]؛ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف [أحاط بهما] بما كانوا يصنعون. ولقد جاءهم رسول منهم [من أنفسهم] فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون. فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً [مستلذاً] واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون. إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهل لغير الله به [ذُبح لغيره]؛ فمن اضطر [ألجأته الضرورة] غير باغ [طالب للمحرم] ولا عاد [متجاوز للقدر] فإن الله غفور رحيم. ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب [من تلقاء أنفسكم] هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب؛ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. [ذلك] متاع قليل ولهم عذاب أليم. وعلى الذين هادوا [اليهود] حرمنا ما قصصنا عليك من قبل؛ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون [بمعاصيهم].

مرحلة النشر

لقد مثل الله حال مكة أو غيرها من القرى بقرية كانت تعيش في أمن تام واستقرار، وكان رزقها يتدفق إليها بغزارة من كل جهة، لكن أهلها جحدوا فضل الله واستعملوا نعمه في معاصيه. فكانت النتيجة أن قلب الله حالهم، فألبسهم الفقر والذعر حتى أحاط بهم كالثوب، جزاءً على سوء صنيعهم. ولقد بعث الله فيهم رسولاً يعرفون صدقه، فأنكروه، فنزل بهم الهلاك وهم مستمرون في ظلمهم. لذا، أيها المؤمنون، تنعموا بما أعطاكم الله من الرزق المباح الطاهر، وقابلوا هذه النعم بالشكر إن كنتم حقاً مخلصين له العبادة. إن الله لم يحرم عليكم من المأكولات إلا ما

كان مستقذراً أو ضاراً كالميتة والدم السائل ولحم الخنزير وما ذبح لغير اسمه؛ ومع ذلك فإن من أجبرته الضرورة على الأكل منها، دون قصد التلذذ أو مجاوزة حد الحاجة، فإن الله سيتجاوز عنه برحمته. واحذروا أن تدعوا بغير علم أن هذا حلال وهذا حرام فتنسبوا ذلك لله كذباً؛ فالمفترون على الله لا يدركون الفلاح أبداً. إن ما يحصلون عليه في الدنيا هو متعة عابرة زائلة، وتنتظرهم عقوبة موجعة. أما ما حُرّم على اليهود سابقاً فكان عقوبة لهم على بغيهم، وما كان الله ليظلمهم، بل هم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب الموبقات.

مرحلة المعاني

١ .الاستقرار النفسي (الأمن) هو أساس النمو الاقتصادي للقرى. (أصله: كانت آمنة مطمئنة).

٢ .سعة الرزق (الرغد) تأتي من تنوع المصادر الخارجية والداخلية. (أصله: يأتيها رزقها رغداً من كل مكان).

٣ .الكفر بالنعمة هو الانحراف عن شكر المنعم وصرف الفضل لغيره. (أصله: فكفرت بأنعم الله).

٤ .الجوع والخوف هما الوجه المقابل للرزق والأمن عند تبدل الأحوال. (أصله: لباس الجوع والخوف).

٥ .تعبير "اللباس" يدل على شدة ملاصقة البلاء للمجتمع وإحاطته به. (أصله: لباس الجوع والخوف).

٦ .السنن الإلهية في المجتمعات هي نتائج لأفعال الناس (السببية). (أصله: بما كانوا يصنعون).

٧ .إرسال الرسل من ذات البيئة (منهم) إقامة للحجة وإزالة للغربة. (أصله: جاءهم رسول منهم).

٨ .العذاب لا ينزل إلا بعد قيام الحجة بالرسالة ووقوع الظلم. (أصله: فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون).

٩ .الأمر بالأكل من الطيبات هو دعوة للاستمتاع المنضبط بالوجود. (أصله: فكلوا مما رزقكم الله).

١٠ .الشكر هو القيد الذي يحفظ النعم من الزوال. (أصله: واشكروا نعمة الله).

١١ .العبادة الحقيقية تتجلى في الاعتراف بالمنعم ظاهراً وباطناً. (أصله: إن كنتم إياه تعبدون).

١٢ .التحريم في الإسلام محصور في خبائث محددة لعلل صحية وعقدية. (أصله: إنما حرم عليكم الميتة والدم...).

١٣ .الذبح لغير الله (الإهلال) مفسدة عقدية تُلحق الذبيحة بالمحرمات. (أصله: وما أهل لغير الله به).

١٤ .قاعدة الضرورات تبيح المحظورات بضوابطها الشرعية. (أصله: فمن اضطر غير باغ ولا عاد).

١٥ .المغفرة والرحمة الإلهية تحف المكلفين عند الاضطرار. (أصله: فإن الله غفور رحيم).

١٦ .خطورة التشريع بغير علم ونسبة الأحكام لله بغير دليل. (أصله: ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب).

١٧ .الافتراء على الله هو أعظم عائق عن تحقيق الفلاح. (أصله: لا يفلحون).

١٨ .المكاسب الناتجة عن الكذب والتحريف هي "متاع قليل" زائل. (أصله: متاع قليل).

١٩ .العذاب الأليم هو العاقبة الحتمية للتلاعب بشرع الله. (أصله: ولهم عذاب أليم).

٢٠ .التحريم على الأمم السابقة (اليهود) قد يكون عقوبياً لا تشريعياً ابتداءً. (أصله: وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا).

٢١ .الله منزه عن ظلم العباد، وإنما يظلم العبد نفسه بسلوكه. (أصله: وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).

٢٢ .اللسان أداة خطيرة قد تورد صاحبها الهلاك إذا استعمل في التحليل والتحريم بالهوى. (أصله: تصف ألسنتكم الكذب).

٢٣ .التلازم بين الأمن والرزق؛ ففقد أحدهما يؤدي بالضرورة لاهتزاز الآخر. (أصله: آمنة... رزقها... الجوع والخوف).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب شكر الله على نعم الأمن والرزق لضمان دوامها. (دليله: واشكروا نعمة الله).

٢ .تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله. (دليله: إنما حرم عليكم الميتة...).

٣ .إباحة تناول المحرمات عند الضرورة القصوى بقدر الحاجة. (دليله: فمن اضطر غير باغ ولا عاد).

٤ .تحريم التحليل والتحريم بغير علم أو نص شرعي. (دليله: ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب).

٥ .وجوب الأكل من الرزق الحلال الطيب والابتعاد عن الخبائث. (دليله: فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً).

٦ .إثبات أن الظلم البشري هو السبب في تضييق الأرزاق أو تشديد الأحكام. (دليله: وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة زوال النعم بالجحود** :النعمة تدوم بالشكر وترحل بالكفر. (الدليل: فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف).

٢ .**قاعدة الضرورة** :المشقة تجلب التيسير، والضرورات تبيح المحظورات بشرط عدم البغي والعدوان. (الدليل: فمن اضطر غير باغ ولا عاد).

٣ .**قاعدة حصر التحريم** :الأصل في الأطعمة الإباحة، والتحريم استثناء لعلة. (الدليل: إنما حرم عليكم الميتة...).

٤ .**قاعدة المسؤولية عن التشريع** :التجرؤ على الفتوى بغير علم افتراء يمنع الفلاح. (الدليل: إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد الأمني/ الاقتصادي** :(الربط البنيوي بين "الأمن النفسي" و"الرغد الاقتصادي"، وبيان أن انهيار الأخلاق (الكفر بالنعمة) يؤدي لانهيار الدولة (الجوع والخوف). (أصله: آمنة مطمئنة... فكفرت... الجوع والخوف).

٢) .**البعد الصحي** :(التشريع الغذائي بحظر الميتة والدم والخنزير يمثل حماية صحية وجسدية للإنسان. (أصله: إنما حرم عليكم الميتة...).

٣) .**البعد الأخلاقي** :(التحذير من "الأنانية التشريعية" التي تبيح ما تشتهي وتحرم ما تكره كذباً على الله، مما يفكك النسيج القيمي للمجتمع. (أصله: هذا حلال وهذا حرام لتفتروا).

٤) .**البعد التاريخي** :(الاعتبار بمصائر الأمم السابقة والقرى الظالمة كمنهج لدراسة فلسفة التاريخ وسقوط الحضارات. (أصله: وضرب الله مثلاً قرية).

إبراهيم الأمة ومنهج الدعوة والإحسان ﴿١١٩ – ١٢٨﴾

النص القرآني

{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [سورة النحل: ١١٩ – ١٢٨].

مرحلة التيسير

ثم إن ربك للذين فعلوا الذنب بسوء اختيار [أو غلبة هوى] ثم رجعوا [إلى الله] وأصلحوا [أعمالهم] إن ربك من بعدها لساتر لذنوبهم رحيم بهم. إن إبراهيم كان قدوة [أو جامعاً للخير] مطيعاً لله مائلاً [عن الباطل] ولم يكُ من المشركين. كان معترفاً بفضل الله [بشكره]؛ اختاره ربه ووفقه لطريق الحق. وأعطيناه في الدنيا ذكراً طيباً [وذرية] وإنه في الآخرة من أهل الدرجات العالية. ثم أوحينا إليك [يا محمد] أن اتبع شريعة إبراهيم المائلة للحق وما كان من المشركين. إنما فرض تعظيم يوم السبت [بترك الصيد] على اليهود الذين اختلفوا فيه؛ وإن ربك سيفصل بينهم يوم البعث. ادعُ [الناس] لدين ربك بالمنطق السديد والنصيحة الجميلة وناقشهم بالطريقة الأفضل؛ إن ربك أعلم بالضالين وبالمهتدين. وإن أردتم القصاص فعاقبوا بقدر ما أُوذيتم؛ ولئن صبرتم [تركتم المعاملة بالمثل] فهو أنفع لكم. واصبر [يا محمد] وما توفيقك للصبر إلا بعون الله؛ ولا تحزن على إعراضهم ولا تضق صدراً بمكايدهم. إن الله بتأييده مع الذين اتقوا [المحرمات] والذين هم محودون [مخلصون] في أعمالهم.

مرحلة النشر

إن مغفرة الله ورحمته تشمل أولئك الذين ارتكبوا المعاصي بجهالة، ثم بادروا بالتوبة والندم وأصلحوا ما أفسدوه في سلوكهم. وإبراهيم عليه السلام كان نموذجاً فريداً، فهو رجل يمثل أمة كاملة في طاعته وإخلاصه، مائلاً دوماً عن طريق الشرك، ومعترفاً بنعم الله عليه بشكره الدائم؛ لذا اصطفاه ربه وهداه إلى الطريق القويم. وقد نال في حياته الدنيا المكانة الحسنة، وهو في الآخرة في زمرة الصالحين الفائزين. ولقد أمرك الله يا محمد باتباع نهج إبراهيم في التوحيد والميل عن الباطل. أما السبت وتشدد أحكامه فقد فُرض على الذين تسببوا في الاختلاف حوله، والله هو الذي سيفصل في خصوماتهم يوم القيامة. وعندما تدعو إلى دين ربك، فليكن ذلك بالحكمة والكلمة الطيبة والجدال بالأسلوب الأرقى والأرفق؛ فالله مطلع على حال الفريقين. وفي حال وقوع الاعتداء عليكم، فلكم حق المعاملة بالمثل دون زيادة، لكن الصبر والترفع عن الانتقام هو الأفضل لمن يقدر عليه. واصبر على ما يواجهك، واستمد قوتك على الصبر من الله وحده، ولا تضق ذعراً من مؤامراتهم؛ فالمعية الإلهية والنصر محققان لمن اتقى الله وأحسن في قوله وعمله.

مرحلة المعاني

١ .الجهالة في ارتكاب السوء تفتح باب الرجاء في المغفرة. (أصله: عملوا السوء بجهالة).

٢ .التوبة الحقيقية يشترط فيها اقتران الندم بالإصلاح العملي. (أصله: تابوا... وأصلحوا).

٣ .صفة "الأمة" لإبراهيم تعني أنه كان جامعاً لخصال الخير أو قدوة يقتدى به. (أصله: كان أمة).

٤ .القنوت هو المداومة على الطاعة لله في كل حال. (أصله: قانتاً لله).

٥ .الحنيفية هي الميل القصد من الباطل إلى الحق والتوحيد. (أصله: حنيفاً).

٦ .براءة إبراهيم التامة من الشرك منهجاً وسلوكاً. (أصله: ولم يك من المشركين).

٧ .الشكر للنعمة هو الطريق للاجتباء والاصطفاء الإلهي. (أصله: شاكراً لأنعمه اجتباه).

٨ .الهداية إلى الصراط المستقيم هي ثمرة الإخلاص والشكر. (أصله: وهداه إلى صراط مستقيم).

٩ .جزاء المؤمن الصالح يكون في الدارين (حسنة في الدنيا وفلاح في الآخرة). (أصله: آتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة...).

١٠ .وحدة الجوهر بين شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وملة إبراهيم. (أصله: أن اتبع ملة إبراهيم).

١١ .التشريعات الشاقة (كالسبت) قد تأتي نتيجة للاختلاف والتنطع. (أصله: جعل السبت على الذين اختلفوا فيه).

١٢ .الله هو الحكم العدل الذي ينهي خصومات البشر الوجودية يوم القيامة. (أصله: ليحكم بينهم يوم القيامة).

١٣ .الدعوة تتطلب "الحكمة" وهي وضع الشيء في موضعه وبقدره. (أصله: ادعُ... بالحكمة).

١٤" .الموعظة الحسنة" هي الخطاب الذي يلامس الوجدان برفق. (أصله: والموعظة الحسنة).

١٥ .الجدال في الإسلام ليس غاية بل وسيلة يجب أن تكون "بالتي هي أحسن". (أصله: وجادلهم بالتي هي أحسن).

١٦ .العلم المحيط بالهداية والضلال هو حق خالص لله لا يجوز للبشر احتكاره. (أصله: إن ربك هو أعلم بمن ضل).

١٧ .العدل في القصاص يقتضي المماثلة الدقيقة دون تجاوز. (أصله: فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به).

١٨ .الصبر رتبة أخلاقية أعلى من رتبة القصاص العادل. (أصله: ولئن صبرتم لهو خير للصابرين).

١٩ .الصبر ليس طاقة بشرية محضة بل هو استمداد من عون الله. (أصله: وما صبرك إلا بالله).

٢٠ .النهي عن الحزن على إعراض المعاندين حماية لنفسية الداعية. (أصله: ولا تحزن عليهم).

٢١ .مكر الأعداء لا ينبغي أن يؤدي إلى "ضيق الصدر" واليأس الحضاري. (أصله: ولا تك في ضيق مما يمكرون).

٢٢ .المعية الإلهية (النصر والتأييد) مشروطة بالتقوى والإحسان. (أصله: إن الله مع الذين اتقوا).

٢٣ .الإحسان هو تجويد العمل والعبادة كأنك تراه، وهو أعلى مراتب السلوك. (أصله: والذين هم محسنون).

مرحلة الأحكام

١ .وجوب التوبة والإصلاح بعد المعصية لنيل المغفرة. (دليله: ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا).

٢ .وجوب اتباع أصول الملة الحنيفية في التوحيد. (دليله: أن اتبع ملة إبراهيم).

٣ .وجوب استخدام الحكمة والرفق في دعوة الناس ومجادلتهم. (دليله: ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة...).

٤ .مشروعية القصاص بالمثل وتحريم الاعتداء بالزيادة. (دليله: فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به).

٥ .ندب الصبر والعفو والترفع عن الانتقام عند القدرة. (دليله: ولئن صبرتم لهو خير للصابرين).

٦ .وجوب الاستعانة بالله لتحصيل الصبر والثبات النفسي. (دليله: وما صبرك إلا بالله).

مرحلة القواعد

١ .**قاعدة الإصلاح بعد الإفساد** :لا تُقبل التوبة من الذنب المتعدي إلا بجبر الضرر. (الدليل: ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا).

٢ .**قاعدة القدوة الجامعة** :الفرد الواحد قد يزن أمة بمواقفه وإخلاصه. (الدليل: إن إبراهيم كان أمة).

٣ .**قاعدة المماثلة في العقوبة** :العدل هو المساواة بين الفعل ورد الفعل دون بغي. (الدليل: فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به).

٤ .**قاعدة المعية الخاصة** :تأييد الله للعبد مرتبط بمقدار تقواه وإحسانه. (الدليل: إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).

الأبعاد الإنسانية والحضارية

١) .**البعد القيادي** :(طرح نموذج "إبراهيم الأمة" كملهم للفرد الذي يريد أن يغير مجتمعاً كاملاً بقوة مبادئه وثباته. (أصله: كان أمة).

٢) .**البعد التواصلي** :(وضع ميثاق أخلاقي للحوار والجدال (بالتي هي أحسن)، مما يؤسس لسلام اجتماعي وحضاري. (أصله: وجادلهم بالتي هي أحسن).

٣) .**البعد النفسي/ التدريبي** :(تعليم الداعية والمصلح "ضبط النفس" أمام المكر والعدوان، وربط ذلك بالسكينة الإلهية. (أصله: ولا تك في ضيق مما يمكرون).

٤) .**البعد القيمي الشامل** :(تتويج السورة بقيمتي "التقوى" (الحماية من الخطأ) و"الإحسان" (الارتقاء بالفعل)، وهما جناحا أي نهضة إنسانية. (أصله: اتقوا... محسنون).

بيان القرآن

البيان القرآني الذاتي

السداسية النسقية

أنور غني الموسوي

دار أقواس للنشر
العراق 2026